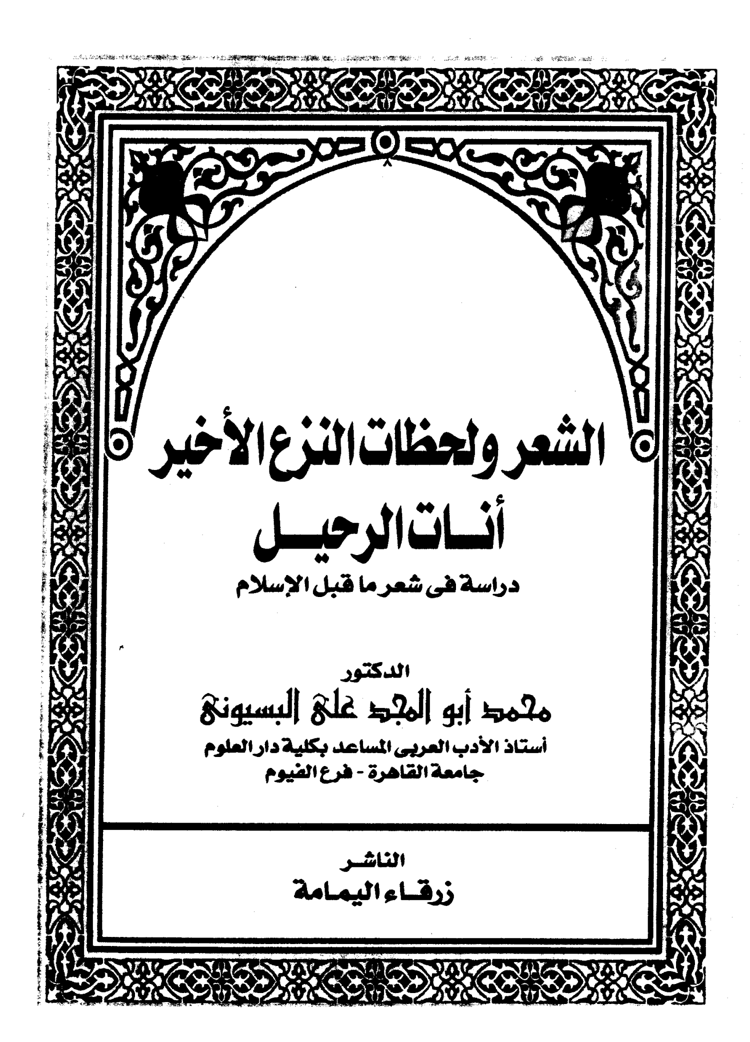

الشعر ولحظات النزع الأخير
أنات الرحيل
دراسة فى شعر ما قبل الإسلام
الدكتور
محمد أبو المجد على البسيونى
أستاذ الأدب العربى المساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة - فرع الفيوم
الناشر
زرقاء اليمامة

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾

النساء : من الآية ٧٨

الشعر ولحظات النزع الأخير
أنات الرحيل

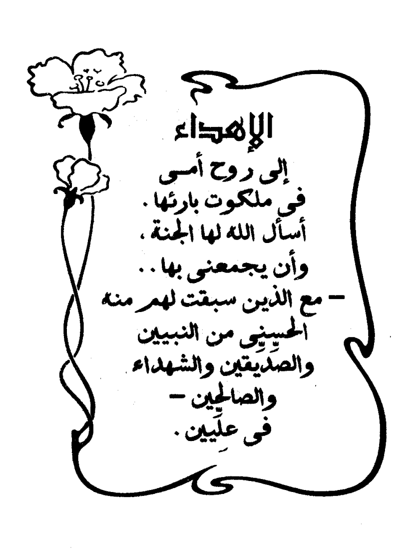
الطبعة الأولى

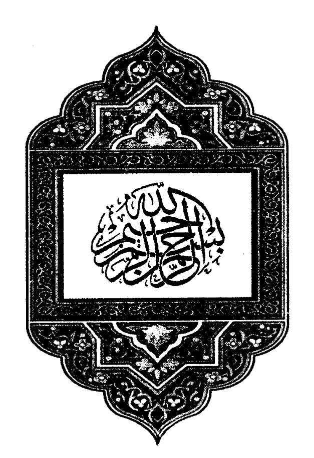
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع
١٦٧٦٧ / ٢٠٠٣

الجمع التصويرى والإخراج الفنى

دار المروة حي الجامعة ـ الفيوم


الإهداء
إلى روح أمي
في ملكوت بارئها .
أسأل الله لها الجنة ،
وأن يجمعني بها . .
- مع الذين سبقت لهم منه
الحسنى من النبيين
والصديقين والشهداء
والصالحين -
في عليين .


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الشعر ديوان العرب ، وكتاب قوم لم يكن لهم - قبل ظهور الإسلام - سواه، تناقلوه روايةً - قبل معرفة التدوين - جيلاً عن جيل ، وأولوه اهتمامهم - كما لم يولوا غيره من الفنون - وأحاطوه - منذ البدء - بهالة من التقدير ، ولاغرو ؛ ففيه نبض قلوبهم ووهج مشاعرهم وأحاسيسهم ورعشة أحلامهم وثمار عقولهم وخلاصة فكرهم وتجاربهم فى الحياة ، وفيه تاريخهم وثقافة مجتمعهم وأيامهم وحروبهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم ومثلهم وما يسود بينهم من الأعراف ، وفيه مفاخرهم ومثالبهم ومعالم بيئتهم وحضارتهم - وهى حضارة تتناسب وطبيعة العصر - وفيه عقائدهم ورؤاهم وأساطيرهم وخرافاتهم ، وفيه واقعهم - بحلوه ومره - وما يدور فيه من الأحداث - دقيقها وجليلها - وفيه (الذات) بشموخها وعظمتها وتواضعها وبساطتها فى آن ؛ بنزقها وحلمها ، بطيشها وحكمتها ، بضعفها وقوتها ، بما يعتريها من الأحوال - الهموم والأحزان والأشجان ، الطموح والآمال ، اليأس ، . . . - وما يربطها بغيرها - الآخر فى كل صوره وأشكاله - من العلائق والصلات ، وما يعتمل داخلها من العواطف والانفعالات .

الشعر كان هو المرآة التى يرى فيها العربى صورته وصورة مجتمعه ، وواقعه وفردوسه ، وماضيه وحاضره ومستقبله ، كان كذلك - وهو الأهم - رفيق رحلته ؛ يبثه شكواه وألمه ، ويغنى له ويتغنى به ، ويأنس به وإليه فى صحراء غربته ووحشته ، وحين تحمله خطاه - برغمه أو برضاه - نحو الموت - يتمتم -وهو على وشك الرحيل - به ، ويلوذ - وهو يودع الدنيا - إليه .

ظاهرة عجيبة لفتتنى وأنا أدرس - فى مرحلة الماجستير - «شعر العبيد فى الجاهلية وصدر الإسلام» وأقف - مبهور الإحساس - مع نهاية عنترة وسحيم والسليك والشنفرى - وكلهم باستثناء سحيم مات قبل الإسلام - وما صاحب

تلك النهايات المأساوية من شعر ، لم أتبين وقتها ملامحه كاملة ، لكنه حفزنى – منذ ذلك التاريخ – إلى جمع ما قيل – كل ما قيل – من شعر قبيل الموت ، ووضعه – بعد توثيقه – فى نسق ؛ لدراسته – فى بحث مستقل – واستخلاص خصائصه وما يميزه عن غيره من الشعر الذى يقال فى سائر اللحظات ، وتحليل نماذج منه .

ومضى الزمن ، وشغلت – فى الدكتوراه – بـ «شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام والعصر الأموى» ، وقد أتاح لى الوقوف على هذا الغرض – أو الفن – الاقتراب – نوعاً ما – مما أسميه الآن بـ «شعر النزع الأخير» – أو «أنات الرحيل» – خاصة رثاء النفس ، لكن الصراعات السياسية والمذهبية وأثرها – من الناحيتين الموضوعية والفنية – فى الرثاء باعدت بينى وبين ما أصبو إليه ؛ فقد شُغلت بها – فى تلك الرسالة – عما عداها ، وإن كان الموضوع ذاته – وهو الرثاء – كان مدعاة – كما أشرت – للاقتراب .

ثم كانت «مراثى النبى» حلقة أخرى من حلقات الاقتراب – إضافةً إلى ما فى «شعر صفية بنت عبد المطلب» وهو يشكل نحو ثلثى ديوانها من رثاء ، وكذلك «الشعر والشعراء فى بلاط عبد العزيز بن مروان» – وتلاه «روائع الشعر فى العصر الأموى» وفيه وقفة مطولة – تشكل وحدها ثلث الكتاب – مع مالك بن الريب ويائيته الشهيرة فى رثاء النفس ، فاشتد – وقد دفعنى تحليل هذا النص إلى تتبع قصائد أخرى قديمة تتناص ، بلغة القوم ، معه كقصيدة عبد يغوث بن وقاص الحارثى – اقترابى منه ، وبدأت تتضح – مع جمع مادة البحث – الأمور .

٢ – واجهتنى فى البداية مشكلة ؛ وهى أن المادة التى جمعتها ضخمة ، وتحتاج – مع ما قد يحوم حول شعرنا القديم بعامة وشعر النزع الأخير بخاصة من شكوك – إلى نوع من التوثيق ، فرأيت الاكتفاء – الآن – بما قبل الإسلام ، وآثرت – فى العنوان – «ما قبل الإسلام» على «العصر الجاهلى» ونحوه من

الأسماء الشائعة ؛ لأن نصوصاً مما وقفت عليها - وبذلت جهداً فى توثيقها - ترجع إلى فترات متقدمة ، تسبق - من الناحية الزمنية - ما اصطلحوا على تسميته بـ«العصر الجاهلى» وحددوه - كما حدده الجاحظ - بقرن ونصف أو قرنين على الأكثر من الزمان قبل ظهور الإسلام ، هناك مثلاً ما يتعلق بمالك بن فهم الأزدى - وقد عاش فى القرن الثالث الميلادى - وسامة بن لؤى ، وغيرهما ، وهناك كذلك من سماهم ابن قتيبة بـ«أوائل الشعراء» ووصف ابن سلام شعرهم بالقديم - وهم يسبقون جيل المهلهل الذى يقال إنه أول من هلهل الشعر وقَصَّدَ القصيد وابن أخته امرئ القيس وشعراء ما يعرف بحرب البسوس - كدويد النهدى ؛ ومثل هؤلاء وأولئك يسعهم - فى رأيى - «ما قبل الإسلام» أكثر مما يسعهم الجاهلية أو العصر الجاهلى(*) .

وتقوم الدراسة على جانبين أساسيين ؛ التوثيق والتحليل ؛ توثيق النص بالبحث عن مصادره ورواته ، والتمييز - حين يستدعى الأمر - بين الروايات ، وتغليب إحداها على الأخرى ، واستبعاد ما ينبغى استبعاده ، ومناقشة ما قد يحوم - حول كل نص من النصوص على حدة - من الشكوك ، ثم تحليله ؛ تحليلاً يكشف عن مضمونه ومحتواه وتشكيله الفنى والجمالى، مفيداً - فى الجانبين معاً - بالمنهجين التاريخى والفنى ، مع عدم إغفال مناهج أخرى - قد لاتقل فائدة هنا عن هذين المنهجين - كالمنهج النفسى .

وقد خصصت لكل شاعر - من الشعراء الذين تضمنتهم الدراسة - موضعاً

(*) ولا يخفى ما فى كلمة «جاهلية» أو «جاهلى» من معايير قيمية - يراعى فيها حين تطلق الأخلاق - وهناك كذلك - وهو الأهم - عدد من الشعراء عاشوا قبل الإسلام وامتد بهم العمر حتى ظهور هذا الدين فماتوا بعده ، وهؤلاء يخرجون - مع وصف المصادر لهم بالجاهليين ولشعرهم بالجاهلى كأمية بن أبى الصلت ودريد بن الصمة وعامر بن الطفيل - هم وطائفة أخرى هى طائفة المخضرمين - وفيهم لبيد وعبدة بن الطبيب وزيد الخيل - عن إطار هذا البحث الذى يعتمد فى الأساس الحد الزمنى .

مستقلاً ، ورتبتهم - أعنى الشعراء - على حروف الهجاء ، وحرصت - مع كل منهم - على ذكر مصادر ترجمته وأخباره مرتبة كذلك - وهى تشبه الببليوجرافيا فى محاولتها الاستقصاء - وفق حروف الهجاء ، ومصادر النص نفسه - مع تقديم المصدر الذى استقيت منه فى الأساس واعتمدت روايته على غيره وترتيب باقى المصادر التى قابلتها بما جاء فيه بالطريقة نفسها - وحرصت كذلك على إيراد النصوص - قبل تحليلها - مضبوطة بالشكل التام ، وذكرت - قبل كل نص - البحر ونوع القافية ، ورقمت النصوص فى ترتيبها العام ، فبلغت تسعة وثلاثين نصاً - تتفاوت طولاً وقصراً بين البيت والبيتين والمقطوعة والقصيدة - وبلغ عدد الشعراء - باستثناء من يزاحمون أحياناً فى النسبة ، عندما تتداخل نسبة النص الواحد بين أكثر من شاعر - تسعة وعشرين شاعراً .

وذيلت البحث بقائمة مفصلة للمصادر والمراجع التى استعنت بها فى جمع المادة الشعرية وتوثيقها وتحليلها ، مراعياً اسم الكتاب - فى الترتيب - ثم المؤلف - والمحقق أو المترجم إن وُجِدا - ثم الناشر ومكان النشر وتاريخه . وقد تضخمت القائمة ؛ لضخامة الموضوع - وهو يغطى عصراً كاملاً من العصور النشطة الثرية - من ناحية ، ولحرصى من ناحية ثانية على ذكر كل ما أفدت منه - وهو من باب الأمانة فيما أرى - من الكتب - قديمها وحديثها - والدراسات .

٣ - يبقى أن أشير إلى كتاب يتداخل موضوعه - نوعاً ما - معى وتقترب دائرته - أكثر من غيره - من الدائرة التى أتحرك فيها هو كتاب «رثاء النفس فى الشعر العربى» (*) للدكتور عبد الله أحمد باقازى ، وقد انتفعت به بداية - وهو ما أسجله له - وسوف يظهر هذا الانتفاع فى هوامش بعض الصفحات ، غير أنه - وهو ما ينبغى التنبيه عليه - ليس كل رثاء نفس هو بالضرورة من «شعر النزع

(*) نشر سنة ١٩٨٧ م عن المكتبة الفيصلية .

الأخير» ؛ فقد يرثى الشاعر نفسه فى أية لحظة من لحظات العمر - كما صنع كثير من الشعراء واستبعدتهم بطبيعة الحال من دراستى ومنهم علقمة الفحل والمتلمس وعدى بن زيد - وليس كل ما قيل عند مواجهة الموت رثاء نفس ؛ فقد يأخذ بعضه - كما سوف ترى - شكل رسالة ، وقد يأخذ بعضه الآخر شكل الوصية ، ومنه ما لايتعدى التوثيب أو الحض - فى بعض حالات القتل - على الثأر والانتقام .

ودراسته كذلك - كما يتضح من العنوان - لاتقف عند عصر معين ، وإنما تمتد لتشمل كل العصور - بما فى ذلك العصر الحديث - مما يسمها بالسطحية - فى بعض الأحيان - ويفقدها - مع العجلة وامتداد مساحتها الزمنية والمكانية - الاستقصاء . وقد وقف - فيما يتعلق بالعصر الجاهلى - مع أحد عشر شاعراً - ممن ماتوا قبل الإسلام - يضاف إليهم دويد - وقد وضعه مع شعراء العصر الإسلامى والأموى - ولم تتجاوز النصوص الخاصة بهؤلاء الشعراء - وبعضها لا علاقة له كما ذكرت بالنزع الأخير - اثنى عشر نصاً ، منها ثمانية فقط مما قيل قبيل الموت ؛ هى - على وجه التحديد - رائية امرئ القيس ، ولامية السليك ، ويائية عبد يغوث ، ويائية أفنون ، وقافية يزيد بن خذاق - وقد نسبها للممزق العبدى - وبائية بشر بن أبى خازم ، وقافية عبيد بن الأبرص ، وتائية دويد .

وقد أضفتُ إلى هذه النصوص - حين قصرت عملى على ما قبل الإسلام - نصوصاً أخرى كثيرة ، وتعمقتُ - أزعم - كل نص ، ولم أكتفِ - كما اكتفى هو فى بعض الأحيان - بالإضاءة العجلى السريعة ، ووثقت النصوص - كما أشرت - ولم يولِ التوثيق - اللهم إلا بذكر المصدر الذى استقى منه النص ، ومصادره مفردة دائماً ، لاتتعدى المصدر الواحد لكل نص - أى اهتمام ، فضلاً عن اختلاف الروايات وتداخل النسبة وما قد يثار حول تلك النصوص من الشكوك .

ويبقى كـذلك أن أشيـر إلى أن هذا البحث - الذى بين يديك - يمثـل حلقة واحدة من سلسلة أرجو أن يعين الله على إتمامهـا ؛ تتتبع هذه الظاهرة - بالطريقة نفسها - فى عصور أخرى تاليـة - صدر الإسلام ، ثم العصر الأموى - وتضيف - فى نهاية المضاف ما يمكن أن يُسمى بـ «السمـات العامة» - أو الخصائص المميزة لهذا النوع من الشعر ؛ فى بناء النص ولغته وصوره ومـوسيقاه ، مما قد تجد بعضه الآن متناثراً فى ثنايا الصفحات ، ومما قد تكشف عنه المراحل الزمنية الأخرى حين تكتمل - بمشيئة الله - الحلقات .

آمنة بنت وهب (*)

[١]

(رجز / متواتر)

١ - باركَ فيكَ اللهُ من غُلامِ
٢ - يا ابنَ الذى فى حَوْمَةِ الحمامِ
٣ - نَجا بعَوْنِ المَلكِ العلاَّمِ
٤ - فُودى غداةَ الضَّرْبِ بالسِّهامِ
٥ - بمائة من إبلٍ سَوامِ
٦ - إنْ صَحَّ ما أبْصَرْتُ فى المَنامِ
٧ - فأنتَ مَبْعُوثٌ إلى الأنامِ
٨ - تُبعَثُ فى الحِلِّ وفى الحَرامِ
٩ - تُبعَثُ بالتَّوْحِيدِ والإسْلامِ
١٠ - دِينِ أبِيكَ البَرِّ إبْراهامِ

(*) **ترجمتها وأخبارها** : الاشتقاق ص ٣٣ ، ٩٦ / الأعلام م١ ص ٢٦ / أعلام النساء م١ ص ١٨ / أنساب الأشراف جـ١ ص ٧٩ : ٨١ ، ٩١ : ٩٥ ، ٥٣٢ / البداية والنهاية م١ ص ٦٧٦ ، ٧١٤ / تاريخ الطبرى جـ٢ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ٢٤٣ : ٢٤٦ ، جـ٧ ص ٥٦٨ / تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٩ ، ١٨ / تراجم سيدات بيت النبوة ص ١٣ : ١٧٨ / تهذيب أسماء اللغات م١ ص ٢٢ ، ٢٤ / الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ص ١٦ / الروض الأنف م١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٣ / السيرة النبوية م١ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٨ / شاعرات العرب (يموت) ص ١٨٤ / الطبقات الكبرى م١ ص ٨٢ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٦٤ : ١٦٦ / العقد الفريد جـ١ ص ٢٤٤ ، جـ٣ ص ٢٤٢ ، جـ٥ ص ٢ / عيون الأثر م١ ص ٢٤ / الفاخر ص ١٦٧ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٥٤٦ / معجم البلدان جـ١ ص ٧٩ ، ٨٠ / معجم النساء الشاعرات ص ١٠ / نسب قريش ص ٢٦١ .

[١] شاعرات العرب (يموت) ص ١٨٤ / معجم النساء الشاعرات ص ١٠ .

١١ - فـالـلهُ يَنْهـاكَ عن الأصْنام
١٢ - أنْ لا تُواليـها مع الأقْـوامِ .

هل كانت آمنة شاعرة - فيصح من ثم نسـبة هذا النص إليها - أم قيل الشعر على لسانها كما قيل على لسان غيرها من آل البيت ؟ لقد نبه ابن سلام - منذ أمد بعيد - إلى ما قد يحوم حول شعر القرشيين عامة - وجماعة منهم كأبى سفيان بن الحرث على وجـه خاص - من شك ، وأشار بإصـبع الاتهام إلى ابن إسـحق وما أورده - فى سـيرته - من شعر موضـوع لـم يستطع - مع جلالة قدره فى المغازى والسيـر - أن يميز فيـه بين الزائف والصحـيح لقلة بصره بالشـعر [١] ، وقال فى ترجمته لأبى سفيان : «ولسنا نعـد ما يروى ابن إسحق له ولا لغيره شعراً ، ولأن لايكون لهم شعـر أحسن من أن يكون ذاك لهم » [٢] . يعنى القرشـيين ، وفيهم آمنة بطبيعة الحال .

والتزم ابن هشام الحذر فيما رواه ابن إسحق ؛ فكان يعقب كثيراً - ويأخذ هذا التعقيب عـدة مستويات [٣] - على ما ينقله من شعر عنه ؛ فنسـمعه تارةً يقول : «وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لـ . . » - ثم يورد اسم أحد الشعراء - وهو أقل درجات الشك عنده ؛ لأن نفـيها عن (فـلان) لاينكر كونهـا لغيره ، كـما أن نفى بعض العلماء لها قد يعنى ضمناً أن هناك آخرين يثبتونها وإن لم يذكرهم صراحةً - ويقول تارة أخرى - وفيه يزداد الشك عن الأولـى - : « وأكثر أهل العلم بالشعر

(١) طبقات فحول الشعراء - قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر (دار المدنى - جدة سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م) م١ ص ٧ ، ٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٧ .
(٣) أشرت إلى هذه المستويات فى : شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام (ط١ - دار الدعوة - الإسكندرية سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) ص ٢١ .

ينكرها» . أما أكثر درجات الشك عنده فهو ما علق عليه قائلاً : « ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها » .

وأعاد جماعة من المحدثين - كمرجليوث وبروكلمان وطه حسين - النظر فى هذا الأمر ؛ فقد لفت بروكلمان «الأذهان إلى كلف الشيعة بوضع الأشعار على لسان بنى هاشم . . .وكانت لجهود الدكتور طه حسين - لاشك - وما أثارته من ردود فعل - معتدلة فى بعضها وعنيفة فى بعضها الآخر - دورها فى وضع هذه القضية الشائكة - قضية الوضع والانتحال فى شعرنا القديم لا شعر القرشيين فحسب - على بساط البحث العلمى ؛ ما بين أخذ ورد ، وسلب وإيجاب ، وبسط للدواعى والأسباب ، وطرح للنتائج والآثار ، وإرساء لمبدأ هام - هو فى تصورى أهم ما أثمر عنه فيما أثمر هذا الجدال - يدعو إلى لزوم الحيطة والحذر - لا الشك على الإطلاق - فيما يرويه القدماء ، ويوجه الجهد - فى بعض جوانبه - إلى البحث عن الروايات والتمييز بين الصحيح منها وغير الصحيح ، وعن الرواة والفصل بين الثقاة منهم وغير الثقاة ، والمصادر التى نتعامل معها وطبيعة كل منها ، وعلى الإجمال (التوثيق) أو (التحقيق) للوصول بهذا الشعر إلى أفضل صورة يمكن الاطمئنان إليها» [٤] . وهو ما حاولته - وأعيد محاولته الآن - فى «شعر صفية بنت عبد المطلب» و«مراثى النبى» .

أورد البلاذرى - فى أنساب الأشراف [٥] - شعراً لآمنة ، ولم ينكر ابن سعد

---

(٤) شعر صفية بنت عبد المطلب : جمع وتحقيق ودراسة - د . محمد أبو المجد على (مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٥) أنساب الأشراف - ت . محمد حميد الله (ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧م) جـ١ص ٩٢ .

شاعريتها ؛ فـذكر لها - فى الطبقات[٦] - قطعتين ؛ ترثى فى الأولى زوجها عبد الله - حين بلغها موته - وتعيذ بالله ابنها - فى الثانية - حين خرجت به حليمة - مرضعته - إلى ديار بنى سعـد . إلا أن ابن سعد - وهو مما يجدر الإشارة إليه فى هذا السياق - يعول - أكثر ما يعول - علـى الواقدى - وكان كما هو معلوم كاتباً له - والواقدى - فى رأى كثير من النقاد ومحققى الآثار - كابن إسحق ، ليس - فيما يتعلق بروايته للشعر ، وقد روى بعضه عن هذا الأخير - من الأثبات .

وفى إطار الاعتـراف بشاعريتهـا كذلك نجد بشـير يموت يترجم لها فى كـتابه «شاعـرات العرب فى الجـاهليـة والإسلام» [٧] - ويورد النص أثناء التـرجمـة - ويصنع الصنيع نفسه عبد مهنا فى «معجم النساء الشاعرات» [٨] .

ويدفع بالنص - وبقـوة - نحـو الشك ، حتى ليـكاد يطيح به - فى ظنى - جملة وتفصـيلاً ، إعراض مصـادرنا الأدبية الأصيلة عنه - وكذلك غـير الأدبية - فلم أجد - فيما اطلعت عليه - مصـدراً واحداً ذكره أو أشار إليه ، باستثناء بعض المصادر المـتأخرة - وهى مـصادر ثانوية بطبـيعـة الحال - والحـديثة كـ «شـاعرات العرب» و«معجم النساء الشاعـرات» ، ولم يُحِلْ أىٌّ منهما على مصدر قديم ، بل لم يشيرا على الإطلاق - وقد نقل الثانى علـى ما يبدو نقلاً حرفياً عن الأول - إلى المصادر التى استـقيا منها - أدبية كانت أو غـير أدبية - غير ما يتعلـق بالترجمة -

---

(٦) الطبقات الكبرى - ت . حمزة النشرتى وعبد الحفيظ فرغـلى وعبد الحميد مصطفى (المكتبة القيمة - القاهرة سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م) م١ ص١٤١، ١٥٨ .

(٧) شاعرات العرب فى الجاهلية والإسلام - ت . عبد القادر محمد مايو (ط١ - دار القلم العربى - حلب سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م) ص ١٨٤ .

(٨) معجم النساء الشاعرات فى الجـاهلية والإسلام (ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م) ص ١٠ ، ١١ .

وحتى هذه أغفلها الأول - ونقلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن الأبيات الخمسة الأولى فى كتابها «أم النبى» (٩) - وهو الكتاب الأول من «تراجم سيدات بيت النبوة» - وأشارت - فيما أشارت - إلى السهيلى ، وحين رجعت إلى السهيلى وجدت - فى الجزء المذكور والصحيفة - أبياتاً أخرى - على القافية نفسها والروى - نسبها - نقلاً عن ابن إسحق - إلى أبى طالب ، ولا علاقة لها البتة بالنص الذى بين أيدينا ، ولم أجد فى باقى الأجزاء أى أثر له أو إشارة على الإطلاق .

ويدعم الشك فى رأيى - إضافة إلى ما ذكرت - تلك الروح الإسلامية والأفكار التى تهيمن على الجزء الأخير (الأبيات ٧ : ١٢) على وجه خاص ؛ البعثة - قبل مبعثه ﷺ بزمن طويل - إلى الناس كافة - لا إلى طائفة بعينها كما كانت الحال مع الرسل السابقين - وهو ما يفهم من كلمة «الأنام» ، وتسمية الدين الذى سيجىء به - كما تسمى حين جاء - بـ «الإسلام» - وإن كان الإسلام يطلق أحياناً ويراد به الوصف فينطبق من ثم على سائر الأديان - و«التوحيد» لب هذا الدين - بل لب كافة أديان السماء - و«الحل» و«الحرام» وهى مصطلحات لم تكن شائعة على لسان الوثنيين قبل الإسلام كما شاعت فيما بعد على لسان أصحابه ، وتلك الصلة التى تربط بين دين محمد ﷺ ودين إبراهيم عليه السلام ، والنهى عن الأصنام ؛ نهى «الله» - وقد ذكرته باسمه الشائع أو بالأحرى الذى سوف يشيع فيما بعد على ألسنة المسلمين - لنبيه ؛ فلا يواليها - ولا يواليها أتباعه معه - كما يواليها «الأقوام» .

ولايخلو الجزء الأول كذلك من بعض تلك الأفكار ؛ التوجه بالدعاء إلى الله أن يبارك فى ذلك الغلام - تعنى النبى ﷺ وقد توجهت إليه منذ البداية

---

(٩) تراجم سيدات بيت النبوة (ط١ - دار الريان - القاهرة سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

بالخطاب - فيتولاه بعد رحيلهـا - ورحيل الأب الذى مات قبل مولده ولم يقدر له أن يراه - ووصف المولى عز وجل بـ «الملك العلام» وربط نجاة عـبد الله - زوجها ووالد النبى - من الموت - حين نذر عبد المطلب بذبح أحد أبنائه إذا اكتملوا عشرة وكـان عبـد الله هو الذبيح المفتـرض للوفاء بـهذا النذر - بمعـونة الله ، ولم يكن الضرب بالسهام - وهو ما أشار به الكهنة - وتحقق الفداء - بعد وصول الرقم إلى مائة من «الإبل» أو «السوام» - إلا أحد مظاهر هذا العون .

يقولون إن السـيدة آمنة خرجت بالنبى ﷺ - وهو طفل لايزال لم يتـجاوز السادسة بعد - لزيارة أخواله بالمدينة (١٠) ، وبصحبتـها أم أيمن بركة بنت ثعلبة ، فلما كانت - أثناء العودة - بموضع يقال له «الأبواء» (١١) وافتها المنية ؛ فـ «قالت وهى فى حال النزع ، وقد أسفت لتركها ولدها محـمداً صغيراً محروماً من عطف الأب والأم : . . .» (١٢) . الأبيات .

فإن صح ما زعموه تبـدى لنا سمو أمومتها - وجانب من جـوانب عظمتها - فقد شغلها - مع ما حل بها - عن نفسهـا ؛ فالتفتت إليه - ولم تلتفت إلى نفسها

---

(١٠) هذه الخؤولة هى - فى حقيقة الأمر - لجده عبد المطلب ؛ قال ابن هشام : « أم عبد المطلب بن هاشم : سلمى بنت عمـرو النجارية» . السيرة النبوية م١ص ١٦٨ . وقـرأت فى أعلام النساء - جـ١ ص ١٨ - «ويؤخذ من اللهجـة التى كانت تتكلم بها السيـدة آمنة أن أصلها من المدينة . . . وقال ابن قـتيبة : ولايعلم أنـه كان لآمنة أخ فيكون خال النـبى ﷺ ، ولكن بنى زهرة يقولون نحن أخوال النبى ﷺ لأن آمنة منهم» .

(١١) قال السـهيلى : «وهو مـوضع معروف بين مكـة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب ، كـأنه سمى بجمع بو ، وهو جلد الحـوار المحشو بالتبن وغيره ، وقـيل : سمى بالأبواء لتبوء السيـول فيه» . الروض الأنف جـ١ ص ١٩٣ .

(١٢) شاعرات العرب (يموت) ص ١٨٤ ومعجم النساء الشاعرات ص ١٠ .

- كيف يكون مصيره بعد رحيلها ، وقد رحل أبوه من قبل ؟ وأترك المجال ههنا لامرأة - أكن لها التقدير أديبةً وعالمة - تصف مشاعر امرأة مثلها وأحاسيسها ، وكلاهما أم ، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : « وإذ هم فى مراحل الطريق بين البلدتين ، هبت - فيما يروى - عاصفة عاتية هوجاء ، أخذت تسفع المسافرين بريحها المحرقة ، وتثير من حولهم الرمال كأنه الشرر الملتهب . فتأخرت الرحلة أياماً ريثما هدأت العاصفة وسكنت ثائرتها ، ثم استأنف الركب سيره وقد شعرت آمنة بضعف طارئ ، مكَّنَ له من جسمها ما كانت تجد من لذعة الفراق الجديد . ولم يجزع محمد أول الأمر لما بدا على أمه من إعياء ، بل رجا أن تزايلها وعكتها بعد أن هدأت العاصفة . وأما آمنة فأحست أنه الأجل المحتوم ، وتشبثت بوحيدها معانقة وقد انهمرت الدموع من عينيها ، فأخذ يجفف دمعها بيده اللطيفة ، مستمرئاً لذة الحنان الفياض ، يطوى عنه رهبة الموقف . وفجأة تراخت ذراعاها عنه ، فحدق فيها فراعه أن بريق عينيها يوشك أن ينطفئ ، وأن صوتها يخفت رويداً رويداً ، حتى يصير إلى حشرجة هامسة .وتضرع إليها أن تنظر إليه ، فيقال إنها نظرت لوجهه وقالت فى أبيات : بارك فيك الله من غلام . . . وذاب صوتها فى سكون الفلاة ، فما تكلمت بعدها أبداً . وخيم على الكون صمت رهيب ، مزقه بعد حين صوت صبى مُرَوَّع ، انحنى على جثة أمه فى العراء يناديها فلا تلبى نداء» (١٣) .

أما الرؤيا التى ذكرتها فى ثنايا الأبيات فترجع - كما قيل - إلى لحظات الحمل والميلاد ؛ فقد أُتِيَتْ «حين حملت برسول الله ﷺ ، فقيل لها : إنك قد

(١٣) تراجم سيدات بيت النبوة ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام»[١٤] .

وما بين هذه وتلك - لحظة الميلاد من ناحية ولحظة الموت من ناحية ثانية - كان هذا الربط العفوى - غير المقصود - من آمنة ، وهى تودع - فيما تودع - ابنها والحياة .

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام - ت . مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى (ط٢ - مكتبة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة سنة ١٩٥٥م) م١ ص ١٥٨ . ويقول ابن الجوزى : « .. عن عمة وهب بن ربيعة قالت : كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول : ما شعرت أنى حملت به ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء ، إلا أنى أنكرت رفع حيضتى ، وأتانى آت وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأنى أقول : ما أدرى . فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ... ثم أمهلنى حتى إذا دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال : قولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد... » . الوفا بأحوال المصطفى - ت . مصطفى عبد القادر عطا - (ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) ص ٨٤ ، ٨٥ .

الأسود بن يعفر النهشلي (*)

[٢]

(بسيط / متواتر)

١ - نَفْعٌ قَليلٌ إذا نادَى الصَّدَى أُصُلاً   وحـانَ منه لبَـرْدِ الماءِ تَغْـريدُ
٢ - وودَّعُونى فقالُوا ساعةَ انْطَلَقُوا   أَوْدَى فأَوْدَى النَّدَى والحَزْمُ والجُودُ
٣ - فما أُبالِى إذا ما مِتُّ ما صنَعُوا   كلُّ امْرِئٍ بسَبِيلِ المَوْتِ مَرْصُودُ.

بعد حياة حافلة طويلة تنقل فيها الأَسْوَدُ بنُ يَعْفُرِ - أو أعشى بنى نهشل -

---

(*) **ترجمته وأخباره** : الأزمنة وتلبية الجاهلية ص ١٣٢ ، ١٤٠ / الأعلام م١ ص ٣٣٠ / أعلام تميم ص ٩٠ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٣ ص ٤٥٤٧ / الأمالى لأبى على القالى جـ١ ص ٢٥ ، ٢٩ ، ٧١ / أمالى المرتضى جـ١ ص ٣٦٥ / أنساب الأشراف جـ١ ص ٢٨ / تاريخ آداب العرب (الرافعى) جـ٢ ص ٣٦ ، ٥٥ / تاريخ الآداب العربية (نالينو) ص ٣٠٩ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١٦٤ / تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) جـ١ ص ١٢٥ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٣٢٩ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) ص ١٥٨ / تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢٢٦ ، ٢٦٣ / الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٢٦٤ / جمهرة اللغة جـ٣ ص ٤٧٩ / جوهر الكنز ص ٤٤٣ ، ٥٤٤ / الحلبة فى أسماء الخيل ص ٤٣ ، ١٠٤ / الحماسة للبحترى ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٢ / حماسة ابن الشجرى ص ٤٥٧ / الحماسة البصرية جـ٢ ص ٤١٢ / الحماسة المغربية ص ١٠١٢ / خزانة الأدب جـ١ ص ١٩٥ / ديوان المعانى جـ١ ص ٢٥٤ / سمط اللآلى جـ١ ص ١١٤ / شرح الحماسة للمرزوقى ص ٨٤٣ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٣ / شرح شواهد المغنى ص ١٨٨ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٤٧٥ / الشعر والشعراء م١ ص ٢٥٥ / كتاب الصناعتين ص ٢٢٧ ، ٣١٢ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ١٤٧ / العقد الفريد جـ٣ ص ٢١٤ ، ٢٦٨ / عيار الشعر ص ٦٩ / المفضليات ص ٢١٥ ، ٤١٧ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١٨ رقم ٦١ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٥٦ رقم ٤٤ / المنازل والديار ص ٦ ، ٢١ / منتهى الطلب جـ٢ ص ٩ / الموازنة جـ١ ص ١٢٠ ، ١٣٠ / المؤتلف والمختلف ص ١٨ رقم ١٩ / الموشح ص ١٠٣ / نقد الشعر ص ٤٣ ، ١٣٩ ، ١٨١ ، ٢٢١ .

[٢] الأغانى (ط . الشعب) جـ١٣ ص ٤٥٣٥ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٤٧٧ .

بين أكثر من قبيلة مجاوراً ونزيلاً [1] ، وبعد صراعات مريرة يصطبغ بعضها بالدم ، وبعد ثأر - حَرَّضَ عليه النعمان بن المنذر ملك الحيرة حين نزل عليه مع ابن عم له - وقتل وبطش ، وجود - يصل إلى حد الإسراف - وشراب - كعادتهم - وخمر ، حل العمى بساحته ، وأصابه مرض شديد ، وأرسل النعمان إليه - وكان على صلة وثيقة به - «يسأله عن خبره وهول ما به» [2] ، فقال - فى مرضه هذا الأخير - هذه الأبيات .

يستشرف فيها - وقد أحس بثقل وطأته وأن لامفر منه - الموت ؛ فيتراءى له الرفاق - كما سيتراءى من بعد لمالك بن الريب ، وهو كذلك من أبناء قبيلته - وهم ينطلقون فى عجلة من أمرهم ، يرددون - وقد نفضوا أيديهم من التراب - كلمات الوداع ، لقد أودى صاحب هذا القبر فأودى معه - وهى الشهادة يسجلها لنفسه على ألسنتهم - الجود والندى والحزم ، تلك الشمائل والصفات التى يعتز بها - أكثر مما يعتزون بغيرها - أبناء عصره ، وظل صداها يتردد فى شعرنا العربى القديم ، أوسمة يضعها على صدره وهو يرحل عنهم ، ولسوف تظل من بعده تلك الشهادة تملأ سمع الزمان ، وتشيع - بعد فنائه - فى كل مكان ، الذكر الحسن والثناء هما وسيلته الآن - على ما يبدو - فى مواجهة الفناء ، والذكر - كما قيل - عمر ثان ، ومادام الأمر كذلك فلن يبالى مجىء الموت ، ولن يبالى ما سوف يصنعون به - حين يضعونه فى قبره ويرحلون عنه ليواجه وحده ما قُدِّرَ له من مصير - فالموت غاية كل حى ، والمرء مرصود بسبيله ، فأين - لا أين - الفرار ؟!

(١) يقول ابن سلام : « كان يكثر التنقل فى العرب ، يجاورهم ، فيذم ويَحْمَدُ ، وله فى ذلك أشعار» . طبقات فحول الشعراء م١ ص ١٤٧ .

(٢) الأغانى (ط . الشعب) جـ١٣ ص ٤٥٣٤ .

سوف يبلى كما بلى من سبقوه ، وينهل من المنهل نفسه ، ويخرج من رأسه - على ما كان يعتقد ويعتقدون - ذلك الطائر الخرافى المهيب «الصدى» ، يُرَجِّع كلَّ أصيل - وقد تراءى له كذلك كما تراءى له الرفاق - لحنه الجنائزى الحزين ، ويستسقى الماء أو الدم .

يبقى فيما يتعلق بالأعشى أن أهل الكوفة ، وهم رواة شعره ، كانوا يتجوزون - أو يتساهلون بلغة العصر - فى روايتهم لهذا الشعر ، وقد لاحظ ذلك ابن سلام فقال ما نصه : « وأسمعنى بعض أهل الكوفة شعراً زعم أنه أخذه عن خالد بن كلثوم ، يرثى به حاجب بن زرارة ، فقلت له : كيف يروى خالد مثل هذا ، وهو من أهل العلم ، وهذا شعر متداع خبيث ؟ فقال : أخذناه من الثقات. ونحن لانعرف هذا ولا نقبله» (٣) . وقال كذلك : « وذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول : له ثلاثون ومئة قصيدة . ونحن لانعرف له ذلك ولا قريباً منه . وقد علمتُ أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروى ، ويتجوزون فى ذلك بأكثر من تجوزنا» (٤) .

إلا أن هذا النص الذى رثى فيه نفسه - على ما رأيتَ - رواه أبو الفرج الأصفهانى - فى خبر - عن ابن الأعرابى ، ولم يشكك أحد فيه . ونقله لويس شيخو - فى العصر الحديث - مع الخبر عن الأغانى ، مدعياً - دعواه التى لم يكد يسلم منها إلا قليل من شعراء الجاهلية - أن صاحبه كان نصرانياً ، وتلك دعوى لم يقم - فى الحق - عليها أى دليل .

ويبقى كذلك أن هاجس الموت كان يتردد - وقد سيطر على ما يبدو عليه - فى نصوص أخرى عديدة ، من بينها - أو بالأحرى فى مقدمتها - قصيدته الدالية

---

(٣) طبقات فحول الشعراء م١ ص ١٤٨ .

(٤) المصدر نفسه والصحيفة .

التى رواها صاحب المفضليات [٥] ، ونقلها عنه ابن ميمون فى منتهى الطلب [٦] ، واحتفى بها آخرون [٧] ، وقال ابن سلام فى شأنهـا : « وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته»[٨] .

وجاء فيها :

«ولقد عَلِمْتُ سِوَى الذى نَبَّأْتِنِي ... أنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِى الأعْوادِ

إنَّ المَنِيَّةَ والحُتُوفَ كِلاهما ... يُوفِى المَخارِمَ يَرْقُبانِ سَوادِى

لنْ يَرْضَيا منى وَفاءَ رَهِينَةٍ ... من دُونِ نَفْسِى طارِفِى وتِلادِى»[٩] .

---

(٥) المفضليات – ت . أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون (ط٨ – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٩٣م) ص ٢١٥ رقم ٤٤ .

(٦) منتهى الطلب من أشعار العرب – ت . سيدة حامد وزينب القوصى ومنير المدنى (دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة سنة ١٩٩٩ م) جـ٢ ص ٩ .

(٧) انظر تخريجها فى المفضليات ص ٢١٥ ومنتهى الطلب ص ٩ .

(٨) طبقات فحول الشعراء م١ص ١٤٧ . وقد وضعه ابن سلام فى الطبقة الخامسة ، مع المخبل السعدى وتميم بن أبى بن مقبل وخداش بن زهير .

(٩) المفضليات ص ٢١٦ .

ذو الإصبع العدوانى (*)

[٣]

(كامل / متواتر)

١ - أأُسَيْدُ إنْ مالاً مَلَكْـ ... ـتَ فسِرْ بِهِ سَيْراً جَمِيلا

٢ - آخِ الكِرامَ إن اسْتَطَعْـ ... ـتَ إلى إخائهمُ سَبِيلا

٣ - واشْرَبْ بكَأْسِهِمُ وإنْ ... شَرِبُوا به السُّمَّ الثَّمِيلا

٤ - أهِنِ اللئامَ ولا تكُنْ ... لإخائهمْ جَمَلاً ذَلُولا

٥ - إنَّ الكِرامَ إذا تُؤا ... خِيهِمْ وَجَدْتَ لهم فُضُولا

٦ - ودَعِ الذى يَعِدُ العَشِيْـ ... ـرَةَ أنْ يَسِيلَ ولنْ يَسِيلا

(*) **ترجمته وأخباره** : أخبار النساء ص ٨٩ / الاشتقاق ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ / الأعلام م٢ ص ١٧٣ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٣ ص ٩٣٥ / الأمالى لأبى على القالى جـ١ ص ١٦٤ / أمالى المرتضى جـ١ ص ٤٤ ، جـ٢ ص ٢٥٣ / بهجة المجالس جـ١ ص ٦٥٤ : ٦٥٦ ، ٧٧٨ / البيان والتبيين جـ٣ ص ١٢٠ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١٣١ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٢٩٥ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١٦٥ / تاريخ الطبرى جـ٦ ص ١٦٣ / تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢٦٣ / الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٢٧٤ / حماسة ابن الشجرى ص ١٠٣ ، ٢٦٩ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٦٦ ، ٢٦٩ ، جـ٢ ص ٤١٦ / خزانة الأدب جـ٢ ص ٤٠٧ / ديوان الأدب جـ١ ص ٤٠٦ ، جـ٢ ص ٣٥٩ ، جـ٣ ص ٧٠ ، ٣٢٣ / سمط اللآلى م ١ ص ٢٨٩ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٦٢٥ / الشعر والشعراء م ٢ ص ٧٠٨ / كتاب الصناعتين ص ٤٠٩ / العقد الفريد جـ٢ ص ١٥٥ ، ١٨٠ / عيون الأخبار جـ١ ص ٢٤٧ ، جـ٢ ص ٦ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ١١ ، ٢٢٠ ، ٣٠٤ ، ٣٢٨ : ٣٣٠ / المصون فى الأدب ص ١٦٦ ، ١٦٧ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٢٠ رقم ٧٣ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ١٤٣ رقم ٤٢٧ / معجم ما استعجم ص ٧٧ / المعمرون والوصايا ص ٩٠ / المفضليات ص ١٥٣ ، ١٥٩ / المؤتلف والمختلف ص ١٤٩ رقم ٣٥٦ / الموشح ص ١٨ / نشوة الطرب ص ٤١١ ، ٥٩٣ : ٥٩٧ ، ٧٨٩ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٣٣٣ .

[٣] الأغانى (ط . الشعب) جـ٣ ص ٩٤٥ ، ٩٤٦ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٦٣٢ ، ٦٣٣ .

٧ - أَبُنَيَّ إنَّ المالَ لا يَبْكي إذا فَقَدَ البَخيلا
٨ - أأُسَيْدُ إنْ أَزْمَعْتَ من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ رَحيلا
٩ - فاحْفَظْ وإنْ شَحَطَ المَزا رُ أخاً أَخيكَ أو الزَّميلا
١٠ - وارْكَبْ بنَفْسِكَ إنْ هَمَمْتَ بها الحُزُونَةَ والسُّهُولا
١١ - وصِلِ الكِرامَ وكُنْ لِمَنْ تَرجُو مَوَدَّتَهُ وَصُولا
١٢ - ودَعِ التَّوانيَ في الأُمُو رِ وكُنْ لها سَلِساً ذَلُولا
١٣ - وابْسُطْ يَمينَكَ بالنَّدَى وامْدُدْ لها باعاً طَويلا
١٤ - وابْسُطْ يَدَيْكَ بما مَلَكْتَ وشَيِّدِ الحَسَبَ الأَثيلا
١٥ - واعْزِمْ إذا حاوَلْتَ أمْراً يَفْرجُ الهَمَّ الدَّخيلا
١٦ - وابْذُلْ لضَيْفِكَ ذاتَ رَحْلِكَ مُكْرِماً حتَّى يَزُولا
١٧ - واحْلُلْ على الأَيْفاعِ لِلْعافينَ واجْتَنِبِ المَسيلا
١٨ - وإذا القُرُومُ تَخاطَرَتْ يَوْماً وأَرْعَدَتِ الخَصيلا
١٩ - فاهْصِرْ كهَصْرِ اللَّيْثِ خَضَّبَ من فَريسَتِهِ التَّليلا
٢٠ - وانْزِلْ إلى الهَيْجا إذا أبْطالُها كَرِهُوا النُّزُولا
٢١ - وإذا دُعيتَ إلى المُهِمِّ فكُنْ لفادِحِهِ حَمُولا.

عاش ذُو الإِصْبَع - حُرْثانُ بن حارِثَةَ بن مُحَرِّث العَدْوانيّ - مائة وسبعين سنة [(١)] ، وامتد به العمر حتى أُهْتِرَ وخَرِف ، ورأته ابنته - وكان فارس قومه من قبل وصاحب غارات ووقائع مشهورة - «قد نهض فسقط وتوكأ على العصا فبكت»[(٢)] ، ورثى له فيمن رثى الأقارب والأعداء ، وتعجل بعضهم موته ،

(١) ذكره الدكتور عفيف عبد الرحمن - في «معجم الشعراء» ص ٢٠ - ومحققا المفضليات - ص ١٥٣ - وفي «المؤتلف والمختلف» ص ١٤٩ : «وهو أحد الحكماء الشعراء ، عُمِّرَ دهراً» .
(٢) الأغاني (ط . الشعب) جـ٣ ص ٩٥٤ .

ولاموه على سرفه ، وظل الشعر - رفيق عمره الممتد - ملجأه ومأواه ؛ يلوذ إليه فى مواجهة الزمن ، ويهرع إليه كلما اشتدت عليه الأزمات .

ولم يحل ما وصفوه به فى أخريات حياته - إن صح - من الهُتْر والخرف أن يرد على من لاموه بسبب الإسراف (٣) ، وأن يبكى مع ابنته - وإن حاول التماسك - حين خانته رجلاه (٤) ، وأن يلم شتات نفسه - ويستجمع خبرته الطويلة - فيوجه إلى أسيد - ابنه - وصية من أروع ما قيل عند الاحتضار ؛ يقول أبو الفرج : « قال أبو عمرو : ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً فقال له : يابنى ! إنَّ أباكَ قد فَنِيَ وهو حَيٌّ ، وعاشَ حتى سَئِمَ العَيْشَ ، وإنِّى مُوصيكَ بما إنْ حَفِظْتَهُ بلغتَ فى قومك ما بلغتُه ، فاحفظْ عَنِّى . . .»(٥) .

الابن إذن هو شاغله - كآمنة بنت وهب - والموت يطوف به ويرفرف حوله، وطريق السيادة - كى يبلغ ابنه فى قومه ما بلغه هو من قبل - لب الوصية بشقيها النثرى - وقد بدأ به - والشعرى ؛ لين الجانب ، والتواضع ، وبسط الوجه ، والإيثار ، واحترام الكبير والصغير ، والسماح بالمال ، وإكرام الضيف ، وحفظ الحرمات ، ونصرة الجار ، وصيانة الوجه ، والنجدة ، مفردات الشق النثرى .

وهى - كما ترى - مثاليات مجتمعه ، بل هى مثاليات تصلح - فيما أرى - لكل زمان ومكان ؛ «ألِنْ جانِبَكَ لقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ ، وتَواضَعْ لهم يَرْفَعُوكَ ، وابْسُطْ لهم وَجْهَكَ يُطيعُوكَ ، ولاتَسْتَأْثِرْ عليهم بشىءٍ يُسَوِّدُوكَ ، وأكْرِمْ صِغارَهم كما تُكْرِمُ كِبارَهم يُكْرِمْكَ كِبارُهم ويَكْبُرْ على مَوَدَّتِكَ صِغارُهم ، واسْمَحْ بمالِكَ،

---

(٣) انظر قصيدته العينية فى : الأغانى (ط . الشعب) جـ٣ ص ٩٤٢ ، والمفضليات ص ١٥٣ رقم ٢٩ ، ومنتهى الطلب جـ٢ ص ٢٧٧ ، وشعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٦٢٩ .

(٤) الأغانى (ط . الشعب) جـ٣ ص ٩٥٤ ، ٩٥٥ وشعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٦٣٩ .

(٥) الأغانى (ط . الشعب) جـ٣ ص ٩٤٤ .

واحْمِ حَرِيمَكَ ، وأعْزِزْ جارَكَ ، وأعِنْ من استعانَ بكَ ، وأكْرِمْ ضَيْفَكَ ، وأسْرِعْ النَّهْضَـةَ فى الصَّرِيخِ ، فإنَّ لكَ أجَـلاً لايَعْدُوكَ ، وصُنْ وَجْهَكَ عن مَسْـألَةِ أحَدٍ شيْئاً ، فبذلك يَتِمُّ سُودُدُكَ».

ولم يلجأ - مع إحـاطة الموت به - إلى الإطالة والإسهاب ، فـأوجز - فى بناء الجملة - ما وسعـه الإيجاز ، وأدى الفكرة من أقرب وجه ، دونما تكلف أو تصنع أو تلاعب بالألفاظ ، وقرن الأمر - فى كل مرة - بالعلة ليحفز الابن على الأداء ، وأكد فى آخرها على «الأجل» الذى لايعدوه أحد مـهما طال به العمر - وكأنه المعنيُّ بذلك - أو امتد به الزمان ، «ثم أنشأ يقول : . .» . الأبيات .

لم يكفِ النثر إذن فى التعبير عما يريد الـتعبير عنه فلجأ إلى الشعر ، ولعله أراد أن يقنع ابنه بكـل الوسائل الممـكنة ، ويروز - فى الوقت نفـسه - مـيـدانه الحبيب ، فـيجرى فيـه شوطاً كما جـرى فى النثر ، وهو صاحب شعـر ونثر ، فكلاهما يعتمد الكلمة المسموعة - وليس هناك ما يدل على أنه كان يعرف الكتابة - وكلاهما يهدف - فى مـثل تلك اللحظة - إلى «توصيل رسالة» لاتخلو - فى الوقت نفسه - من «فن» .

المال - إن ملكه - يتـصـدر - مع غايتـه الآنيـة - النص الشعـرى ، والمال عصب الحياة ، ولاسيادة - فى مجتمع كمجتمعه - بدونه ، لكن ليس المال على الإطلاق ، وإنما - وهو مـا يلفت نظر الابن إليـه - الذى يسـير به - على حـد تعبيره - «سيراً جـميلاً» ؛ فـينفقه - وهو ما يفـهم من السياق - فى وجـهه ، ويتألف به القلوب ، ولايمنعه عمن يحتاج إليه ، ولايستأثر به دون غيره ولايبخل أو يضن به . وليتخير - لصحبته - الكرام فـلا يؤاخى غير كريم ، وليبتعد - ما وسعه البعـد - عن كل لئيم ، ويعلل له - كعادته - الأمرين معـاً ، ويحثه ثانية على الجود والإنفاق ؛ فالمال لايبكى على من أمسكه - بخلاً وشحاً - حين يرحل عنه

هنا امتدت الفكرة - ولم يُسمح لها فى النثر بمثل هذا الامتداد - وتشعبت أطرافها ، وخرجت - نوعاً ما - من الإيجاز إلى التفصيل ، ولم تخل - وتلك طبيعة الشعر - من الخيال والتصوير ؛ «واشرب بكأسهم...» ، «ولاتكن لإخائهم جملاً ذلولا» ، «أن يسيل ولن يسيلا» ، «إن المال لايبكى إذا فقد البخيلا» . كما اعتمد التقابل بين «الكرام» و«اللئام» ؛ ليوضح السلوك الأمثل فيما يتعلق بالمال حين يملكه - ولابد له أن يملكه - الابن ، إن أراد أن يكون سيداً كأبيه .

وتتوالى مفردات الوصية ، لكنها لاتخرج - فى مجملها - عما ينبغى أن يتحلى به الابن من سلوك لبلوغ السيادة المرجوة ؛ حفظ الرفيق - حين يضمه معه الطريق - وصلة الحبيب ، وبسط اليمين ، وعدم التوانى فى الأمور ، والعزم ، والبذل ، والشجاعة والإقدام ، وتحمل كل ما يضعه الآخرون على كاهله من الحمول والأثقال ، فلا ينبغى له - وهو المرجو لما يرجى له - التنصل من المسئولية - مهما بلغت - أو التهرب - مهما كلفه الأمر - من الأعباء . ولاشك أنها طريق قاسية ، لكنها «ثمن السيادة» إن جاز الوصف . وحين تتحقق تلك السيادة - وهو المسكوت عنه - يكون ذو الإصبع قد أدى مهمته على أكمل وجه، وأنجز رسالته فى الحياة ؛ فخلف خلفاً يذكره الآخرون به ، ويمتد ذكره - والذكر للإنسان عمر ثان - فلا يفنى - برغم الموت - مع الزمان .

أفنون التغلبى (*)

[٤]

(طويل / متدارك)

١ - ألا لستُ فى شَىْءٍ فَرُوحاً مُعاوِيا ... ولا المُشْفِقاتُ إذْ تَبِعْنَ الحَوازِيا
٢ - فلا خَيْرَ فيما يكْذِبُ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وتَقْوالِهِ للشَىْءِ يا لَيْتَ ذا لِيا
٣ - فطَأْ مُعْرِضاً إنَّ الحُتُوفَ كَثِيرَةٌ ... وإنَّكَ لاتُبْقِى بمالِكَ باقِيا
٤ - لعَمْرُكَ ما يَدْرِى امْرُؤٌ كيفَ يَتَّقِى ... إذا هو لم يَجْعَلْ له اللَّهُ واقِيا
٥ - كَفَى حَزَناً انْ يَرْحَلَ الحَىُّ غُدْوَةً ... وأُصْبِحَ فى أعْلَى إلاهَةَ ثاوِيا .

صَرِيمُ بنُ مَعْشَرٍ - أو أُفْنُونُ كما غلب اللقب عليه - «أحد شعراء بنى تغلب

(*) **ترجمته وأخباره** : أدب الدنيا والدين ص ٢٩٠ ، ٢٩١ / الاشتقاق ص ٣٣٦ / الأعلام م٣ ص ٢٠٤ / الأمالى لأبى على القالى جـ٢ ص٥٩ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ ص ٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ : ٢٣٧ / البيان والتبيين جـ١ ص ٩ ، ١٩٠ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص١٣١ / حماسة الخالديين جـ٢ ص ٢٧١ / الحيوان جـ٣ ص ١٣٥ / خزانة الأدب جـ٤ ص ٤٦٠ / سمط اللآلى جـ٢ ص ٦٨٤ / شرح شواهد المغنى ص ٥٤ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ١٩٢ / شعر تغلب فى الجاهلية ص ١٣٣ / الشعر والشعراء م١ ص ٤١٩ / العقد الفريد جـ٣ ص ١٧٨ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ٦٣ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٢٦ رقم ١١٣ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٦٧ رقم ٨٠ / المفضليات ص ٢٦٠ ، ٢٦١ / المؤتلف والمختلف ص ١٩٦ رقم ٤٩٠ / النقائض ص ٦٨٦ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٣٤٣ .

[٤] المفضليات ص ٢٦٠ ، ٢٦١ رقم ٦٥ وقد اعتمدت روايته / الحماسة للبحترى ص ١٦٤ / الشعر والشعراء جـ١ ص ٤١٩ / العقد الفريد جـ٣ ص ١٧٩ / المؤتلف والمختلف ص ١٩٦ . ومن المصادر الحديثة : شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ١٩٢ / شعر تغلب فى الجاهلية ص ١٤٠ ، ١٤١ .

المشهورين» [١] ، وفارس من فرسانهم المعدودين[٢] ، «قال له كاهن فى الجاهلية: إنك تموت بثنية إلاهة . وإنه خرج مع ركب فضلوا الطريق فى ليلهم وأصبحوا بمكان ، فسألوا عنه ، فقالوا : هذه إلاهة . فنزلوا ، ولم ينزل أفنون ، وخلى ناقته ترعى ، فعلقت مشفرها أفعى ، فأمالت الناقة رأسها نحو ساقه ، فاحتكت بها ، فنهشته الأفعى ، فرمى بنفسه ، وقال لرفيق له يقال له معاوية : . . »[٣] . الأبيات . ومات - كما يقول ابن قتيبة - من ساعته ، فقبره هناك . وقيل إن معاوية هذا أخوه ؛ كان قد خرج معه فى تلك السفرة المشئومة ، فلما لدغت الحية ساقه وأحس أنها لحظة الموت قال له : «احفر لى فإنى ميت» [٤] . ورثى نفسه قبل أن يموت بهذه الأبيات .

«ألا» تنبيه - اعتاد الشعراء أن يفتتحوا مراثيهم بها وجاراهم أفنون فى هذا الشأن - للركب المشغولين - ولكل منهم شاغله - عنه ، ولرفيق رحلته - أو أخيه - معاوية على وجه خاص ، لاشىء يسر على الإطلاق ؛ تلك الحقائب الممتلئة - فوق ظهر النياق - والماء والزق والنساء ، فها هى ذى الحياة نفسها ترحل عنه ويرحل مرغماً عنها ، وها هو ذا الموت يفتح له ذراعيه ويمد مخالبه نحوه ، الفرح الآن - ولعله كذلك قبل الآن - لا قيمة له ، وهل يفرح - كما يفرحون - بما حققه - وحققوه - فى تلك الرحلة ؟ وما جدوى الفرح بالنسبة

---

(١) المؤتلف والمختلف للآمدى - صححه وعلق عليه الدكتور ف .كرنكو (ط١ - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١م) ص ١٩٥ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان (دار الهلال - القاهرة - بدون تاريخ) جـ١ ص ١٣١ .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة - ت . أحمد محمد شاكر (دار الحديث - القاهرة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) م١ ص ٤١٩ .

(٤) شعراء النصرانية فى الجاهلية - لويس شيخو (مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٩٨٢م) ص ١٩٢ .

له؟! ليفرح الآخرون – وقد كتبت لهم السلامة والغنيمة والإياب – وليبك على نفسه – وقد حاز الغنيمة دون السلامة والإياب – ما وسعه البكاء .

وهل تغنى الشفقة عنه ؛ إشفاق النسوة يتبعن الكواهن يسألنهن ، ولاغناء – إزاء الموت – فيما يقول الكهان ؟ لا حيلة إذن ولا اختيار ، لقد بلغ اليأس به المدى ، وسيطر عليه – منذ اللحظة الأولى – شعور طاغ بالاستسلام .

يموت الفرح – كما تموت الحياة – وتذهب الشفقة أدراج الرياح ، ولاخير فى الأمل الضعيف يحدث المرء – بل يكذب – به نفسه ، وتمنيه ما لاقدرة له عليه ولاتستطيعه – وهو العاجز عنه – يداه . فلينطفئ ذلك الوميض ، ولتخمد – قبل أن تخمد الروح – كل الأمانى والآمال ، وليعرض عن هذا كله ويطأ بقدميه – بإرادته فهو الأكرم له ، وبمحض اختياره إن كانت هناك إرادة أو اختيار – عتبة الموت ، ولايقولن قائل لو لم يسافر أو يغادر لما أصيب بما أصيب ؛ فالموت حتم والحتوف كثيرة ، والأسباب أكثر من أن تحصى أو تعد ، فإن لم يصبه الردى بهذا السهم – وسهامه كثيرة – أصابه بذاك ، والمال – وقد التفت إليه فجأة – يعجز عن أن يحقق لصاحبه ما قد يصبو إليه من البقاء .

الحذر والمال إذن لايدفعان الموت ولا يؤخرانه ، بل لاشىء على الإطلاق – ولم يسعفه الوقت على ما يبدو لإضافة أشياء أخرى – يقى المرء – وهنا يتحرك وازع الإيمان – ما لم يجعل له الله واقياً . وانظر كيف أقسم – ولهذا القسم قيمته فى هذا السياق – بالعمر ؛ «لعمرك» ، وهو يواجه – ونواجه معه – الموت !! يقسم الإنسان عادة بالشىء النفيس ، وهل هناك ما هو أنفس – فى مثل تلك اللحظات – من العمر – الذى يتسرب أمام عينيه قطرة قطرة – والحياة ؟!

يكفيه أسى وحزناً أن يرحل «الحى» – وانظر كيف آثر «الحى» على كلمات أخرى كـ «الركب» أو « القوم» وإن جاءت بهما بعض الروايات – غدوة عنه

ويخلفوه ثاوياً - ثواء الأبد - فى هذا المكان القفر ؛ وحيداً مفرداً ، لا أنيس له - إن كان يجـديه الأنيس - ولا أحد مـعه ، غيـر الفلاة والرمـال ، وغير الـظلمة والأشبـاح وأصوات الرياح ، ههنا فى «إلهـة» ، كمـا تنبأ له - فيـما زعـموا - الكاهن من قبل .

امرؤ القيس بن حجر الكندى (*)

(*) **ترجمته وأخباره** : أخبار النساء ص ٩٤ ، ٩٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ / أدباء العرب جـ١ ص ٩٧ / الأعلام م١ ص ١١ / الأغـانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣١٩٧ / أنسـاب الأشراف ص ٢٠ ، ٥٣٨ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ ص ٣١ ، ٧١ ، ٢٢٣ ، ٢٩٣ ، جـ٢ ص٤٤ ، ٤٥ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧ / البداية والنهاية م١ ص ٦٣٩ / البرصان والعرجان ص ٢٤٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٥١٠ ، ٥٨٣ / بهجة المجالس جـ١ ص ٢٩ ، ٨٢ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٨٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٩٧ ، ٤٦٨ ، جـ٢ ص ١٠ ، ٥٠ ، ٢٣٨ / تاريخ آداب العـرب (الرافعى) جـ٢ ص ١٧٠ / تاريخ الآداب العـربية (نالينو) ص ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٨٦ / تاريخ آداب اللغة العـربية (زيدان) جـ١ ص ٩٣ / تاريخ الأدب العـربى (بروكلمان) جـ١ ص ٩٧ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٢٩٢ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١١٦ / تاريخ الضبرى جـ١ ص ٣٨٣ / تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢١٧ : ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٢ / التـعريف فى الأنسـاب ص ١١٧ ، ٢٥٨ / تعليق من أمالى ابن دريـد ص ٢١٧ / الجمـهرة (الجواهرى)جـ١ ص ١٨٠ / جمهرة أشعار العرب ص ١١٣ / حماسة ابن الشجرى ص ١١٦ ، ٦٦٧ ، ٧٩٣ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، ١٦٩ ، ١٦٥ ، جـ٢ ص ٧٩ ، ٨٧ ، ١٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٤٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٥٤ ، ٤٠٠ / حماسـة الخالديين جـ١ ص ١٩ ، ٢٤ ، ٥٠ ، جـ٢ ص ٢١ ، ٧٦ ، ١٧٧ / خزانة الأدب جـ٣ ص ٦٠٩ / ديوان الشعر العربى جـ١ ص ٤٦ / ديـوان المعانى جـ١ ص ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، جـ٢ ص ٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٩٣ / سرح العيون ص ١١٧ / شرح القصـائد السبع الطوال ص ١٧ / شرح القصائد العشـر ص ٧١ / شرح المعلقات السبع ص ٥ / شعـراء النصرانية فى الجاهليـة ص ٦ / الشعر والشعـراء م١ ص ١٠٩ / كتاب الصنـاعـتين ص ٤٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٠٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧ : ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ : ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٣٩ ، ٤٥٣ ، ٤٧٤ ، ٤٩١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ٥١ / العصر الجاهلى ص ٢٣٢ / العقد الفريد جـ١ ص ١١٢ ، جـ٢ ص ١٥٦ ، ٢٥٠ ، ٢٩٩ ، جـ٣ ص ٢٠ ، ٥٤ ، ٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣١٤، جـ٤ ص ٤٧ ، جـ٦ ص١٠٣ : ١٠٦ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٧ ، جـ٧ ص ٥٢ ، ٧٨ ، ١٠٣ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ، جـ٨ ص ٩٢ ، ٩٣ / العمدة جـ١ ص ٢٥١، جـ٢ ص ٢٧٨ / عيار الشعر ص ٣١ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٦ / عـيون الأخـبار جـ١ ص ١٤٤ ، ٢٥٩ ، جـ٢ ص١٨٥، جـ٤ ص ٩٧ / الفاخر ص ٦٤ ، ٢٦٠ / فى الشعر الجاهلى (طه حسين) ص ١٣٢

=

[٥]

(وافر / متواتر)

١ - ألا أَبْلِغْ بَنِى حُجْرِ بنِ عَمْرٍو   وأَبْلِغْ ذلكَ الحَىَّ الحَرِيدا
٢ - بأنّى قد بَقِيتُ بَقاءَ نَفْسٍ   ولم أُخْلَقْ سِلاماً أو حَدِيدا
٣ - فلو أنّى هَلَكْتُ بدارِ* قَوْمِى   لقُلْتُ المَوْتُ حَقٌّ لاخُلُودا
٤ - ولكنِّى هَلَكْتُ بأَرْضِ قَوْمٍ   بَعِيدٍ من دِيارِكُمُ بَعِيدا
٥ - أُعالِجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كلَّ يَوْمٍ   وأَجْدِرْ بالمَنِيَّةِ أنْ تَعُودا
٦ - بأَرْضِ الرُّومِ لانَسَبٌ قَرِيبٌ   ولا شافٍ فيُسْنِدَ أو يَعُودا
٧ - ولو وافَقْتُهُنَّ على أُسَيْسٍ   ضُحَيًّا أو وَرَدْنَ بنا زَرُودا
٨ - على قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّداتٍ   أَزِمَّتُهُنَّ ما يَعْدِفْنَ عُودا .

= / الكامل فى التاريخ م١ ص٣٩٩ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٩٢ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ٢١٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ، جـ٢ ص ١٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٢١٧ / المثل السائر جـ١ ص ٢٣٧ : ٢٤٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٩ ، جـ٢ ص ٦٢ ، ١٠٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٥٠ / مختارات ابن الشجرى ص ٣١٣ ، ٣٣٠ / المصون فى الأدب ص ١٧ ، ٢٥ ، ٦٥ ، ١٨٦ / المصون فى سر الهوى المكنون ص ٤٢٧ ، ٤٧٣ / معاهد التنصيص ص ٩ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٢٩ رقم ١٢٨ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٧٠ رقم ٨٦ / الملاحن ص ٤٢ ، ٤٩ ، ٧٨ ، ٨١ / المنازل والديار ص ٣١ ، ٣٦، ٨٦ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ٤٧٩ / الموازنة جـ١ ص ١٤ ، ١٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٨١ ، ١٥١ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٧ ، ٣٥٧ ، ٣٧١ : ٣٧٣ / ٣٨٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٢ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، جـ٢ ص ١٤٠ ، ٢٢٩ / المؤتلف والمختلف ص ٩ رقم ١ / موسوعة الشعر العربى جـ١ ص ٢١٣ / الموشح ص ٢٢ / الموشى ص ١٨ ، ١٤٩ / كتاب النخل ص ٨٥ ، ٩٧ ، ٩٨ / نشوة الطرب ص ١٥٢ ، ١٧٤ ، ٢٢٢ ، ٢٤٤ ، ٧٩٠ ، ٨١٩ / نقد الشعر ص ٢٠ : ٢٤ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠ : ١٥٧، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ٢٠٢ ، ٢٢٣ / نوادر المخطوطات جـ١ ص ٢٠٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

[٥] ديوانه (ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ٢١٢ رقم ٤٦ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٤ .

يحيط الشك بداية بشخصية امرئ القيس وشعره ؛ فهو - على مكانته فى تاريخ شعرنا العربى القديم - مجرد نموذج لشخصية تاريخية عاشت فى العصر الأموى - هى شخصية عبد الرحمن بن الأشعث - عند الدكتور طه حسين ؛ يقول بروكلمان : «ولا نعرف شيئاً ثابتاً عن حياة امرئ القيس ، ويريد طه حسين - فى الأدب الجاهلى - أن يرى فى تاريخ امرئ القيس مثالاً لحياة عبد الرحمن ابن الأشعث الكندى ، وضعها القصاص إشادة بذكر قبيلته»[1]. وقد قُتل ابن الأشعث - وباءت ثورته بالفشل - على يد الحجاج بن يوسف الثقفى ونكل هذا الأخير به وبأتباعه ، وكلاهما - ابن الأشعث وامرؤ القيس - ينتميان إلى قبيلة واحدة هى قبيلة كندة .

ويضيف بروكلمان من جهته أن الروايات القديمة رسمت «صورة امرئ القيس على أنه بطل من أشهر أبطال العرب ، ويتضح اختراع هذه الصورة على غرار ما يحكى عن مشاهير الأبطال فى صغرهم مما ذكره أبو الحسين النسابة . . . كذلك ما روى من أن ملك الروم جوستنيان دعاه إلى القسطنطينية وجعله أميراً على قبائل فلسطين ليستعين به على الفرس ، فهذا منحول عليه ، ولكنه حدث حقيقة لابن عمه قيس بن سلمة . وما حُكى عنه من أنه فجر بإحدى بنات ملك الروم فأمر بقتله فى أنقرة ، وهو فى طريق عودته ، فإن ذلك مخترع عليه أيضاً لأنه كثيراً ما كان يفتخر بمغامراته . وربما كانت قصة موته محترقاً ، لأنه لبس حلة مسمومة كما حصل لهرقل الفحل اليونانى ، منحولة عليه أيضاً»[2] .

وهو - عند بلاشير- «شخصية شبه تاريخية . . . غطت على أسطورته أسطورة أمير شامى انقطع إلى الغسانيين والبيزنطيين حوالى ٥٣٥م ، ويقع

(١) تاريخ الأدب العربى - ت . د . عبد الحليم النجار (ط٥ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣م) جـ١ ص ٩٨ . وانظر : « فى الشعر الجاهلى» لطه حسين ص ١٣٥ : ١٣٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٩٨ ، ٩٩ .

امرؤ القيس فى نظر مؤرخى العراق وسط (رواية :Roman) وصلت إلينا بعض عناصرها ، وهى تصور حياة امرئ القيس اللاهية ومغامراته فى طلب الثأر لأبيه، فأطلق عليه لقب الضِّلّيل ، ثم تذكر خروجه سفيراً إلى قيصر الروم فى بيزنطة وعشق ابنة القيصر لامرئ القيس ، وموت هذا فى أنقرة (حيث يشاهد قبره إلى الآن) فى ظروف تشبه تلك التى مات فيها هرقل اليونانى ، مما أدى إلى نشوء أسطورة قميص (نيسوسNessus) ، واتصلت هذه (الرواية) من هنا وهناك بفصول ذات علاقة بالشعراء علقمة وعبيد بن الأبرص والسموأل»[٣] .

وقد اضطربت – فى الحق – الأخبار التى دارت حول موته – وهو ما يعنينا الآن – أشد الاضطراب ؛ فعلى حين يزعم بعضهم أن الإمبراطور الرومانى – جوستنيان كما يسميه بروكلمان[٤] ، أو القيصر يوستنيانوس الأول كما يسميه الدكتور عمر فروخ [٥] – أهداه حلة مسمومة – بعد أن وشى به عنده أحد خصومه ، وهو الطماح الأسدى ، فذكر تعريضه بابنته وخوفه من إمكانية أن ينقلب بعد تحقيقه للثأر عليه ، وأوغر صدره ضده حتى استجاب له – تقطع بسببها جلده ، وتناثر – يوماً بعد يوم – أمام عينيه ، حتى قال فى ذلك :

«فلو أنَّها نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً ولكنَّها نَفْسٌ تَساقَطُ أَنْفُسا»[٦] .

(٣) تاريخ الأدب العربى – د . ر . بلاشير – ت . د . إبراهيم الكيلانى (دار الفكر – دمشق سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م) ص ٢٩٢ .

(٤) تاريخ الأدب العربى – ت . د . عبد الحليم النجار – جـ١ ص ٩٨ .

(٥) تاريخ الأدب العربى – جـ١ ص١١٦ . وممن سماه بهذا الاسم كذلك نونوز المؤرخ الرومانى . انظر : شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٥ .

(٦) الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣٢٢٠ . كتاب الصناعتين ص ٣٧٣ . العمدة جـ١ ص ٢٥١ . الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ١٩٧ . شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٥٠ . وهو – مع اختلاف كلمة واحدة – فى ديوانه (ت . أبو الفضل إبراهيم) ص١٠٧ .

تذكر روايات أخرى - وفى شعره ما يدل عليه - أنه مات فى أنقرة مطعوناً بالسيف[٧] ، وتشير ثالثة إلى الجدرى[٨] ، وهو مرض قد لايكون له علاقة بالحلة المسمومة أو القميص المزعوم[٩] .

إلا أن خطوطاً مشتركة لايمكن تغافلها - برغم هذا الاختلاف - يمكن الاطمئنان إليها - بعض الاطمئنان - للانطلاق - فى ضوئها - فى قراءة هذا النص ؛ الموت - فى كل الأحوال - أثناء عودته من رحلته المشئومة إلى قيصر ملك الروم - فى مكان - لم تختلف عليه الروايات - هو (أَنْقِرَة) ، مغترباً - اغتراب نظيره الأموى مالك بن الريب - عن آله وذويه ، فى ظروف نفسية عصيبة وصراع - على المستويين السياسى والقبلى - دموى عنيف .

وهذا النص تحديداً مما رواه الأصمعى والسكرى وابن النحاس - وقرأه كذلك الطوسى على ابن الأعرابى من رواية المفضل الضبى[١٠] - وقد وضعه المحقق - بخلاف نصوص أخرى سوف تلى - فى صلب الديوان .

«ألا» : كعادتهم فى الافتتاح ، «أبلغ» : حيث يتحول النص إلى رسالة - بالمفهوم التقليدى - يحملها شخص - غير معروف على وجه التحديد - إلى آله«بنى حجر بن عمرو» ، وإلى من يسميهم كذلك - ولعله يعنى بهم قومه وقد آلوا إلى ما آلوا إليه من التمزق والتشتت والضياع فلا تحمل الواو فى بداية الشطرة الثانية معنى المغايرة بقدر ما تحمل معنى التأكيد - «الحى الحريدا» ، وللحى دلالة

---

(٧) ديوانه (ت . أبو الفضل إبراهيم) ص ١٠٨ .

(٨) تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص١١٧ . شرح المعلقات السبع ص ٨ مقدمة . شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٥ .

(٩) وفى البداية والنهاية م١ ص ٦٤٠ - ولم يجزم به ابن كثير ونسبه إلى بعضهم دونما تحديد - أن قيصر ملك الروم «سقاه سماً فقتله» .

(١٠) انظر تخريجه بالديوان (ت . أبو الفضل إبراهيم) ص ٤٣٦ .

ظاهرة على القوم وأخرى عـميقة على مـا اشتقت منه وهو الحياة - فى مـواجهة عـوامل الردى والفناء ، والحـريد - كمـا يقـول شـارحه - «الذى ينـزل ناحيـة منفرداً»[11] ؛ انفراد الشاعر نفسه وإحساسه الضاغط بالوحشة والاغتراب .

أما المضمون - مضـمون الرسالة نفسها - فيبدأ من الـبيت الثانى ويمتد حتى نهاية الأبيات ؛ يبلـغهم أول ما يبلغهم أنه - مع نظرة الجاهـليين الخاصة بل نظرة العامة حتى وقتنا هذا إلى الملوك وأبناء الملوك - بشر ، يجرى عليه ما يجرى على سـائر البشـر من الردى والهلاك ، فـهـو ليس «سلامـاً» - أى حجـراً - وليس «حديداً» ، وإنما هو لحم ودم ، ونفس ضـعيفة ؛ تبـقى فيبقى ببقـائها ، وتذوى فيذوى - كما ذوت - ثم يتلاشى ويموت .

وإذن فلا اعتراض على طبيعة خلقه ؛ لأنه لم يُـخلق شيئاً مختلفاً عن سائر الناس ، وإنما الاعتراض - إن حُقَّ له أن يعـترض فى مثل تلك اللحظات - على أنه يموت بعيداً مغترباً ، وما أقسى موت الغـريب - مع أن حياة الشاعر كلها فيما تمثله الأخبـار حياة قلق واغتـراب - فلو - وتأمل مغزى «لو» فى هذا السـياق - قُدِّرَ له «الهلاك» - وقد آثر هذا التعبير علـى غيره وكرره فى صيغة الفعل الماضى الذى يفيد تحقق الوقوع مرتين - بأرض - بل «دار» مع ما توحى به من (الحميمة) والدفء - قومه لرضى به ومازاد على أن يقـول - كما يقول الناس - الموت حق ولا خلود لأحـد على وجـهـهـا ولا بقاء ، لـكنه - وهذا ما يؤلمه ويـقطر نفسـه حسرات - هلك بعيداً عن ديار الأهل والأحباب بأرض قوم - ولم يزد ؛ حيث جاءت فى رواية «بعيداً» بالنصب لتصف حاله هو لا «القوم» ولا أرضهم ، ليترك للخيال سبر ما سكتت عنه الكلمات ، أو «بعيدٍ» بالجر ، وهى تبرز وجه الرفض أو (العدائية) غـير المبررة سيـاقياً أو منطقياً لهم - يعـالج الملك - الذى خرج من

---

(١١) ديوان امرئ القيس (ت . أبو الفضل إبراهيم) ص ٢١٣ .

أجله - فى ذلك المكان البعيد ، والموت - أو «المنية» - أحق بالعلاج ، وأجدر بها أن تعود فيريح ويستريح .

أرض - سوف يضمه صدرها ويحتويه بطنها شاء أو لم يشأ ، أمّا كأمه الأولى ، وهل كان له فى الأولى حتى يكون له فى الثانية اختيار ؟ - لا نسب له فيها ، ولا عائد - وقد حل به ما حل - ولا معين ؛ هى أرض الروم - مع ما يكنه العربى قبل الإسلام لكل ما هو (أجنبى) أو دخيل روماً أو فرساً أو غير روم وفرس - تلك التى - ولعلها آخر أمنية يفصح عنها النص - يتمنى لو - وتأمل مرة أخرى مغزى «لو» - انطلق بعيداً بعيداً عنها ، لكن كيف وقد أحاط الموت به وأحكمت المنية حول رقبته الحلقات ؟!

[٦]

(كامل / متدارك)

١ - رُبَّ طَعْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ
٢ - وجَفْنَةٍ مُتَحَيِّرَهْ
٣ - وقَصِيدَةٍ مُحَبَّرَهْ
٤ - تَبْقَى غَداً بأنْقِرَهْ.

هذا النص زاده المحقق فى الديوان عن نسخة السكرى ، وصدره بقوله : «وقال لما حضرته المنية بأنقرة» (١٢) . وفيه يلخص - إن صح

---

[٦] ديوانه (ت . أبو الفضل إبراهيم) ص ٣٤٩ رقم ٩٤ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣٢٢٠ / خزانة الأدب جـ١ ص ٣٣٣ / الشعر والشعراء م١ ص١٠٩ ، ١٢١ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٠٥ / اللسان (ثعجر) / المعرب للجواليقى ص ٢٦ . ومن المصادر الحديثة : شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٤ .

(١٢) وفى الشعر والشعراء - م١ ص ١٠٩ - : « قال ابن الكلبى : هذا آخر شىء تكلم به ، ثم مات» .

له - [١٣] امرؤ القيس حياته كلها - طولها وعرضها - فى هذه المفاتيح الثلاثة ؛ «طعنة» ، و«جفنة» ، و«قصيدة» - مستخدماً النكرة التى تفيد فيما تفيد معنى التهويل والتعظيم - «طعنة مثعنجرة» ؛ جانب الفروسية - وهو أحد الشعراء الفرسان - وما تستوجبه من مقارعة الأبطال والكر والفر والصولات والجولات والمبارزة والنزال والطعن بالسيف حتى تسيل - كما يسيل الماء - الدماء ، و«جفنة متحيرة» ملأى - كما يقال - بالدسم والطعام ، شاهدةً على جوده وكرمه - وهو الجانب الثانى من جوانب شخصيته - فى مجتمع يحتفى - لظروفه المعيشية الخاصة فى ظل الجدب والقحط وانتشار الفقر - شد ما يكون الاحتفاء بالأجواد الكرماء ، و«قصيدة محبرة» - ولايقال للقصيدة محبرة إلا إذا كانت جيدة حسنة - ولا غرابة ؛ فصاحبها - الذى يرثى نفسه الآن وهو لايزال على قيد الحياة - هو «أمير الشعراء» فى عصره ، والمقدم على غيره - ممن عاصره - فى رأى كثير من القدامى والمحدثين .

سيزول الجسد ، وتبقى هذه الأشياء ؛ تُذكر من بعده ، لكن بقاءها منوط - فى أعماقه - بالشك ، لذلك صدر كلامه بـ«رب» ، وشغله هذه المرة - وهو ما لم يشغله فى النص السابق - الغد - أعنى ما سيجىء من الزمان - وقرنه - كما ترى - بالمكان ؛ ذلك الذى قُدِّرَ له - ولاتدرى نفس بأى أرض تموت - أن يسكن فيه ، أو تسكن فيه جثته ، أبد الآباد .

---

(١٣) وقد نسب فى ديوانه (ت . أبو الفضل إبراهيم) ص ٧ لمجهول ؛ جاء فى تقديم الشارح للقصيدة المعلقة : «قال الأصمعى : وكان يقال لامرئ القيس الملك الضليل ، ومات بأنقرة من بلاد الروم منصرفاً عن قيصر ، وفيه يقول القائل : . . . » الأبيات . مع تغيير فى بعض كلماتها وترتيبها وحذف الثالث منها .

[٧]

(طويل / متواتر)

١ - أجـــارتَـنا إنَّ المَزارَ قَـــريبُ   وإنّى مُـقيمٌ مــا أقـامَ عَـسـيبُ
٢ - أجـــارتَنا إنَّا غَـــريبـــانِ ها هُنا   وكلُّ غَـريبٍ للغَـريبِ نَسـيبُ.

زاده أبو سهل - ونص على أنه مما قاله امرؤ القيس عند موته - وأورده آخرون كابن قتيبة وأبو الفرج الأصفهانى وعز الدين بن الأثير وابن كثير ، وزيد بعدهما فى شرح مقصورة ابن دريد (١٤) :

«فـإنْ تَصلينـا فالقَـرابَةُ بَيْـنَنـا   وإنْ تَصْرمينا فالقَريبُ غَريبُ
أجارتَنا ما فـاتَ ليـسَ يَؤُوبُ   وما هـو آتٍ فـى الزَّمـان قَريبُ
وليسَ غَريباً مَنْ تَـناءتْ ديـارُهُ   ولكنَّ مَنْ وارَى التُّرابُ غَريبُ».

يظل الشعور بالغربة هو الإحساس المهيمن على امرئ القيس ، يردفه هذه المرة تلك الإقامة الأبدية ؛ فسوف يقيم - برغمه - فى ذلك المكان ، إقامة الجبل، وهل هناك ما هو أرسخ من الجبال ؟! سوف يبقى ههنا - وانظر ضغط الإحساس بالمكان الذى دفعه إلى الإشارة إليه على هذا النحو ؛ فهو قريب منه ، بل هو ملتف حوله ؛ ذلك الالتفاف الذى يُشعر صاحبه بالاختناق - بقاء «عسيب» ، وهى إقامة مؤكدة - لا مجال للشك فيها - فاستخدم إنَّ مع الاسمية ، وآثر المشتق «مقيم» على الفعل «سأقيم» أو «سوف أقيم» الذى قد يتطرق إليه الشك نوعاً ما ، وقرن إقامته بإقامة الجبل - وهو أحد الثوابت المكانية فى وجه المتغيرات الكثيرة ومن بينها الإنسان نفسه فى بيئة العربى القديم - «ما أقام عسيب» .

---

[٧] ديوانه (ت . أبو الفضل إبراهيم) ص ٣٥٧ رقم ٩٧ / أخبار النساء ص ١٤٢ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣٢٢١ / البداية والنهاية م١ ص ٦٤٠ / الشعروالشعراء م١ ص ١٢١ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٠٥ .ومن المصادر الحديثة : شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٤ .

(١٤) طبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ ص ٨١ .

ويظل - برغم هذا كله - بارقة أمل - تـلوح فى تلك العتمة وتطل برأسـها وسط الظلام الكثيف - فالاتصال بالآخر - بل بالمرأة على وجه التحديد - لايزال ممكناً ، وقد اقترنت المرأة به - فى حياته - كما لم تقترن بشاعر آخر من الشعراء الجاهليين ، وها هى ذى تقترن - بشكل تلقائى - به ثانيةً وهو يموت ؛ يقول أبو الفرج الأصفـهانى : « ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ، مـاتت هناك فدفنت فى سفح جبل يقال له عسـيب ، فسأل عنها ،فأخبر بقصـتها ، فقال : " . . . " . ثم مات فدفن إلى جنب المرأة ، فقبره هناك»[15] .

وفى ندائه لها - بالهـمزة دون غيـرها - ما يُشعـر بالقرب ، وفى وصفـها بـ«الجارة» وإضافتـها إلى نفسه فى صيغة الجمع - تلـك الصيغة التى تتناسب مع إحسـاسه بذاته الملكيـة برغم ما هو فيـه - وتكرارها فى صدر البـيتين ما يُشـعر بـ(الحميمية) - آخر آماله فى تلك اللحظة - والقرب .

[٨]

(طويل / متواتر)

١ - لقدْ دَمَعَتْ عَـيْناىَ فى القَرِّ والقَيْظِ وهل تَدْمَـعُ العَـيْنانِ إلا مـن الغَـيْظِ
٢ - فلَمَّـا رأَيْتُ الشَّـرَّ ليـسَ ببـارِحٍ دَعَـوْتُ لنَفْسِـى عندَ ذلكَ بالفَـيْظِ .

وهى كذلك مما زاده أبو سهل - وصدرها بقـوله : «وقال أيضاً عند موته» - ولم أجدها فى غير الديوان . اليأس هو النغـمة السائدة ؛ فـ«الشر» - وقد لخص به أشيـاء كثيرة لم يصـرح بها كالمرض الذى ألم به وتغلغل فى جـسده - ليس - كمـا رآه - ببارح ، مما دعـاه ليس إلى الاستـسلام فـحسب وإنما - كمـا توضح الشطرة الأخيرة - إلى الدعاء بتـعجل وقوع الموت أو الهلاك ، فلعله يرتاح به مما هو فيه الآن ، وماذا لقى من قبل فى حياته التى حُسِدَ عليها - كما سيحسد المتنبى

---

(١٥) الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص ٣٢٢٠ ، ٣٢٢١ .

[٨] ديوانه ص ٣٥٧ رقم ٩٨ .

بعد - غير البكاء ؟! لقد دمعت عيناه فى «القر والقيظ» أو فى البرد والحر أو بالأحرى - وقد جمع بين الضدين - فى كل الأحوال ، وهل يبكى المرء وتدمع العين - وطالما بكى وطالما دمعت عيناه - إلامن الغيظ ؟!

ذلك الغيظ الذى أتمثله أكثر ما أتمثله فى إحساسه - كما سيحس المتنبى أيضاً - بالعجز ؛ فاليد تعجز عن تحقيق ما ترنو إليه العين ، والجسد لايمكنه مجاراة كل ما تهم به النفس ، خاصةً عندما تكون النفس - عظيمة كنفسه - فى نظر نفسه - أو كنفس المتنبى ، وكان لكل منهما ما كان من الآمال العظام ، وهل هناك عجز أشد مما هو فيه الآن وقد ترنح منه الجسد وخَرَّتْ رجلاه ولم يعد إلا «الفيظ» - كما يقول - أو الهلاك ؟!

فليأتِ الموت إذن ، لينفس عنه «الغيظ» ، وليبرح «الشر» ، ولتكف بعدُ العين - حين تنطفئ الروح ويبرد الجسد وتهمد النفس والأوصال - عن البكاء[16] .

(١٦) فى ديوان امرئ القيس قصائد أخرى ومقطوعات قالها فى مرضه بأنقرة ، وفيما قدمت - وهو ألصق فيما أرى بموضوعى - ما يكفى ؛ فليس المرض على الإطلاق ما يعنينى ولا كل ما قيل فيه من شعر ، وإنما - وهو ما اختطت لنفسى - ما كان له صلة مباشرة وآنية بالموت ، دون إغفال - بطبيعة الحال - لما يسبق ذلك - كالحال هنا - من شعر . ومنه - فيما يمكن الرجوع إليه بالديوان - ص ١٠٥ رقم ١٣ ومطلعها :

«ألِمَّا على الربْعِ القَدِيمِ بعَسْعَسا كأنّى أنادِى أو أُكَلِّمُ أخْرَسا».

وص ٣٣٩ رقم ٨٠ ومطلعها :

«لِمَنْ طَلَلٌ داثِرٌ آيُهُ تَقادَمَ فى سالِفِ الأحْرُسِ» .

وص ٨٩ رقم ٩ وفيها :

«فإمَّا تَرَيْنِى فى رِحالَةِ جابِرٍ على حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفِقُ أكْفانى
فيارُبَّ مكْروبٍ كَرَرْتُ وَراءَهُ وعانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عنه ففَدَّانى».

أوفى بن مطر المازنى (*)

[٩]

(كامل / متواتر)

١ - أَبلِغْ أُسَيِّدَ والهُجَيْمَ ومازِناً   ما أَحْدَثَتْ عُكْلٌ من الحَدَثانِ

٢ - يا قَوْمِ إِنّى لو خَشِيتُ مُجَمِّعاً   رَوَّيْتُ منه صَعْدَتى وسِنانى.

أَوْفَى بن مَطَرٍ أحد رجيلاء العرب الثلاثة ؛ هو والسُّلَيْكُ بن السُّلَكَة والمُنْتَشِرُ بن وَهْبٍ الباهِلِىّ ، كانوا يغيرون على أرجلهم فلا يلحق أحد بهم من شدة العدو، خرج يوماً مع رجلين ؛ أحدهما مالك أو شهاب - على اختلاف بين المصادر - والآخر يُدعى جابراً ، للإغارة على بنى أسد ، «فلقوا عِدادَهم ، فقُتل مالك ، وارتث أوفى جريحاً ، فقال أوفى لجابر : احملنى . قال : إن بنى أسد قريب ، وأنت ميت لامحالة ، وأن يُقتل واحد منا خير من أن يقتل اثنان . فتركه ونجا ، وأتى الحىَّ فأخبرهم أن أوفى قد قتل ، وتحامل أوفى إلى بعض المياه فتعالج بها حتى بَرَأَ ، ثم أقبل ، فلما دنا من الحى قال رجل من القوم وجابر فيهم : لولا أن الموتى لم يَأْنِ بَعْثُها لأنبأتكم أن هذا أوفى . فانسل جابر من القوم استحياء من الكذبة ، فما يُدْرَى أين وقع هو وولده إلى الساعة ، وخَبَّرَ أوفى بمقالته» . وقال شعراً فى خيانة صاحبه له (١) .

(*) **ترجمته وأخباره** : الأعلام م٧ ص ٢٨٣ / الأمالى لأبى على القالى جـ١ ص ٢٣٥ ، جـ٣ ص ١٠٢ ، ١٠٣ / الديباج لأبى عبيدة ص ٣٢ ، ٣٨ : ٤٠ / سمط اللآلى م١ ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ / شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٣٧ / شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٤٠٨ / لسان العرب (خطأ) و(خلل) / مجاز القرآن جـ١ ص ٧٨ ، جـ٢ ص ٥ / معجم البلدان جـ١ ص ٣٩٥ ، جـ٥ ص ٢٧ / معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٨٧ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٣٤ رقم ١٥١ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٧٨ رقم ١٠٤ .

[٩] الديباج لأبى عبيدة ص ٤٠ وقد اعتمدت روايته / معجم البلدان جـ١ ص ٣٩٥ وزاد بينهما :

«إنَّ الذى يَحْمِى ذِمارَ أَبِيكمُ   أَمْسَى يَمِيدُ بُبْرَقَة الرَّوحانِ».

(١) سمط اللآلى لأبى عبيد البَكرى - ت . عبد العزيز الميمنى (لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م) م١ ص ٤٦٦ . وانظر الخبر مفصلاً والشعر كذلك فى الديباج ص ٣٨ : ٤٠ والأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

وتتوالى الخيانة فى حياة هذا الصعلوك ؛ فيغزو مرة أخرى مع مجمع - وهو أبو وردان العكلى - ويغنمان ، «فبينا أوفى راقد أخذ مجمع سلاح أوفى فجدعه بالسيف ، وأخذ ما غنما ، فقال أوفى : . .»[٢] البيتين . وهلك على إثرها متأثراً بجراحه .

وأتساءل دهشاً وأنا أقرأ أخبار هذا الشاعر هل يمكن أن يكون الصعلوك على هذا النحو من حسن النية بالآخرين حتى لو كان هؤلاء الآخرون من الرفقاء ؟ وهل نسى الطعنة الأولى حتى يقع بمثل هذه السهولة فى براثن طعنة ثانية أودت - وكادت الأولى كذلك تودى - بحياته ؟!

إن الخيانة فى قصة أوفى - وغريب أن يكون اسمه أو لقبه مشتقاً من الوفاء[٣] - تمثل وجهاً صارخاً للجانب الذى حاول تغييبه من تعرضوا من قبل لدراسة هؤلاء الصعاليك فى العصر الجاهلى ؛ وهو الجانب السلبى أو القبيح .

فليبلغ عنه من يمكنه الإبلاغ «مازناً» - قبيلته - و«أسيد» و«الهجيم» ما أحدث العكلى به ؛ ليبقى صنيعه هذا وصمة عار فى جبين قبيلته «عكل» - لا فى جبينه وحده - فهل ينبت الشوك إلا المرار ؟! وليثأر له - والثأر دستور الصحراء - كل من يستطيع الثأر - ولايتخلى عن الثأر إلا الضعيف أو الجبان - من آله وذويه ، بل من قبائل أخرى - إن عجزت قبيلته عنه - تربطها بقبيلته - على ما يبدو - بعض الروابط والصلات .

وفيما يشبه الاعتذار ، وفى لهجة لاتخلو من الخطابية يتصدرها التعبير بـ«ياقوم» ، يحاول أوفى أن يبرر موقفه ؛ فقاتله هو صاحبه ، وهل يأخذ المرء

---

(٢) الديباج ص ٤٠ .

(٣) نص المرزبانى - فى «معجم الشعراء» ص ٣٨٧ - على أن اسمه مقرن ، وأوفى لقب له . وقلب الدكتور عفيف عبد الرحمن - فى «معجم الشعراء من العصر الجاهلى حتى نهاية العصر الأموى» ص ١٥١ - فجعل اسمه أوفى ، وذكر أن مقرناً لقب له .

حذره حتى من الأصحاب ؟! لو - وما جدوى «لو» الآن ؟ - خشى كما يقول مجمعاً أو بدرت منه بادرة من قبل تدل على سوء نواياه لرَوَّى رمحه من دماه ، ولأوقع به - قبل أن يوقع هو به - وتركه - كما تركه هو الآن - جزرة سائغة للنسور والعقبان .

ويحمل البيت - مع هذه النزعة الدموية - نوعاً من التأنيب الضمنى أو اللوم، ويمكنك استشعار الحسرة مع استخدامه «لو» التى تضعنا وجهاً لوجه - كما وضعته - أمام المستحيل ، فلن يروى سنانه ولا صعدته من دماء قاتله ، وسيمضى سالماً - إن لم يثأر أحد له - رغماً عنه .

بشر بن أبى خازم الأسدى (*)

[١٠]

(وافر / متواتر)

١ - أَسائلَةٌ عُمَيْرَةُ عن أبِيها خِلالَ الجَيْشِ تَعْتَرِفُ الرِّكابا

٢ - تُؤَمِّلُ أنْ أُأوبَ لها بنَهْبٍ ولم تَعْلَمْ بأنَّ السَّهْمَ صابا

٣ - فإنَّ أباكِ قد لاقَى غُلاماً من الأبْناءِ يَلْتَهِبُ التِهابا

(*) **ترجمته وأخباره :** أدب المجالسة ص ٥٠ / الاشتقاق ص ١٩ / الأعلام م٢ ص ٥٤ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٣٨١ ، جـ ١٧ ص ٦١٩٦ / الأمالى لأبى على القالى جـ٢ ص ٢٥٥ ، جـ٣ ص ١٧٠ / أنساب الأشراف جـ١ ص ٢٠ ، ٣٦ ، ١٠١ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ ص ١٤٦ ، ١٤٩ : ١٥٢ ، ٢٩٤ / البرصان والعرجان ص ٣٠٩ ، ٣٦٧ / بهجة المجالس جـ١ ص ٣٠٧ / البيان والتبيين جـ٢ ص ١١ ، جـ٣ ص ٢٠ ، ٤٠ ، ٧٥ / تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) جـ١ ص ١١٨ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٢٩٤ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١٦٣ / تاريخ الطبرى جـ٧ ص ٤٣٩ / تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢٦٣ /الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٧٤ / الحلبة فى أسماء الخيل ص ٣٨ / حماسة ابن الشجرى ص ١٠ ، ٣٦٩ ، ٩٠٠ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٨٤ ، ١٢٠ ، جـ٢ ص ٤٠٠ / حماسة الخالديين جـ١ ص ١٤٤ ، ١٦٤ ، جـ٢ ص ٣ ، ١٤١ ، ١٩٥ / الحماسة المغربية ص ٧٠٠ / الحيوان جـ١ ص ٣١٦ ، جـ٦ ص ٤٨٤ / خزانة الأدب جـ٢ ص ٢٦١ / ديوان الشعر العربى جـ١ ص ٤٢ / ديوان المعانى جـ١ ص ١٣٩ ، ٢٣٨ ، جـ٢ ص ١٢ ، ١٣ ، ٧٢ /شرح المفضليات ص ٦٤٠ : ٦٨٥ / الشعر والشعراء م١ ص ٢٧٠ / كتاب الصناعتين ص ١٢٧ ، ٢٨١ ، ٣٩٥ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ٩٧ / العقد الفريد جـ٣ ص ٥٨ ، جـ٦ ص ٨٦ / العمدة جـ١ ص ٩٥ ، ٩٦ / عيار الشعر ص ١٠٦ ، ١١١ ، ١٢٦ / عيون الأخبار جـ١ ص ٨٨ ، جـ٢ ص ٨٧ ، جـ٣ ص ٣٠ ، ٩٦ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ٤٢ / مختارات ابن الشجرى ص ٢٥٤ : ٤٠٦ / المصون فى الأدب ص ١٣ ، ٧٧ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٣٩ رقم ١٨٨ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٨٢ رقم ١٣٣ / المفضليات ص ٣٢٩ : ٣٤٨ / المنازل والديار ص ٧ ، ٥٤ ، ٩٠ ، ١٧٥ / الموشح ص ٦٧ / الموشى ص ٨٤ / نشوة الطرب ص ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٥٦٣ ، نوادر المخطوطات جـ١ ص ٢٦١ ، جـ٢ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

[١٠] ديوانه - ت . د . عزة حسن - ص ٧٣ رقم ٥ / مختارات ابن الشجرى ص ٣٣٦ / منتهى الطلب جـ٢ ص ١٨٧ . وفى تاريخ الأدب العربى (فروخ)جـ١ ص ٧٤ - خمسة أبيات منها .

٤ - وإنَّ الوائـلـيَّ أصـــــابَ قَلْـبى ... بسَـــهْـمٍ لم يكُنْ يُـكْـسَى لُـغـــابا
٥ - فـرَجِّى الخَـيْـرَ وانـتَظِرى إيابى ... إذا مـــا الـقـــارظُ الـعَنَزِىُّ آبا
٦ - فـمَنْ يَكُ سائلاً عن بَيْت بشْـرٍ ... فـــإنَّ لـه بـجَنْـب الـرَّدْه بابـا
٧ - ثَوَى فـى مُلْـحَــــد لابُدَّ مـنه ... كَـــفَى بالمَـوْت نَأْياً واغْـــتِـــرابا
٨ - رَهينَ بِلًى وكلُّ فَـــتًى سَـيَـبْلَى ... فـأذْرِى الدَّمْعَ وانْـتَـحِبى انتِـحـابا
٩ - مَضَى قَـصْدَ السَّـبيلِ وكلُّ حَىٍّ ... إذا يُدْعَـى لمِيـــتَـــتِــه أجـــابا
١٠ - فإنْ أَهْلِكْ عُمَـيْرَ فرُبَّ زَحْفٍ ... يُشَـبَّـهُ نَـقْـعُـهُ عَـدْواً ضَـبابا
١١ - سَـمَـوْتُ له لألْبِـسَـهُ بزَحْفٍ ... كـمـا لَفَّتْ شَـآمِـيَـةٌ سَـحـابا
١٢ - على رَبِـذٍ قَـوائمُـهُ إذا مـا ... شَـأَتْهُ الخَـيْـلُ يَنْـسَـرِبُ انْـسِـرابا
١٣ - شَـديد الأسْرِ يَحْـمِلُ أَرْيَحِيّاً ... أخـا ثـقَـــة إذا الحَــدَثانُ نـابا
١٤ - صَبُـوراً عند مُخْتَـلَف العَوالى ... إذا مـا الحَــرْبُ أبْرَزَت الكَعـــابا
١٥ - وطالَ تَشـاجُرُ الأبطال فـيهـا ... وأَبْدَتْ نـاجِــذاً منـهــا ونـابا
١٦ - فـعَــزَّ علىَّ أنْ عَـجِـلَ المَنايا ... ولَمَّا أَلْـقَ كَـعْـبـاً أو كِـلابا
١٧ - ولَمَّا أَلْقَ خَـيْـلاً من نُمَـيْـرٍ ... تَضِبُّ لِـثـاتُهـا تَرْجُـو النِّـهـابا
١٨ - ولَمَّا تَلْـتَـبِسْ خَـيْلٌ بخَـيْلٍ ... فـيَطَّـعِنُوا ويَـضْطَرِبُـوا اضْطِـرابا
١٩ - فـيـا لَلنَّاس إنَّ قَناةَ قَـومى ... أَبَتْ بِثـقـافِـهـا إلا انـقِـلابا
٢٠ - هُمُ جَدَعُوا الأُنُوفَ فـأوْعَبُوها ... وهمْ تَرَكُـوا بَنِى سَـعْـدٍ يَبـابا .

يرثى بِشْرُ بن أبى خـازِمٍ فى هذه القصيـدة نفسه بعد أن رمـاه - فى غزاة - غلام من بنى وائل بن صعصعة يُدْعى عمرو بن حذار[1] ، وهى من جيد شعره، وقد رواهـا له غير واحـد من الثـقاة - كابـن الشجرى وابـن ميمـون - وأوردها

---

(١) كذا فى معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٢٢ ، وسماه الأنبارى «عبساً» فى شرح المفضليات ص ٣١ ، وجاء فى معجم البلدان - جـ٢ ص ٢١ - أن الذى رماه هو نعيم بن عبد مناف بن رياح الباهلى . انظر هامش الديوان ص ٧٣ .

الدكتور عزة حسن فى صلب الديوان ، إلا أن الجاحظ شكك - وهو مما ينبغى أن نضعه بداية فى الحسبان - فى نسبتها إليه ، وذهب إلى أنها مصنوعة [٢] ، ولم أجد - فيما اطلعت عليه - ما يدعم هذا الشك ؛ فلم يتابع الجاحظ أحد عليه ، وقد استشهد ببعضها - غير من رواها كاملة - المبرد وابن دريد وابن منظور وابن رشيق وابن سلام والبكرى والميدانى وأبو هلال العسكرى والمرتضى وياقوت الحموى [٣]، ولم يشر أىٌّ من هؤلاء إلى ما أشار الجاحظ إليه .

يقول ابن الشجرى : « كان غلام من الأبناء رمى بشر بن أبى خازم بسهم فأثخنه . . . وأن بشراً أسر الوائلى ، ثم أيقن بشر أنه ميت ، فأطلق الغلام فى بعض الطريق ، وقال : انطلق وأخبر أهلك أنك قتلت بشر بن أبى خازم . ثم اجتمع إليه أصحابه ، فقالوا له : أوص . فقال هذه القصيدة وهو يجود بنفسه»[٤].

الموت إذن - وقد تيقن منه - كان يحلق فوقه وهو يصوغ - على عجلة من أمره - هذه الكلمات ، وابنته التى تنتظر أوبته هى شغله الشاغل منذ البداية ، تتراءى له - وقد استشرف تلك اللحظات - وهى تجول - بل تجوس - متلهفة «خلال الجيش» ، تسأل - بل تسائل - فى جزع كل من تراه : أين أبى؟!

وحين تواجه بالصمت ، وحين تموت على الألسنة الكلمات - أو تتلكأ أو تخنقها العبرات - تتيقن من موته ، ولايعد للشك - ملاذها الواهن الضعيف - مجال . ويستمر السؤال - ويليه سؤال ثم سؤال - لم ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ وغيرها؛ فهى «تعترف» - على حد تعبيره - الركاب ، لاتسأل لتعرف - كما جاء

---

(٢) الحيوان جـ٦ ص ٢٧٩ .

(٣) انظر تخريج الأبيات بالديوان ص ٧٣ : ٧٧ .

(٤) مختارات ابن الشجرى ص ٣٣٦ .

فى كتب اللغة [٥] - فحسب ، وإنما يحـمل التساؤل - فيمـا يحمل - ههنا معنى الإدانة ، ويدفع - فيما أتصور - إلى شىء من الإقرار أو الاعتراف .

ولا أدرى هل من قبيل المصـادفة أن يكون اسم الابنة (عميرة) المشتـقة أساساً من العمر ، أم هو توظيف فنى لأسماء النساء فى مـفتتح قصائدهم على ما يذهب إليه بعض الدارسين ؟ يقول الدكـتور عبد الله أحمد باقـازى : « إن لفظة (عميرة) باستبطانها على دلالة الفعل (عمر) تصوير لهاجس الشاعر الذى يلاقى منيته ، وقد كان يتمنى لو عمـر وطال به العمر . إن اسم (عميرة) يفـجر فى أفق البيت معنى (التعمير) الذى خالج أباها بشراً ولم ينله»[٦] .

إن فقد عميرة له يعادل فقده للعـمر ، وما تساؤلها إلا تعبير عن الدهشة التى انتابته وهو يواجه الموت - على هذا النحو الفجـائى - دونما حجاب ، وما تعرفها الركاب إلا نوع من (الإدانة) غير المباشرة لمن كان معه - أثناء العودة - من الرفاق.

وماذا تؤمل الابنة ؟ تؤمل أن يعـود لها - هكذا كان أملها من قـبل ؛ قبل أن يأتيها الخبر المشئـوم - لها هى على وجه خاص - هى التى تنتظره دون سائر الناس - محملاً بالغنائم والنهاب ، ولم تعلم - ويا للأقدار - أن أباها قد صار هو نفسه نهبـاً للموت ، وأن السـهم - سهم الموت عـلى الحقيـقة ، أو سـهم الوائلى على مايتبدى من السـياق - قد أصاب منه الفؤاد ، فلا هو عـاد - كما تمنت - سالماً ، ولا هى حازت ما اعتادت - فى كل مرة يعود فيها سالماً - من الغنائم والنهاب .

وأى التهـاب يلتهـبه ذلك الغلام ؟ ومـا حقيـقة السهـم الذى رماه به ؟ ومن الأبناء ؟ أما الأبناء فوائلة - البطن الذى ينـتمى إليه قاتله كما أشـرت - وقد نسبه بشر إليه صراحة فى البيت الرابع - ومُرَّةَ ومازن وغاضرة وسلول ، أبناء صعصعة؛

---

(٥) فى اللسان (عرف): «اعترف القومَ :سألهم . وقيل:سألهم عن خبر ليعرفه» . واستشهد بالبيت .
(٦)رثاء النفس فى الشعر العربى (المكتبة الفيصلية - القاهرة سنة ١٩٨٧م) ص ٣٠ .

فكل من ينتمي إليه - خلا عامر - يطلق عليهم «الأبناء»(٧) . وأما الالتهاب فيقرب من أذهاننا «حرارة الموت» أو «الموت الأحمر» كما يقول أحد الدارسين (٨) . وأما السهم فـ«لم يكن يُكْسَى لُغابا» ، وليس مما يقال له لُغاب ؛ واللغاب - كما جاء فى هامش الديوان (٩) - «الريش الردىء ، يكسى به السهم فلا يعتدل ولا يلتئم ، فإذا رمي به لم يذهب بعيداً ولم يصب» . وفى الكامل للمبرد - وقد نقله المحقق عنه - : « وإذا كانت الريشات بطن الواحدة منها إلى ظهر الأخرى فهو الذى يُختار ، وهو الذى يقال له اللؤام ، وإنما أخذ من قولهم ملتئم ، وإن كان ظهر الواحدة إلى ظهر الأخرى وبطنها إلى بطن الأخرى فذلك مكروه ، يقال له اللغاب» (١٠) .

«فَرَجِّي الخير» - وهل بعد ما مضى خير ترجوه ابنته من بعد ؟ - يقولها سخرية بطبيعة الحال ، وانتظرى أوبتى ، تلك الأوبة المستحيلة التى يقرنها - فى محاولة منه لتيئيسها - كعادتهم بأوبة القارظ العنزى ، وهو مما يضرب به الأمثال . ولعله يفرغ - مع السخرية - إحساسه بالحسرة والمرارة ، تلك الحسرة والمرارة التى تتبدى أوضح ما تكون فى البيت التالى مباشرة :

فمَنْ يَكُ سائلاً عن بَيْتِ بِشْرٍ ... فإنَّ له بجَنْبِ الرَّدْهِ بابا

والبيت يريد به القبر ، والرده المكان الذى دفن به - وهو فى أرض قيس - والباب جعله للقبر حين جعل القبر نفسه - على سبيل السخرية - بيتاً ؛ يقول ابن منظور : « إنما عنى بالبيت القبر ، ولما جعله بيتاً ، وكانت البيوت ذوات أبواب ،

---

(٧) مختارات ابن الشجرى ص ٣٦٦ . والديوان - وقد نقله محققه عن ابن الشجرى - ص ٧٣ .

(٨) رثاء النفس فى الشعر العربى ص٣٠ .

(٩) ص ٧٤ .

(١٠) الكامل (ط . الحلبى) ص ٦٥ . وانظر الديوان ص ٧٤ هـ ٤ .

استجاز أن يجعل له باباً»[11] . ويقول آخر : « إن موقف السخرية الذى انتاب أبيات القصيدة فى لحظة اصطدام مفهومى (الحياة) و(الموت) والذى طرحه الشاعر هنا يعتبر نتيجة لثمرة ذلك الاصطدام فى ذهن الشاعر فى هذه اللحظة ، كما يغرق الشخص فى ضحك يوقفه على مشارف البكاء ، وتزول الدموع من عينيه فى نفس اللحظة ، فتحصل (المفارقة) ويختلط الضحك بالبكاء فى لحظة هستيرية غير واضحة المعالم ، إن شيئاً من هذا قد انتاب بشر بن [أبى] خازم فوقف على لحظة جعلته يسخر ؛ لأن مفارقة الموت والحياة جعلته يعيش هذه الحالة فى نفس اللحظات التى كان فيها يواجه الموت ويودع الحياة»[12] .

وتغادر الشاعر - منذ البيت السابع تحديداً - نبرة السخرية ، وتستغرقه - على ما هو فيه - لحظة تأمل عجيب ، يدفعه إلى الاستسلام - لا التمرد ، أو السخرية كما حاول من قبل - فها هو ذا - ويستشرف مرة أخرى تلك اللحظات - يثوى أو يهوى - على اختلاف فى الرواية - بل «ثوى» - بصيغة التحقيق - فى لحده ، وهذا اللحد - وقد تراءى له - «لابد منه» - وهنا يخرج من الخصوص إلى العموم لتنبثق الحكمة بشكل عفوى - أو لا مهرب منه ولا مفر ، و«كفى بالموت نأياً واغتراباً» ، وهل هناك أبعد أو أشد غربة من هؤلاء الذين أبعدهم - كما أبعده - الموت ، وغربهم - فأوحشهم وأوحش منهم كل شىء - كما غربه وأوحش منه ؟!

وإذا كان الموت قد أبلاه - أو تركه «رهين بلى» كما يقول - فـ«كل فتى سيبلى» ، سبيل يتبع فيه الغابر من مضى ويتعاقبه - وهنا تتولد مرة أخرى الحكمة- الأحياء ؛ «وكل حىٍّ إذا يُدعى لميتته أجابا» ، شاء أو لم يشأ ، فلا مجال لرفض النداء ، ولا مناص من قبول الدعوة ، كما يقبلها هو - وقد بلغ به التسليم مبلغه - الآن .

(١١) لسان العرب (بوب) .

(١٢) رثاء النفس فى الشعر العربى ص ٣١ ، ٣٢ .

لكن يكفيه – وفى هذا بعض العزاء – أنه مضى حين مضى غير ضعيف أو جبان ؛ فإن يهلك – وهنا ينتقل إلى الفخر وتعلو نبرة الإحساس بالذات – فطالما شارك من قبل – وتلك حقيقة – فى القتال ، وطالما كانت له فى ساحة الحرب مآثر سوف يذكرها له قومه – بعد رحيله – بكل فخار ، فكم سما للزحف فى أحلك اللحظات ، وكم لبس الجيش بالجيش كما تلف الريح السحاب ، ولاينسى فرسه – رفيق رحلته وشاهد عيان – فيخلع عليه – على سبيل الاستطراد كما يسميه البلاغيون أو الاستئناس كما يتبدى لى ههنا من وحشة الموت – ما يخلعه من الصفات ، ويقف عند الحرب مرة أخرى ، ويتفنن فى إخراج صورها – ولعل هذا ما حدا بالجاحظ إلى الشك فيها ونسبتها من ثم إلى الشعر المصنوع – فنراها وقد «أبدتْ ناجِذاً منها ونابا» ونراها – حين تشتد – وقد «أبرزت الكعابا» ، ونرى «تشاجر الأبطال فيها» ، واختلاف الرماح – ما بين صعود وهبوط وطعن أو رمى واستلال – ونرى الخيل فيها – وإن جاءت فى سياق ما يتمناه – «تضب لثاتها» – يتحلب ريقها شهوة للقتال – ترجو النهاب ، ونرى كذلك التباس الخيل بالخيل ، والطعن والحركة الشديدة – ما بين كر وفر – أو ما يسميه هو بالاضطراب . ثم يعرج – آخرها – على قومه ؛ ليمزج الفخر الذاتى بالقبلى .

ونلمح فى ثنايا الفخر نبرة أسى ؛ فهذا الفارس الصنديد الذى ينعى لنا ولابنته نفسه لم يمتد به العمر ليشفى نفسه – ويشفى معها نفوس غيره من أبناء قبيلته – من «كعب» و«نمير» و«كلاب» وهى بطون من بنى عامر كان بينها وبين بنى أسد – قومه – حروب طويلة وصراع دموى مرير ؛ فها هو ذا يموت ولم يلق «كعباً أو كلاباً» ولم يلق «خيلاً من نمير» ، وكأن رسالته لم تكتمل بعد ، وكأن الموت – أو المنايا على حد تعبيره – قد أعجلته فاختصرت عمره ، ولم تسمح له – وهو ما كان يرجوه أو يتمناه – بالمزيد ، فلتذرِ ابنته الدمع عليه – مع أبناء قبيلته – ولتشق – كما جاء فى رواية أخرى – الجيب،ولتنتحب من أجله بعد رحيله عنها انتحابا .

دويد بن زيد النهدى (*)

[١١]

(رجز / متدارك)

١ - اليَـــوْمَ يُبْنَى لـدُوَيْدٍ بَيْـــتُـــهُ
٢ - لو كــانَ للدَّهْرِ بِلًـى أَبْلَيْتُــهُ
٣ - أو كـانَ قِرْنِى واحِـداً كَـفَـيْتُـهُ
٤ - يارُبَّ نَهْـبٍ صـالِحٍ حَـوَيْتُــهُ
٥ - ورُبَّ غَــيْـلٍ حَـسَنٍ لَوَيْتُـهُ
٦ - ومِـعْـصَمٍ مُـخَـضَّـبٍ ثَنَيْتُـهُ.

قدم ابن سلام لهذه الأبيات بقوله : «ومما يُروى من قديم الشعر قول دويد بن زيد بن نهـد ؛ قال حين حـضره الموت : . .»[١] . وقال ابن قـتيبة : «لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيـات يقولها الرجل عند حدوث الحاجة ، فـمن قديم الشعر قـول دويد بن نهـد القضـاعى : . .»[٢] . وفى هذا رد كـاف - وقد اسـتخـدم

(*) **ترجمته وأخباره** : الاشتقاق ص ٥٤٨ / أمـالى المرتضى جـ١ ص ٢٣٧ / التعازى والمراثى ص ٢٥٩ / جمـهرة الأمـثال جـ١ ص ٨٤ / جـمهرة نسب قـريش رقم ٧٥٩ / الروض الأنف م١ ص١١٠ / شرح مـا يقع فيه التـصحيف ص ٤٢٨ / الشعـر والشعراء م١ ص١٠٤ / طبـقات فحول الشعراء م١ ص٣١ / القاموس (دود) / معـجم ما استعجم ص ٣٤ / المعمرون والوصايا ص ٢٠ / المؤتلف والمختلف ص ١٤٤ رقم ٣٤١ .

[١١] طبقات فحول الشعراء م١ ص٣٢ وقـد اعتمدت روايته / التعازى والمراثى ص ٢٥٩ / الروض الأنف م١ ص١١٠ / الشعر والشعراء م١ ص١٠٤ / القـاموس (دود) / المعمرون والوصايا ص ٢٠ / المؤتلف والمختلف ص ١٤٤ / معجم ما استعجم جـ١ ص ٣٤ .

(١) طبقات فحول الشعراء م١ ص٣١ .

(٢) الشعر والشعراء م١ ص١٠٤ .

الرجلان صيغة القطع - على من قال إن هذا الشعر قيل بعد ظهور الإسلام [٣].

أما دُوَيْد - ولم أجد فى الحق ترجمة كافية له - فقد اختُلف فى اسمه ونسبه - كما اختُلف فى سنه حين أتاه الموت - فقيل دويد - بالدال - وهو ما عليه أغلبهم ، وقال السهيلى «ذويد» - بالمعجمة - «واسمه زيد بن نهد» [٤] . وهو دويد بن نهد - عند ابن قتيبة [٥] - ودويد النهدى - عند المبرد [٦] - ودويد بن زيد بن نهد عند آخرين كابن سلام والآمدى وابن دريد [٧] .

وهو - فيما يتعلق بالسن - أحد المعمرين ، لم يشذ عن ذلك أحد ممن ترجم له ، إلا أن بعضهم حاول تحديد عمره فجاء من ثم الاختلاف ؛ قال السهيلى : «عاش ذويد أربعمائة عام - فيما ذكروا - وكان له آثار فى العرب ووقائع وغارات»[٨] . وقال آخرون كأبى حاتم السجستانى إنه عاش أربعمائة وست وخمسين سنة [٩] . وفى القاموس (دود) أنه عاش أربعمائة وخمسين سنة وبقى حتى ظهر الإسلام .

وطول عمره - سواء عاش أربعمائة عام كما ذهب إليه بعضهم أو أكثر أو أقل

(٣) وهو ما ذهب إليه صاحب القاموس المحيط ؛ حيث أشار إلى أنه عاش أربعمائة وخمسين عاماً وأدرك الإسلام وهو لايعقل ، ونص - كما نص الآخرون - على أنه قال هذا الشعر أثناء الاحتضار .

(٤) الروض الأنف م١ ص ١١٠ وفى معجم ما استعجم - ص ٣٤ - «الذُّوَيْدُ ، واسمه جَذِيمة بن صُبْح بن زيد بن نهد» .

(٥) الشعر والشعراء م١ ص ١٠٤ .

(٦) التعازى والمراثى ص ٢٥٩ .

(٧) طبقات فحول الشعراء م١ ص ٣١ . المؤتلف والمختلف ص ١٤٤ . الاشتقاق ص ٥٤٨ .

(٨) الروض الأنف م١ ص ١١٠ . وفى التعازى والمراثى ص ٢٥٩ «قال حرب - وذكر المعمرين - : عاش دويد النهدى أربعمائة سنة» .

(٩) المعمرون والوصايا ص ٢٠ .

، وأنا أشك حقيقة فى تلك الأرقام - كان مدعاة إلى سأمه وملله - ولك أن تتخيل ما صار إليه بعد هذه السن من العجز والمرض والوهن أو الضعف - بل إلى سخطه فى بعض الأحيان وضجره ، ودفعه - وهو الأهم - إلى كراهية الحياة وسوء الظن - أو السوداوية - بالناس ؛ قال ابن سلام : «وأوصى بنيه عند موته فقال : أوصيكم بالناس شراً ، لاتقبلوا لهم معذرة ، ولا تقيلوهم عثرة»[١٠] .

وأورد له قوله :

«أَلْقَى علىَّ الدَّهْرُ رِجْلاً ويَدا
والدَّهْرُ ما أَصْلَحَ يَوْماً أَفْسَدا
يُصْلِحُهُ اليَوْمَ ويُفْسِدُهُ غَدا» .

وهو يؤكد- فيما أزعم - ما أشرت إليه .

اليوم - وما أدراك ما اليوم ؟ - حيث اللحظة الراهنة ، تشغله بمرارتها عن كل ما أمضاه - أو أبلاه - من السنوات - بفرحها وترحها وحلوها ومرها - اليوم وتحت عينيه يُبنى له بيت ، ليس كسائر البيوت التى سكن فيها - أو عَمَّرَها - من قبل ، وإنما هو بيت الدود والخراب - و(دويد) اسمه تصغير (دود) على ما جاء فى الاشتقاق [١١] ، أشئم به من اتفاق - والدهر غريمه - وهو ما يشقيه حقاً - سوف يظل من بعده ، يهزأ به - فى صمت - ويسخر مما قد اعتراه - كغيره - من الفناء ، فلو كان للدهر - وهو العدو الحقيقى على ما يرى للإنسان - بِلًى أبلاه ، لكن الدهر لايبلى ، البلى نصيب الإنسان ، مهما طال به العمر - كما طال به - فإلى فناء .

غريب أمره حقاً وهو يصارع - صراع (سيزيف) الأبدى ، وصراع غيره

---

(١٠) طبقات فحول الشعراء م١ ص٣٢ ، ٣٣ والمؤتلف والمختلف ص ١٤٥ . وفى التعازى والمراثى ص ٢٥٩ : «اوصيكم بالناس شراً ، طَعْناً لَزاً ، وضَرْباً أزاً ...» .

(١١) ص ٥٤٨ .

لطواحين الهـواء - بلا جـدوى أكثـر من عدو خـفى - الدهر لاشك أحـدهم بل أبرزهم على الإطلاق - فلو كان هذا العدو واحداً لكفـاه ، ولو كان لهذا العدو - أو الأعداء - ملامح واضحة أو نازله منازلة الشـرفاء - وجهاً لوجه - لتكفل به ، لكن - وتعلم مثلى الإجابة سلفاً من استخـدامه حرف الاستحالة «لو» - القرن - ويا أسفاه - غير واحد وغير صريح فى آن ، فليستسلم مقهوراً ، وليعلن على الملأ هزيمته ، وليرحل - والأمر كذلك - فى صمت .

هكذا كان ينبغى أن تكون الحال - أو هو ما توقعته منه على أية حال - لكن الفارس يأبى مثل هذا الاستسلام المر - مع اعترافه بالهزيمة بداية - فيصحو فجأة ، ويرتد - أعنف ما يكون الارتداد - إلى الوراء ، ويعلن تمرده - بشكل ضمنى غير صريح - على الموت - وعلى الدهـر حليف الموت - ويستمـد من الذاكرة لقطات تعينه على تلك المواجهـة غير المتكافئة ؛ فيـا رُبَّ نهب صالح - ولايريد بالصلاح ههنا غير الكثرة - قـد حواه ، ويارب ساعد ممتلئ ريان - ويعنى صاحبـته الناعمة الشابة - قـد حازه - فى شـبابه - ولواه ، ويارب مـعصم لايزال الخـضاب على أطرافه - لعروس قد زينوها بالحناء - قد امتلكها - دون عرسها - عنوة وثناه .

«النهب» و«الغيل» و«المعصم» تجسـد الماضى المجيد - من منظوره هو ومنظور العصـر الذى عاش فيـه - وتمده - وهو أحوج ما يكـون إلى المدد أو العون - بما يعينه على مواجهة الفناء ، فإذا كـان الدهر قد قهره وأرداه فلا أقل من أن يُظهر - فى تلك اللحظة بالذات - أمجاداً له صنعها - وسوف تُذكر من بعده - يوماً ما ، يحاول بها - ما اسـتطاع - أن يستر عن عيون الآخرين مـا آل إليه من الضعف ، فلا يبدو منكسراً ، ولا يطأطئ رأسه ، ولايحبو حبو الذليل مثواه .

ربيعة بن مكدم الكنانى (*)

[١٢]

(رجز / مترادف)

١ - شُـدِّى عَلَىَّ العَـصْبَ أُمَّ سَيَّـارْ
٢ - لقـد رُزِيت فـارِسـاً كـالدِّينارْ
٣ - يَطْعَـنُ بالرُّمْحِ أمــامَ الأدْبارْ.

قُتِلَ رَبِيعَـةُ بن مُكَدَّم - حامى الظعينة - فى صراعٍ قـبلى - من أجل الثأر - قتله رجل من بنى سليم يدعى نبيشة بن حـبيب - وتقول خزاعة بل قتله أهبان بن غادية الخزاعى ، أخو نبـيشة لأمه - وسجل التاريخ له - بكل فخـار - حمايته - وهو ما عَرَّضَهُ للقتل - للنساء ، بل يـقال إنه حماهن - ولا يُعلم هذا فى غيره - حياً وميتاً ، فحمل عن جدارة - فى مصادرنا القديمة - لقبه الذى اقترن به .

وقع بين نفر من بنى سليم بن منصور ونفـر من بنى فراس بن مالك بن كنانة - قوم ربيـعة - تناوش واحـتكاك ، «فقـتلت بنو فـراس رجلين من بنى سليم بن منصور ، ثم إنهم وَدَوْهُما ، ثم ضـرب الدهر ضَرَبانَهُ ، فخرج نبيشـة بن حبيب السلمى غازياً ، فلقى ظُعُناً من بنى كنانة بالكَدِيد ، فى نفر من قومه ، وبصر بهم

(*) ترجمته وأخباره : الأعلام م٣ ص ١٧ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٦ ص ٥٨٢١ / الأمالى لأبى على القـالى جـ٢ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، جـ٣ ص ١٤ / الأنـوار ومحـاسن الأشـعـار ص ١١٣ : ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣١ / بلوغ الأرب للألوسى جـ١ ص ١٤٤ / البيـان والتبيين جـ١ ص ٢٤٩ / تاريخ الطبرى جـ٧ ص ٦٢١ / تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٦١ / تجريد الأغانى ص ١٦٨٨ / التذكرة الفخرية ص ٩١ / الحلبة فى أسماء الخيل ص ٥٣ ، ٥٩ / رسالة الغفران ص ٥٥٩ / سمط اللآلى جـ٢ ص ٩١٠ / الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان ص ١٩٧ : ٢٠١ / طبـقات الشـعراء ص ٣١١ / العـقد الفـريد جـ١ ص ٨٣ ، جـ٣ ص ٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ ، جـ٦ ص ٢٩ : ٣٤ / مختـار الأغانى جـ٤ ص ٣ / معـجم الشعراء (عـفيف) ص ٦٧ رقم ٥٧٦ .

[١٢] الأغانى (ط . الشعب) جـ١٦ ص ٥٨٢٣ .

نفر من بنى فراس بن مالك ، فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس والحرث ابن مكدم ، أبو الفارعة . . . فلما رآهم أبو الفارعة قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدم : أنا أذهب حتى أعلم علم القوم فآتيكم بخبرهم. فتوجه نحوهم . . . ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد له فى طريق الظعن ، وانفرد به رجل من القوم ، فقتله ربيعة ، ثم رماه نبيشة أو طعنه ، فلحق بالظعن يستدمى ، حتى أتى إلى أم سيار ، فقال : اجعلى على يدى عصابة . وهو يرتجز ويقول : . .»[1] الأبيات .

وشدت أمه العصابة على يديه وأمرته أن يخرج فيشد على القوم ، ويدفع عن الظعائن ، ومنعت - فيما يقال - عنه الماء حتى لايسبق الموت إليه ، ورددت فى مسمعيه شعراً يوثبه ويحرك فيه - برغم ماهو فيه - الزهو والفخار ، فخرج والدم لايزال يسيل ، «ونزفه الدم حتى أُثْخِنَ ، فقال للظعن : أوضعن ركابكن خلفى حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحى ، فإنى لما بى ، وسوف أقف دونكن على العقبة وأعتمد على رمحى ، فلن يقدموا عليكن لمكانى . ففعلن ذلك ، فنجون إلى مأمنهن»[2] .

واعتمد الرمح ، ومات على حالته تلك فوق ظهر فرسه ، ولم يجرؤ أحد على التقدم نحوه ، حتى أفلتت النساء ، وطال الوقت ، فشك نبيشة فى موته ، فرمى الفرس - أو أمر رجلاً من خزاعه أن يرميها - بسهمه ، فقمصت وخر على الأرض . قال أبو عبيدة - فيما نقله عنه أبو الفرج الأصفهانى - : « قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غَيْرَهُ . قال : وإنه يومئذ له ذؤابة»[3] .

---

(١) الأغانى (ط . الشعب) جـ١٦ ص ٥٨٢١ ، ٥٨٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٨٢٣ .

(٣) المصدر نفسه والصحيفة .

لكن هل يقاس المرء بسنه ؟! نعم كان شاباً لايزال ، له ذؤابة - يعنى بها ويتجمل - كسائر الشباب ، لكنه - وهو ما سجلته مصادرنا القديمة له - مات دون الحرمات ، فلم يسلمهن - وهو فى قلة - ولم يتخل - وفيهن أمه وأخته - عنهن .

شُدِّى يا أمُّ العصابة ، وامنعى الدم أن يسيل ، لازالت فى النفس حشاشة ، والوقت قصير . لم تجزع الأم وقد رأت ما رأته به ، وقالت له : يا بنى

إنَّا بَنُو ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكِ ... مُرَزَّأٌ أخْبارُنا كَذَلِكِ
من بينِ مَقْتُولٍ وبينِ هالِكِ ... ولا يَكُونُ الرُّزْءُ إلا ذلكِ

فتقدمْ نحوهم ، واصنع ما ينبغى أن يصنعه - وأنت منهم - الأخيار . «فاستسقاها ماء ، فقالت : إنك إن شربتَ الماء مت» . فكر راجعاً ولم يبل شفتيه الماء .

بعضُ عزائك يا أمُّ فىَّ أنك رزئت فارساً - وللفروسية مدلول عميق تعرفه لاشك الأم ، وتبعات تَحَمَّلَ على حداثته بعضها - ليس كسائر الفرسان ، فارساً من نوع نادر كالدينار ، يطعن - وقد تغنى بشجاعته ليواسى الأم فيشغلها عما به، ويواسى أيضاً نفسه وهو يواجه شبح الموت - بالرمح فى ظهور الأعداء ، لا غدراً - كما قد يُتخيل أو يُظن - وإنما لان أحداً - مهما بلغ - لايمكنه الثبات أمامه - هذا ابنك فافخرى - أو الوقوف فى وجهه ، وكثيرون هم - ولم يسعفه الوقت على ما يبدو لذكرهم فاكتفى بالإشارة - من ولوه - على مكانتهم وذيوع شهرتهم - الأدبار(٤) .

---

(٤) ضرب بربيعة المثل فى الشجاعة فقيل : «أشجع من ربيعة بن مكدم». العقد الفريد جـ٣ ص ٨ . وقد سجل التاريخ له فرار دريد بن الصمة - وهو من هو - منه ، وعمرو بن معديكرب الزبيدى. انظر : الأغانى (ط . الشعب) جـ١٦ ص ٣٨٣٦ : ٣٨٣٩ والأمالى لأبى على القالى جـ٢ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ والعقد الفريد جـ٦ ص ٢٩ ، ٣٠ .

زهير بن جناب الكلبى (*)

[١٣]

(كامل / متواتر)

١ - أَبُنَىَّ إنْ أَهْلِكْ فَإنِّى قَدْ بَنَيْتُ لكم بَنِيَّهْ
٢ - وجَعَلْتُكم أَبْناءَ سَادَاتٍ زِنادُكُمُ وَرِيَّهْ
٣ - من كلِّ ما نالَ الفَتَى قد نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّهْ
[٤ - كمْ من مُحَيًّى لا يُوا زِينِى ولا يَهَبُ الرَّعِيَّهْ

(*) **ترجمته وأخباره** : الاشتقاق ص ٤٥٦ / الأعلام م٣ ص ٥١ / أعلام الحضارة العربية الإسلامية ص ٣٤ رقم ١٢ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٤١ / الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٣٣ / أمالى المرتضى جـ١ ص ٢٤٠ / أنساب الأشراف جـ١ ص ١٩ / البداية والنهاية م١ ص٦٠٨ / بهجة المجالس جـ١ ص ٣١١ ، ٦٨٥ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص١٢٠ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٢٨٠ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١٣١ / التذكرة السعدية ص ٤٥٤ / تهذيب إصلاح المنطق جـ١ ص١٨٧ / الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٤٥٠ / جمهرة الأنساب ص ٤٣٦ / حماسة البحترى ١٠١ / الحماسة البصرية جـ٢ ص ٢١٩ / رسالة الغفران ص ٣٤٥ / الروض الأنف م١ ص ١٠٩ / سبائك الذهب ص ١١٨ / شرح الحماسة للمرزوقى رقم ٥١٠ / شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٤٣٧ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٢٠٥ / الشعر والشعراء م١ ص ٣٧٩ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ٣٥ / العقد الفريد جـ١ ص ١٩٢ ، جـ٣ ص ٢٨٨ ، جـ٦ ص ١٠٩ / الفاخر ص ٢ ، ١٧١ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٣٩١ / المخصص جـ١٢ ص ١٨٩ ، جـ١٥ ص ٨٧ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١٠٥ رقم ٦٢٤ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ١٧٢ رقم ٥٠٤ / معجم ما استعجم ص ٤٩ / المعمرون والوصايا ص ٢٦ / الموازنة جـ١ ص ٢٢٤ / المؤتلف والمختلف ص ١٦٥ رقم ٤٠٥ / موسوعة الشعر العربى جـ٤ ص ٢٣٥ / الوحشيات ١١٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٩ .

[١٣] طبقات فحول الشعراء م١ ص ٣٦ ، ٣٧ وقد اعتمدت روايته / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٥١ / الشعر والشعراء م١ ص ٣٧٩ / الروض الأنف م١ ص ١١٠ / الفاخر ص ٢ / لسان العرب (بجل) / المعمرون والوصايا ص ٢٦ / المؤتلف والمختلف ص ١٦٥ . ومن المصادر الحديثة : شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٢٠٩ / شعر قبيلة كلب ص ١٧١ رقم ٢٧ .

٥ - ولقــــد رأيـتُ النّـارَ للسُّـــــلاَّف تُوقَـــــدُ فـى طَمِـــــيَّـــــهْ
٦ - ولقــــد رَحَلْتُ البـــــازِلَ الـ ـــوَجْناءَ لـيسَ لـهــــا وَلِيَّـــــهْ
٧ - ولقـــد عَــــدَوْتُ بِمُـــشْــــرِفِ الـطَّرفَـــيْنِ لم يَـغْــمِـزْ شَـظِيَّـــهْ
٨ - فـأصَـبْتُ من حُـمْرِ الـقَنا ن مـعـاً ومن حُـمْرِ القَـفِيَّـه
٩ - ونَطَـقْتُ خُطْبَـةَ مـاجِـد غَـيْـرِ الضَّـعـيفِ ولا العَـيِـيَّهْ]
١٠ - والمَوْتُ خَـيْـرٌ للفَـتَى ولَيَـهْلِكَنْ وبِـهِ بَقِـيَّـهْ
١١ - من أنْ يُرَى الشَّيْخَ البَجا لَ وقـد يُهـادَى بـالعَشِيَّـهْ.

صدرها ابن سلام بقوله : «وطال عمره فقال : . .»[١] . ونص الآمدى على أنها مما قيل عند الاحتضار ؛ قال : «زهير بن جناب . . . سيد بنى كلب فى زمانه ، وكان كثير الغارات على العرب ، وعمر عمراً طويلاً ، وهو القائل لما حضرته الوفاة : . .»[٢] . ثم أورد - مع اختلاف طفيف فى الألفاظ - الأبيات الثلاثة الأولى منها .

ويوصف زهير بأنه «كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم - والطب كان فى ذلك الزمان شرفاً - وحازى قومه - والحزاة : الكهان - وكان فارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم ، ويقال إنه سمى كاهناً لسداد رأيه ، ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة»[٣]. ويقول أبو الفرج :« . .وهو أحد المعمرين ، وكان سيد بنى كلب وقائدهم فى حروبهم ، وكان شجاعاً مظفراً ، ميمون النقيبة فى غزواته ، وهو أحد من مَلَّ عمره ، فشرب الخمر صِرْفاً حتى قتلته »[٤] .

(١) طبقات فحول الشعراء م١ ص ٣٥ .
(٢) المؤتلف والمختلف ص ١٦٥ .
(٣) طبقات فحول الشعراء م١ ص ٣٥ هـ ٣ .
(٤) الأغانى (ط . الشعب)ج٢١ ص ٧٢٤٠ .

ولم يتعاط زهير الخمر على هذا النحو - والخمر الصرف يشربها المرء بغير مِزاج وبدون طعام - الذى بلغ به حد الموت - أو الانتحار بلغة العصر - لأنه مَلَّ العمر - كما يقول الأصفهانى - فحسب - وقد طال فى الحق عمره ؛ فقيل عاش أربعمائة وخمسين سنة [(٥)] ، وقيل عاش أربعمائة [(٦)] ، وقال ابن الأنبارى عن مشيخة من الكلبيين عاش «خمسين ومائتى سنة أوقع فيها مائتى وقعة فى العرب»[(٧)]. وإنما لأنه بلغ - مع هذه السن العالية - ما يبلغه غيره - كسائر الناس حين يتقدم بهم العمر - من الضعف والعجز والوهن ، حتى لقد قدم هو نفسه - أعنى الأصفهانى - للأبيات بقوله - فيما رواه عن الشَّرَقِىّ بن القطامى - : «عاش أربعمائة سنة ، فرأته ابنة له ، فقالت لابن ابنها : خذ بيد جدك . فقال له : من أنت ؟ فقال : فلان بن فلان . فأنشأ يقول : . .» [(٨)] الأبيات .

وكان من حديثه - فيما يقول الأصفهانى أيضاً روايةً عن غيره - «أنه قد بلغ عمراً طويلاً حتى ذهب عقله ، وكان يخرج تائهاً لايدرى أين يذهب [قال] : فتلحقه المرأة من أهله ، والصبى ، فيرده ، ويقول له : إنى إخاف عليك الذئب أن يأكلك ، فأين تذهب؟» [(٩)]. وقيل إنه عمى[(١٠)] ، ويضاف إليه - وهو الأهم - أن أقرب الأقربين إليه طمعوا فيما فى يده - أعنى السلطة والمكانة والنفوذ - وخالف بعضهم أمره وانقلب عليه ؛ قال ابن الكلبى : «وكان زهير إذا قال ألا إن الحى ظاعن ، ظعنت قضاعة ، وإذا قال ألا إن الحى مقيم ، نزلوا وأقاموا ، فلما

---

(٥) المصدر نفسه ص ٧٢٥١ . وهو قول حماد الراوية فيما نقله عنه هشام بن محمد الكلبى .

(٦) المصدر نفسه والصحيفة . وهو قول الشَّرَقِىّ بن القطامى .

(٧) المصدر نفسه ص ٧٢٥٠ .

(٨) المصدر نفسه ص ٧٢٥١ .

(٩) المصدر نفسه ص ٧٢٤٩ .

(١٠) شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٢٠٧ .

أسن نصب ابن أخيه عبد الله بن عليم للرياسة في كلب ، وطمع أن يكون كعمه وتجتمع قضاعة كلها عليه ، فقال زهير يوماً : ألا إن الحى ظاعن . فقال عبد الله : ألا إن الحى مقيم . فقال زهير : ألا إن الحى مقيم . فقال عبد الله : ألا إن الحى ظاعن . فقال زهير : من هذا المخالف علىّ منذ اليوم ؟ فقالوا : ابن أخيك عبد الله بن عليم . فقال : أعدى الناس للمرء ابن أخيه»[11] .

وأورد ابن قتيبة الخبر ، وربط بينه - بشكل مباشر - وبين شربه للخمر صرفاً حتى قتلته ؛ قال : « فأما زهير فإنه قال ذات يوم : إن الحى ظاعن . فقال عبد الله بن عليم بن خباب (ابن أخيه) : إن الحى مقيم . فقال زهير : من هذا المخالف لى ؟ قالوا : ابن أخيك . قال : فما أحد ينهاه ؟ قالوا : لا . قال : أرانى قد خولفت . فدعا بالخمر فلم يزل يشربها صرفاً حتى قتلته»[12] . وقد شكا فى شعر له ابن أخيه [13] ، وشكا غيره [14] ، وشكا كذلك ما أصابه - فى أواخر عمره - من الأوجاع والأوصاب [15] ، وتمنى - غير مرة - الموت[16] .

«أبنىَّ» - ولك أن تتخيل هؤلاء الأبناء وقد صاروا شيوخاً ، وتجمع معهم على ما يُظن الأحفاد وأبناء الأحفاد - «إنْ أهلَكْ» - وقد آثرها على الموت ونحوه

---

(١١) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٥٤ ، ٧٢٥٥ .

(١٢) الشعر والشعراء م١ ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ . وانظر مخالفة الجلاح بن عوف كذلك له فى الأغانى (ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٥٦ .

(١٣) الأغانى (ط : الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٥٥ . شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموى - جمعه وحققه : أحمد محمد على عبيد (المجمع الثقافى - أبو ظبى سنة ١٩٩٩م) ص ١٦٢ رقم ١٢ .

(١٤) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٥٦ ، ٧٢٥٨ . شعر قبيلة كلب ص ١٦٧ رقم ٢٢ ، ص ١٧٠ رقم ٢٥ .

(١٥) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٤٠ ، ٧٢٥٣ . شعر قبيلة كلب ص ١٩٦ رقم ٢٠ .

(١٦) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٥٣ ، ٧٢٥٤ . البداية والنهاية م١ ص ٨٠٧ ، ٨٠٨ . شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٢١٠ . شعر قبيلة كلب ص ١٥٦ رقم ٢ ، ص ١٥٩ رقم ٧ ، ص ١٦٩ رقم ٢٤ .

لما كانوا يعتقدون على ما أظن من الفناء - «فإنى» - والأمر يقين - «قد بنيت لكم بنية» ؛ يعنى ما خلفه لهم - وهو ثابت كالبناء - من عز ومجد .

وتركتكم لا ضعفاء فيطمع فيكم - فى تلك البيئة القاسية وذلك الزمن العجيب زمن الذئاب والكلاب - أحد ، ولا عالة تتكففون - كما يتكفف غيركم - الناس ؛ «أبناء سادات» - ترثون السيادة عنى ، ويرثها الأحفاد وأحفاد الأحفاد - «زنادكم وَرِيَّة» - والزناد العود الذى يقدح به النار - يصفهم بالنجح فى كل الأمور - بفضله ، على ما صرح به ، حين صدر البيت بقوله :«وجعلتكم» - والأحوال .

وماذا أريد فى تلك الحياة ، وكل ما يمكن أن يُنال قد نلته ، وكل ما يتمنى الفتى - وللتعريف هنا قيمته - أدركته ، ولم يستعص على شىء ، اللهم إلا . . .؟ ويقف الاستثناء كالشوكة فى الحلق لينغص عليه - وهو شىء واحد فحسب - كل ما قد حازه من قبل ، ويشعره ويشعرنا معه - على غير ما يُتوقع - بالعجز ؛ «التحية» ، وليس المراد بها التقدير بطبيعة الحال ؛ فقد كان ذا قدر عظيم ، يقدره الكبير قبل الصغير والغريب قبل القريب ، وإنما أحد أمرين على ما تسمح به المعاجم وتجيزه اللغة ؛ الملك أو البقاء ، بل أمر واحد فحسب - وهو الصواب - على ما ذهب إليه ابن الأعرابى ؛ قال : «أراد البقاء ؛ لأنه كان ملكاً فى قومه»(١٧) . فهو من الملوك أو إن شئت من أشباههم ، وذهب إلى هذا التفسير الشيخ محمود شاكر - رحمه الله - حين قال : « التحية : الملك . والتحية : البقاء . قالوا : لم يرد إلا البقاء ؛ لأن زهيراً كان ملكاً فى قومه . وكذلك فسروها فى قولنا "التحيات لله" : البقاء لله . و"حياك الله" : أبقاك الله»(١٨) . فلا دوام - مهما طال بنا العمر كما طال به - لأحد ، نال ما نال -

(١٧) الشعر والشعراء م١ ص ٣٧٩ هـ ٥ .

(١٨) طبقات فحول الشعراء م١ ص ٣٦ هـ ٣ . وانظر : الفاخر ص ٢ .

وهو أكثر من أن يحصى أو يعد - إلا الخلود أو البقاء ؛ هاجس الإنسان منذ القدم ، لقد أرَّقَ هذا الهاجس العربيَّ قبل الإسلام ، وأرق - فيمن أرق - زهيراً وهو يموت ، فلم يجد - شأن غيره من الجاهليين - بُدّاً من التسليم ، والإقرار - كما أقروا - بالعجز .

وإزاء هذا الإحساس المطبق بالعجز كان اندفاعه نحو الفخر ، وكان رجوعه - عن طريق التذكر أو الـ(فلاش باك) - إلى الوراء ، ليستعرض - بشكل عفوى - جوانب مضيئة من حياته الماضية ، ومواقف تشهد له - وكأنه لايزال حتى تلك اللحظة فى حاجة إلى إثبات الذات - بالتميز والنبوغ ؛ فكم من مُحَيَّى - والإشارة إلى مَنْ سواه من الملوك - لايوازيه ولا يهب ما يهبه هو - وهو الكريم الجواد - للرعية ، ولقد رأى فيما رأى - عبر حياته الطويلة الممتدة - نار من سبقوا من الأسلاف يوم خَزاز - وللنار قصة فى هذا اليوم يعرف بها [١٩] - توقد - بأمر كليب وقد عاصره - فوق قمة أحد الجبال بديلاً لما نسميه اليوم بـ (الإشارات العسكرية) والرموز .

ويلتفت - فيما يلتفت إليه - إلى ناقته القوية الصلبة «البازل الوجناء» ، وفرسه الطويل الأصيل «مشرف الطرفين» الخالى من العيوب ومنها الغمز أو الظلع الخفيف ؛ ففوق تلك الناقة كم جاب الآفاق - ويدلك على مهارته فى التعامل معها أنه يمتطيها دون «ولية» كما يقول ، أو دون (برذعة) كما نقول نحن الآن أو حبل - وكم أغار بهذا الفرس - وهو معروف بكثرة الغارات - فأصاب - وأصابوا معه - ما أصاب من «حمر القنان» - والقنان جبل لبنى أسد - و«حمر القفية» وغيرها ، فكان «ميمون النقيبة» كما تصفه المصادر - ومن بينها الأغانى والكامل [٢٠] - والروايات .

---

(١٩) انظر خبر هذا اليوم وقصة النار به فى : أيام العرب لأبى عبيدة ص ٢٩ والعمدة جـ٢ ص ٢١٢ والكامل فى التاريخ م١ ص ٤٠٧ .

(٢٠) الأغانى(ط . الشعب) جـ٢١ ص ٧٢٤١ . الكامل فى التاريخ م١ ص ٣٩١ .

ومن الجوانب الأخرى كذلك فى تلك الشخصية متعددة الجوانب الخطابة - ولا تكتمل السياهة إلا بها - فهو - على ما وصف به نفسه - خطيب «ماجد» غير ضعيف أو عَيِيّ .

لكنه برغم ما ذكر - وما لم يسعه المقام لذكره وهو أكثر من أن يحصى أو يعد - قد صار - كما يصير كل البشر مع الزمان - إلى ما صار - وسوف يصير الآخرون - إليه ، والموت - فيما يقول - خير للفتى - وتأمل ما توحى به الفتوة ههنا - من أن يُرى «الشيخ البَجال» - فتحل الشيخوخة بآفاتها محل الفتوة ويؤول المرء بعد القوة إلى الوهن أو الضعف ، ولا تحمل كلمة البجال ههنا إلا السخرية وينفك عنها فيما يتراءى لى التقدير والتوقير والتعظيم وما أشبه ؛ فليس التبجيل هو المراد - «يهادى» بين الرجلين - فلا يستطيع أن يمشى وحده - أو يتوكأ على غيره - مما أَلَمَّ به - ويعود محمولاً كل مساء . أن يموت وبه بقية - وكم تمنى أن يموت من قبل ومَلَّ كما ذكرت الحياة - خير له من أن يعيش على تلك الحال ، فليستقبل الموت راضياً - أو مستسلماً إن شئت - وليمض - فى موكب الراحلين- مع الكرماء .

سامة بن لؤى (*)

[١٤]

(خفيف / متواتر)

١ - عَيْنِ فابْكِي لسامَةَ بنِ لُؤَىٌّ ... عَلقَتْ ساقَ سامَةَ العَلاَّقَهْ

٢ - لا أرَى مِثْلَ سامَةَ بنِ لُؤَىٌّ ... يَوْمَ حَلُّوا به قَتيلاً لناقَهْ

٣ - بَلِّغا عامِراً وكَعْباً رَسُولاً ... أنَّ نَفْسِي إليهما مُشْتاقَهْ

٤ - إنْ تكُنْ فى عُمانَ دارِى فإنِّى ... غالِبِىٌّ خَرَجْتُ من غَيْرِ فاقَهْ

(*) **ترجمته وأخباره** : أخبار النساء ص ٢٧ ، ٢٨ / الاشتقاق ص ٥٧ ، ١٠٩ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٠ ص ٣٦٦٧ / أنساب الأشراف جـ١ ص ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ / الإيناس فى علم الأنساب ص ١٧٥ / البداية والنهاية م١ ص ٦٢٠ / البيان والتبيين جـ١ ص ٢٣ / تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٢٦١ / تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢٣٤ ، جـ٢ ص ١٩٥ / التعريف فى الأنساب ص ٤٩ ، ٥٠ / جمهرة النسب ص ٢١ / ديوان الأدب جـ٣ ص ٣٤٢ / السيرة النبوية م١ ص ٦٧ / شرح اختيارات المفضل ص ١٣٣٨ / شعراء عمان فى الجاهلية وصدر الإسلام ص ٢١ / مختارات ابن الشجرى ص ١٣٢ ، ١٣٣ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٩٨ رقم ٥٧٨ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ١٧٩ رقم ٥٣٥ .

[١٤] السيرة النبوية م١ ص ٩٧ ، ٩٨ وقد اعتمدت روايته / البداية والنهاية م١ ص ٦٢٠ وقد نقلها - وصرح بذلك - مع اختلافات طفيفة فى بعض الألفاظ عن ابن إسحق . وجاء بعضها - الأبيات من ١ : ٦ - فى : تاريخ اليعقوبى م ١ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ . والثالث والرابع فى : امالى الزجاجى ص ٤٩ ، والإيناس فى علم الأنساب ص ١٧٦ ، ولسان العرب (فوق) ، والمثالب لابن الكلبى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٢٤٧ ز - ورقة رقم ١١ . وجاء البيت الأول والثانى منها - مع اختلاف فى بعض الألفاظ وترتيب الشطرات - منسوبين إلى غيره فى أنساب الأشراف جـ١ ص ٤٦ . والأول والخامس - مع اختلافات كذلك فى بعض الألفاظ - منسوبين إلى أخيه فى الأغانى (ط . الشعب) جـ١٠ ص ٣٦٦٧ . والأول والثانى والخامس والسابع - مع بيت آخر - فى لسان العرب (فوق) ، وقد نُسبت فيه إلى امرأة من الأزد قالتها - على ما صرح به ابن منظور - فى رثائها لسامة بن لؤى ، مع ما أورده قبلها - فى الموضع نفسه - منسوباً - عن أبى عبيدة - إلى سامة ، وهو من الوزن نفسه والقافية والروى .

٥ - رُبَّ كَـأْسٍ هَرَقْتَ يـا ابْنَ لُؤَيٍّ   حَـذَرَ المَوْتِ لم تَـكُنْ مُـهْـراقَـهْ
٦ - رُمْتَ دَفْعَ الحُـتُـوفِ يا ابنَ لُؤَيٍّ   مـا لِمَـنْ رامَ ذاكَ بالحَـتْفِ طـاقَـهْ
٧ - وخَـرُوسَ السُّـرَى تَـرَكْتَ رَدِيّاً   بَعْـدَ جِـدٍّ وجِـدَّةٍ ورَشَـاقَـهْ

وزيد بعدها فى اللسان :

وتَعَـاطَيْتَ مَـفْـرَقـاً بحُـسَـامٍ   وتَجَـنَّبْـتَ قَـالَـةَ العَـوَّاقَـهْ

إلا أنه نُسب فيه - مع الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٧ - إلى غير سامة بن لؤى .

يعترى الشك هذا النص من عدة جهات ؛ أولها : اضطراب النسبة ؛ فقد نُسب بعضه - مع نسبة بعضه الآخر إلى سامة بن لؤى - إلى امرأة من الأزد - كما أشرت - على ما جاء فى اللسان ، وإلى أخيه كعب - وهو ما صرح به أبو الفرج الأصفهانى (١)- وإلى مجهول - حيث قدم له بقوله : «فقال الشاعر» - كما جاء فى أنساب الأشراف (٢) . وقد أجمع الثلاثة - ابن منظور وأبو الفرج الأصفهانى والبلاذرى - على أنه مما قيل - وإن اختلفوا فى النسبة - فى رثاء سامة ابن لؤى .

وثانيها : ما قدم به بعضهم له من عبارات القلق - أو الظن - فنسمع أحدهم كاليعقوبى يقول : «. . فقال فيما يزعمون حين أحس بالموت»(٣) . ونسمع آخر كابن كثير - وهو من هو فى مجال التفسير وتحقيق الحديث والآثار - يقول : «. .ثم نهشت الحية سامة حتى قتلته ، فيقال إنه كتب بإصبعه على الأرض: . .»(٤) الأبيات . بل إن ابن إسحق نفسه - وهو أحد مصادره الرئيسة -

---

(١) الأغانى (ط . الشعب) جـ١٠ ص ٣٦٦٧ .
(٢) جـ١ ص ٤٦ .
(٣) تاريخ اليعقوبى (دار صادر - بيروت - بدون تاريخ) جـ١ ص ٢٣٤ .
(٤) البداية والنهاية م١ ص ٦٢٠ .

قدم له بقوله : «فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون: . .» . وتحمل مثل هذه العبارات - «فيما يزعمون» و«يقال» ونحوها - ما تحمله - فى رأيى - من الشك وعدم الجزم أو اليقين .

وثالثها : أن سامة هذا عاش فى زمن بعيد - لا نكاد نعرف عنه فيما يتعلق بالشعر إلا النزر اليسير - فأخوه كعب بن لؤى هو الجد السابع للنبى ؛ أى قبل امرئ القيس وأضرابه بأمد طويل .

ورابعها : ابن إسحق وقد قيل فيه - كما ذكرت - ما قيل ، وهو المصدر الرئيس . ثم هل كان سامة يعرف الكتابة - وهى نادرة جداً فى عصره وبيئته - حتى يخط بإصبعه - كما زعموا - على الأرض الأبيات ؟!

لكن يبقى - فى الجانب الآخر - ما يقال - إحقاقاً للحق وسعياً نحو التوثيق - من أن خبر سامة وما يتصل به من شعر - كهذه الأبيات - قد استفاض فى أكثر من مصدر من المصادر الأدبية والتاريخية الموثوق بها - واشتهر بين الأقدمين وذاع - وجاء - فيما ذكر ابن هشام - بعض ولد سامة - من أحفاد الأحفاد - إلى النبى ﷺ « فانتسب إلى سامة بن لؤى ، فقال رسول الله ﷺ : ألشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قوله :

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يا ابْنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ المَوْتِ لم تكنْ مُهْراقَهْ

قال : أجل » [5] . فسماه - إن صح الحديث - شاعراً ، وصَدَّقَ بعض شعره وهو أحد أبيات هذا النص ، وجاء هذا كله عن ابن هشام لا ابن إسحاق فى تعقيب له على ما أورده ابن إسحق من الأبيات ، ولم يعقب عليها - كعادته حين الشك - بأى مستوى من مستوياته المعروفة عنه .

وقد روى الزجاجى - وأشار إليه ابن منظور فى اللسان - بعض هذا النص - منسوباً دونما شك إلى سامة - عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ؛ قال ابن منظور :

(٥) السيرة النبوية م١ ص ٩٨ .

« وروى الزجاجى فى أماليه بسنده عن أبى عبيدة قال : خرج سامة بن لؤى بن غالب من مكة حتى نزل بعمان وأنشأ يقول : بلغا عامراً . .»[6] إلى آخر ما أورده له من أبيات .

أقول : وليس فى النص نفسه ما يستغرب نسبته إلى مثله - وله شعر فى مواقف أخرى حقق بعضها أحمد محمد عبيد فى «شعراء عمان» [7] - ولا الموقف نفسه - وقد رثى كثيرون غيره أنفسهم فى لحظات الموت - وهو يشبه - من بعض الوجوه - ما حدث لأُفْنُون .

خلاف حدث - على ما يبدو - بين سامة وعامر أخيه ، اضطره إلى مغادرة مكة - موطنه - والرحيل إلى عمان ؛ يقول اليعقوبى : «فأما سامة بن لؤى فإنه هرب من أخيه عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان بينهما شر ، فوثب سامة على عامر ففقأ عينيه ، فأخافه عامر ، فهرب منه ، فصار إلى عمان ، فيقال إنه مر ذات يوم على ناقة له ، فوضعت الناقة مشفرها فى الأرض ، فعلقتها أفعى ونفضتها ، فوقعت على سامة ، فنهشت الأفعى ساقه ، فقتلته »[8] . ويقول ابن إسحق : «فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان ، ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عمان . فيزعمون أن سامة بن لؤى بينما هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته»[9] . وفى أنساب الأشراف :« وأما سامة بن لؤى فإنه وكعب بن لؤى أخاه

(٦) لسان العرب (فوق) . وانظر أمالى الزجاجى ص ٤٩ .

(٧) شعراء عمان فى الجاهلية وصدر الإسلام (المجمع الثقافى - أبو ظبى سنة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م) ص ٤٨ .

(٨) تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢٣٤ .

(٩) السيرة النبوية م١ ص٩٧ .

جلسا على الشراب ، ففقأ سامة إحدى عينى كعب ، وخرج هارباً ، فأتى عمان، فتزوج ناجية بنت جرم بن زبان . . . فيقال إن سامة ركب بعيراً له بعمان ، وأرخى رأسه ، فجعل يرعى ، فوقع فم البعير على حشيشة تحتها أفعى ، فنهشته فى مشفره ، فنفضتها ، فوقعت على ساق سامة فنهشته فى ساقه فقتلته»[10] .

وسواء خرج سامة إلى عمان برغبته أو أخرجه عامر مرغماً ، وسواء كان الخلاف الذى تطور إلى نوع من الصراع قد حدث بينه وبين عامر - على ما ذهب إليه كثير ممن ترجم له - أو أخ له آخر - هو كعب على ما ذهب إليه البلاذرى وأبو الفرج الأصفهانى[11] - فإنه قد أقام زمناً فى عمان حتى اعتبره أحد الباحثين من شعرائها [12] ، وتزوج بها ، وزَوَّج هنداً ابنته سيداً من سادات الأزد ، وطاب له العيش حتى أرسل إلى قومه بمكة شعراً منه هذا البيت :

«ساكِنى الأبْطَحِ إنِّى بَعْدَكُم فى جِوارِ الأزْدِ مَثْلُوجَ الكَبِدْ»[13] .

ولم يعكر عليه صفو حياته الجديدة إلا الشوق - كما أبان عنه فى مرثيته التى بين يديك - لآله وبخاصة عامر وكعب على ما كان بينه وبينهما - أو بين أحدهما - قبل رحيله من صراع ، وإلا تلك النهاية المأساوية التى لم تكن قط فى الحسبان ؛ حين نهشته الحية وسرى السم فى أنحائه ولفظ - مع ما خلفه لنا من أنين الشعر - الأنفاس .

ويضيف ابن قيم الجوزية - فى «أخبار النساء» [14] - بعداً جديداً للمأساة ،

---

(10) أنساب الأشراف جـ1 ص46 .

(11) أنساب الأشراف جـ1 ص46 والأغانى (ط. الشعب) جـ10 ص 3667 .

(12) شعراء عمان ص 21 . وفى الأغانى (ط. الشعب) جـ10 ص 3667 أن سامة «خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤى فى مماظة كانت بينهما» . ولم يتابعه أحد على ذلك إلا إذا اعتبرنا عمان - وهى أكبر من ذلك - من نواحى البحرين .

(13) شعراء عمان ص 21 ، 48 .

(14) ص 27 .

يصبح للمرأة فيه - كعهدها أبداً - دور رئيس لايمكننا التغافل عنه بحال ؛ يقول ابن القيم - وقد سماه شامة بالمعجمة أو وقع من محقق كتابه التصحيف -: «خرج شامة بن لؤى بن غالب من مكة حتى نزل بعمان على رجل من الأزد ، وكان شامة بن لؤى من أجمل خلق الله ، فقراه وبات عنده ، فلما أصبح قعد يستن ، فنظرت إليه زوجة الأزدى فأعجبها ، فلما رمى مضت إلى سواكه فأخذتها فمصتها، فنظر إليها زوجها ، فحلب ناقة وجعل فى اللبن سماً وقدمه إلى شامة ، فغمزته المرأة فأراق اللبن وخرج يسير ، فبينما هو فى موضع يقال له خرق الجميلة أهوت ناقته فى عرفجة فانتشلها وفيها أفعى ، فنهشت مشفريها فحكتها على ساق شامة فمات» . ورثته المرأة بعدها ، كما رثى نفسه ، فإن صحت تلك القصة - وفى النفس منها أشياء برغم طرافتها وجودة حبكتها - تبدت لنا - ولعله ما أراد الراوى توصيله بشكل غير مباشر - عدالة فيها نوع من الصرامة والقسوة ؛ فقد نجا سامة من السم الموضوع له من قبل الزوج ليموت بسم آخر هو سم الأفعى ، ويتحقق الانتقام - إن جاز وصف ما وقع له بالانتقام - بواسطة الأقدار ، فيلقى مصيره الأبدى ، ويدفع عمره جزاء إعجاب الزوجة به ، وتحرم الزوجة التى فتنت بجماله - وأحبته وهو ما لايجوز لمثلها - منه .

وسامة - اسمه - بدون همز ؛ جاء فى «التعريف فى الأنساب» (١٥) - ما نصه : «.. وجميع أسماء العرب أسامة بهمز السين إلا سامة بن لؤى ، والسام : عروق الذهب ، واحدتها سامة» . وفى اسمه ما قد يدل - إن دل الاسم على شىء ، وليس من عادة الأسماء أن تدل على أصحابها - على طيب المعدن والأصل ، وهو شخصية حقيقية لا جدال حولها ؛ قال على بن أبى طالب : «سامة حق ، أما العقب فليس له» (١٦) . إلا أن قصته قد أخذت على ما يبدو -

(١٥) التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب لأحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعرى القرطبى - ت . د . سعد عبد المقصود ظلام (دار المنار - القاهرة سنة ١٩٩٠م) ص ٥٠ .

(١٦) أنساب الأشراف جـ١ ص ٤٦ .

شأن آخرين غيره – أبعاداً يختلط فيها الخيال – على ما أرى – بالواقع ، وقد صار مجالاً للتمثل به والاستشهاد لدى بعض الشعراء ، فوجدنا المسيب بن علس – على سبيل المثال – يقول فى بعض شعره :

«وقدْ كانَ سامَةُ فى قَوْمِهِ   لهُ أُكُلٌ ولهُ مَشْرَبُ

فسامُوهُ خَسْفاً فلم يَرْضَهم   وفى الأرْضِ [من] خَسْفِهم مَهْرَبُ»(١٧) .

وقد تمثله نموذجاً لرفض الظلم أو الضيم ، وجعل خروجه من مكة انتصاراً للكرامة ، وهو أشبه ما يكون بما نسميه اليوم – فى مصطلحنا النقدى – بـ«توظيف التراث» . ويقول آخر – وأظنه متأخراً – :

«يَوْمَ تُشْفَى النُّفُوسُ من يَعْصُرِ اللُّؤْ   م ويُثْنَى بسامَةَ الرَّحَّالِ»(١٨) .

وقد وصفه بالرحال ، وجعل عودته مما ينتظر ؛ كعودة المهدى الغائب – فيما تعتقد بعض فرق الشيعة ، وصاحب البيت ينتمى إلى فرقة منها هى الشميطية – أو – وهو غير مستبعد ولايمنع منه السياق – عودة مستحيلة ؛ كعودة القرظىّ .

«عين فابكى» ، يتوجه سامة أول ما يتوجه إلى عينه – كما اعتدنا فى إطار الرثاء – يستدر منها البكاء ؛ البكاء على نفسه بعدما علقت بساقه الحية فنهشته وتمكنت منه وتيقن – بعدما نهشته – من وقوع الموت ، وهو لايبكى ههنا شخصاً آخر فيعترى البكاء ما قد يعتريه فى بعض الأحيان من التكلف والزيف وإنما يبكى نفسه ، يبكى سامة بن لؤى وقد ذكره – مساوقاً – فى الشطرتين ، وجانس – غير متعمد – بين «العلاقة» – وهى الحية ، وفى وصفها بهذا الوصف ما يشى بنوع من الالتصاق الكريه غير المرغوب فيه – والفعل «علقت» – فى بداية الشطرة الثانية ونهايتها – وفصل بينهما بكلمتين تبدأ كلٌّ منهما بالمقطع «سا» وجرس السين .

---

(١٧) المصدر نفسه ص ٤٧ . وقد زدت «من» فى البيت الثانى لاقتضاء الوزن والمعنى لها .

(١٨) البيان والتبيين جـ١ ص ٢٣ . وهو لمعدان الشميطى ؛ أحد أتباع أحمر بن شميط صاحب المختار .

سامة هذا الذى لم ير - أو لم يروا كما جاء فى رواية أخرى - له مثيلاً فيمن رأى ، يقولها معتزاً فى تلك اللحظة تحديداً بالذات ، فها هو ذا صريع أو قتيل - لاحول له ولا قوة - بسبب ناقة - نكرها ولم يضفها إلى نفسه تحقيراً لها على ما بينها وبينه من صلة - حيث جلبت تلك الناقة ما جلبته له من شر ، وما ذنب الناقة فى ذلك ؟! هو يدرك تمام الإدراك أن الناقة لاذنب لها فيما حل به ، لكنه يتخذ منها - ربما عن غير قصد - هدفاً ملموساً يصب عليه جام غضبه وسخطه ، فلم تعد الناقة ههنا - كما اعتدنا فى سائر الشعر - رفيق الطريق أو الصديق ، وإنما هى سهم من سهام الموت وأحد حبائله ، ويستمد من (اللاوعى) ذلك التراث القديم الذى ترتبط فيه الناقة بالشؤم ؛ منذ عاد وثمود - ولعله قد سمع بهم - حتى البسوس إن كانت - ولا أظنها - قد سبقته .

وفى غمرة الإحساس بالوحشة والاغتراب - وهو يموت بعيداً عن آله وذويه ، وفى محاولة بائسة - هى الأخيرة - للاتصال بالآخر - أملاً منه فى تقليص حدة هذا الإحساس - يلتمس سامة من صاحبيه - وهذا الصاحبان لاوجود لهما على الحقيقة ، وإنما هى عادة مارسها كما مارسها غيره من الشعراء - أن يحملا عنه رسالة إلى أخويه كعب وعامر أن نفسه إليهما - وإلى غيرهما من الآل الذين انقطع عنهم منذ زمن بعيد - «مشتاقة» ، وفى هذا التعبير الموجز ما فيه من كثافة الإحساس بالغربة والحنين والتفرد والوحشة والانقطاع ؛ فهو لم ينس بعد - شأن العربى الأصيل - عهد الطفولة والصبا والرحم وصلات الدم ، لقد عاش ما عاش فى عمان واتخذ بها - شأن غيره ممن رحلوا عن موطنهم لأسباب قد يكون من بينها الفقر أو البحث عن لقمة العيش - داراً ، لكنه - وهو ما قد يميزه عن هؤلاء الآخرين - لم يخرج من موطنه فى مكة بسبب الفقر ، وإنما هو «ماجد» - على ما جاء فى بعض الروايات - أو «غالبىّ» ينتمى إلى غالب بن فهر ولايعرف لنفسه - برغم إقامته الطويلة فى عمان - غير هذا الانتماء .

إنه الموت إذن ، وهل من الموت مهرب ؟! تلك حقيقة يسلم بها ؛ فكم أراق من كأس حذر الموت - وهو تعبير مجازى قد يرفده الواقع إن عدنا بالذاكرة إلى إناء اللبن المسموم الذى قدمه له زوج المرأة انتقاماً لكرامته فسكبه وأراقه ولم يشرب منه - وكم حاول - كما حاول غيره - دفع الموت ، لكن - وهى حكمة تتولد بشكل تلقائى وتجىء ثمرة نهائية فى مختتم الحياة - «ما لمن رام ذاك» - يعنى دفع الموت أو الحتوف - «بالحتف طاقة» أى طاقة ، العجز إذن - أمام الموت - هى الحقيقة التى لم يجد بداً من التسليم بها ، أما ناقته المسكينة - التى حمل عليها فى بداية النص - أو ما يسميها بـ «خروس السرى» - تلك الصامته العجماء - فقد تركها هالكة - لاقدرة لها على الحراك - بعد ما كانت من قبل ذات «جد وحدة ورشاقة» ، تلك الناقة التى طالما جاب على ظهرها الآفاق تتحول - أو هكذا يتبدى الأمر له - كما تحول من «الحركة» إلى «السكون» أو بالأحرى من «الحياة» إلى«الموت» ، لتشاركه - دون غيرها - فى التحول والرحيل ، وتقاسمه - فى آخر لحظات العمر - كأس الردى ، فيعتريها ما سوف يعتريه من الفناء .

السليك بن السلكة (*)

[١٥]

(سريع / مترادف)

١ - مَنْ مُـبْلِغٌ جِذْمِي بأنّى مَـقْتُـولْ
٢ - يا رُبَّ نَهْبٍ قد حَـوَيْتُ عُثْكُولْ
٣ - ورُبَّ قِـرْنٍ قد تَرَكْـتُ مَجْـدُولْ

(*) **ترجمته وأخباره :** الاقتضاب ص ٤٦٣ / الأعلام م٣ ص ١١٥ / أعلام تميم ص ٢٩٨ / الأغانى(ط. الشعب) جـ٢٣ ص ٨٠٨٥ / الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٢٠٦ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ ص ٢٧٥ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١٤٢ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٣١٧ / تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه ص ١٠٥ ، ١٠٦ / تعليق من أمالى ابن دريد ص ١٢٢ / جمهرة أنساب العرب ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ / الحلبة فى أسماء الخيل ص ٥٤ ، ٦٦ / حماسة البحترى ١٢٧ / الحماسة البصرية جـ١ ص ١٠٩ / حماسة الخالديين جـ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٧١ / خزانة الأدب جـ٣ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ / الديباج ص ٣٣ : ٣٥ ، ٤٤ : ٤٦ / ديوان الأدب جـ١ ص ٩٥ ، ٢٥٧ / ديوان الشعر العربى جـ١ ص ١٢٤ / سمط اللآلى م١ ص ٣٩٤ / شرح الحماسة للتبريزى جـ٢ ص ٣٦٩ / شعر العبيد ص ١٢١ / الشعر والشعراء م١ ص ٣٦٥ / كتاب الصناعتين ص ٢٢١ ، ٤١٨ / العقد الفريد جـ١ ص ٢٢ ، جـ٣ ص ٨ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٢٦٦ ، جـ٥ ص ٢٥٦ / عيون الأخبار جـ١ ص ١٧٥، ١٧٦ ، جـ٤ ص ١٠٣ / الفاخر ص ١٦٠ ، ١٦١ / فصل المقال ص ٢٧٠ ، ٢٩١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ٣١٠ ، ٣٥٩ ، جـ٢ ص ٦٥ / مجمع الأمثال جـ١ ص ٤٣١ ، جـ٢ ص :١ ، ٤٤٠ ، ٥٠٩ / المحبر ص ٣٠٧ / المستقصى جـ١ ص ٣٣٢ ، ٤٣٨ / المصون فى الأدب ص ١٧٠ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١١٧ رقم ٧١٣ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ١٨٧ رقم ٥٨٢ / معجم ما استعجم ص ٣٦٣ ، ٤١١ ، ٥٠٤ ، ٨٢٧ ، ٩٤٤ ، ١٠٨١ ، ١١٧٠ ، ١٣٣٩ / المؤتلف والمختلف ص ١٧٥ رقم ٤٣٥ / موسوعة الشعر العربى م١ ص ١٤١ / نشوة الطرب جـ١ ص ٤٣٤ : ٤٣٧ ، ٥٤٦ / نقد الشعر ص ٤٤ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٤٤ : ٢٤٦ .

[١٥] ديوانه (طلال) ص ٩٦ رقم ١٤ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٣ ص ٨١٠٢ / شرح الحماسة للتبريزى جـ٢ ص ٣٦٩ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٤٥ .

٤ - ورُبَّ زَوْجٍ قد نَكَحْتُ عُطْبُولْ
٥ - ورُبَّ عانٍ قد فَكَكْتُ مَكْبُولْ
٦ - ورُبَّ وادٍ قد قَطَعْتُ مَسْبُولْ.

حياة حافلة طويلة ، قضاها السُّلَيْكُ فى الصعلكة ، رافضاً الاستسلام للتقاليد الظالمة التى فرضها مجتمعه على أبناء الإماء من الأحرار ؛ إذ كانوا يعدونهم - وهو ما صنعوه مع غيره كعنترة - من العبيد . رفض السليك أن يخضع لهذا العرف ، ورأى أن الخلاص منوط بالتمرد والصعلكة ، فاتجه إليهما مدفوعاً بعوامل أخرى - غير الاستعباد - كالفقر وظهور زعامات غير متزنة فى قبيلته تميم[(١)] .

وقُدِّرَ له أن تكون نهايته فى إحدى تلك المغامرات ؛ يقول ابن قتيبة :«ومر فى بعض غزواته ببيت من خثعم ، أهله خلوف ، فرأى فيهم امرأة بضة شابة ، فتسنمها ومضى ، فأخبرت القوم ، فركب أنس بن مدرك الخثعمى فى إثره فقتله»[(٢)] . وفى الأغانى : « قال أبو عبيدة : وحدثنى المنتجع بن نبهان قال : كان السليك يعطى عبد الملك بن مويلك الخثعمى إتاوة من غنائمه على أن يجيره، فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن فيغير عليهم ، فمر قافلاً من غزاة له ، فإذا بيت من خثعم ، أهله خلوف ، وفيه امرأة شابة بضة ، فسألها عن الحى ، فأخبرته ، فتسنمها ؛ أى علاها ، ثم جلس حَجْرَةَ ، فساورته ، ثم التقم المحجة ، فبادرت إلى الماء فأخبرت القوم ، فركب أنس بن مدرك الخثعمى فى طلبه ، فلحقه فقتله»[(٣)] .

وهناك رواية أخرى عن السكرى تقول إنه «لقى رجلاً من خثعم فى أرض

(١) راجع : شعر العبيد ص ١٢١ : ١٢٦ .
(٢) الشعر والشعراء م١ ص ٣٦٨ .
(٣) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٣ ص ٨١٠٠ . وانظر : الديباج ص ٤٤ ، ٤٥ .

يقال لها فخة بين أرض عقيل وسعد تميم ، وكان يقال للرجل مالك بن عمير . . . فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها النّوار ، فقال له الخثعمى : أنا أفدى نفسى منك . فقال له السليك : ذلك لك على ألا تخيس بى ، ولا تُطلع علىّ أحداً من خثعم . فحالفه على ذلك ، ورجع إلى قومه ، وخلّف امرأته رهينة معه ، فنكحها السليك . . . قال : وبلغ ذلك [الخبر] شبلَ بن قلادة بن عمرو بن سعد وأنس بن مدرك الخثعميين ، فخالفا إلى السليك ، فلم يشعر إلا وقد طرقاه فى الخيل ؛ فأنشأ يقول : . .»(٤) الأبيات .

من يُبلغ عنى قومى - أو حرباً ابنى كما جاء فى بعض الروايات - أنى مقتول ؟ لقد أحيط به وأصبح الموت حقيقة لا مهرب منها ولا مفر ، ها هو ذا يراه بعينه رأى اليقين ، ولايملك - مع ما عرف عنه من قوة وشدة بأس - له دفعاً ، فلا مناص من أن يرثى نفسه قبل أن يلفظ آخر أنفاسه ، وليكن القدر به رحيماً فيسمح له بما يمكنه من هذا الرثاء .

يا رُبَّ ورُبَّ ورُبَّ ورُبَّ ؛ رُبَّ نهب قد حواه - وما أكثر ما نهب منفرداً أو مع غيره من الذؤبان ، وارجع إن شئت إلى الكتب التى ترجمت له وإلى ديوانه الصغير لتقف على بعض مغامراته فى عالم اللصوصية والسرقة والنهب - «عثكول» ؛ والعثكول فى أصله عذق النخل ، ويريد به التنوع والوفرة والثراء . ورُبَّ قرن - وما أكثر خصومه - قد صرعه وتركه مجدولاً فوق الأرض ، يتمرغ فى الرمال أو التراب . ورُبَّ زوج - ويريد به المرأة بطبيعة الحال إن كان الزوج يصح لغة على الرجال والنساء - قد نكحها ، غير معترف لها بحرمة ولا بما تفرضه الضمائر والأعراف ؛ كتلك المرأة التى ارتبطت - كما رأيت - بتجربة الختام . ورُبَّ أسير - وهو ما قد يُحسب له من منظور

(٤) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٣ ص ٨١٠١ ، ٨١٠٢ . وانظر الخبر نفسه فى : شرح الحماسة للتبريزى جـ٢ ص ٣٦٩ .

حضارتنا - قـد فكك عنه الأغلال ، وأعاد إليه حريتـه ، ولم يرض - كما لم يرض لنفسه - أن يُزج به فى عـالم الرق والاستعباد . ورُبَّ واد مـسبول - أو مشـبول ؛ ملىء بالسبـاع وأولاد السباع ، كـما جاء فـى بعض الروايات - قد قطعه ، غـير مبال أو مـهتم بما قد يحـدق فيه من المخاطر والأهوال ، وتصـفه المصادر بأنه كان «بعيد الغارة»، وتصفه كذلك بأنه كان «أدل من قطاة» .

النهب والقرن والزوج والعـانى والوادى معالم بارزة - ذَكَّـرَنا بها ، وأراد من خلالها أن يذكرنا بنفسه ، وأن يظل لهـذا الذكر حضور خاص فى الوجدان - فى حـياة الصـعلوك اللص ، وهو يفـخر - شـأن غيـره من الصعـاليك - بصعلكته ولـصوصيته ، طالما كـانت تلك الصعلكة صرخة فى وجـه العصر ، وطالما كانت تلك اللصوصـية وسيلة للعيش فى مجـتمع غير متكافئ يشتـد فيه البون بين الأغنيـاء والفقراء ، ولايقيم للعدالة الاجـتماعيـة وزناً ولايعترف بأى حق لمن هو مثله من المعدمين وأبناء الإماء .

تتميز هذه المقـطوعة - على قصرها - بسرعة الإيقاع ؛ فـالشاعر يلهث - وهو يصارع المـوت ويريد أن يقول كل ما لديـه قبل أن يلفظ النفس الأخـير - ويجعلنا نلهث معه ، ويقتطف مشاهد متـباعدة - من حياته الماضية - لايجمع بينها إلا اتصالها - كما أشرت - على نحو ما بالصعلكة ، وإلا تلك «الهندسة» الواضحة ؛ أعنى - إن جاز لى التعبير - «هندسة الرصف» ؛ فرُبَّ تتصدر أكثر الأبيات ، يليها اسم نكرة ، ثم جملة فـعلية تتكون من «قد» والفعل الماضى - وهو ثلاثى فى كلٍّ - متصلاً بتاء الفاعل ، ثم كلمـة على وزن (مفعول) منتهية بالواو الممدودة واللام الساكنة - فى خمسة أبيات - أو ما يناسبها صوتاً - وهما «عثكول» و«عطبول» - فى البيتين الآخرين .

واختار كذلك بحراً مناسباً هو بحر السريع ، وآثر تقييد القافية ، وتكررت

أصوات فـيها نوع من الشـدة كصوت اللام - الذى أقـام عليه الروى - والنون والقاف ، كما تكررت كلمات كـ «رُبَّ» و«قد» والضمير المتصل - التاء - وكان تكرار كلٍّ منها - وهو يؤكد ما ذكرت من التوازى والاتساق - خمس مرات .

سماك بن عمرو العاملى (*)

[١٦]

(متقارب / متدارك)

١ - ألا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةٌ عامِدَهْ ... كما أبداً لَيْلَةٌ واحِدَهْ
٢ - فأبْلغْ قُضاعَةَ إنْ جِئْتَها ... وخُصَّ سَراةَ بَنى ساعِدَهْ
٣ - وأبْلغْ نِزاراً على نَأيِها ... بأنَّ الرِّماحَ هى العائدَهْ
٤ - فأُقْسِمُ لو قَتَلُوا مالكاً ... لكنتُ لهم حَيَّةً راصِدَهْ
٥ - برأسِ سَبيلٍ على مَرْقَبٍ ... ويَوْماً على طُرُقٍ وارِدَهْ
٦ - فأمَّ سِماكٍ فلا تَجْزَعِى ... فلِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الوالِدَهْ.

سِماكُ بن عَمْرو العاملىّ شاعر مغمور ، تجاوزته - على شاعريته التى قد يفصح عنها هذا النص - المصادر الأدبية المعروفة ، ولم يصنفه - فيما اطلعت عليه - أصحاب المعاجم - كالمرزبانى من القدامى والدكتور عفيف عبد الرحمن من المحدثين - ضمن شعراء العصر الجاهلى - ولا غيره من العصور - اللهم إلا صاحب «معجم الشعراء فى لسان العرب» ، ولم تتجاوز ترجمته له - إن صح وصف صنيعه هذا بالترجمة - نصف سطر .

واضطرب من تحدثوا عنه - وهم قلة كما أشرت ، ولم يتجاوز حديثهم عنه المناسبة التى وردت فيها هذه الأبيات - فى نسبته ؛ فعده بعضهم - كالميدانى والمفضل الضبى وابن برى فيما نقله عنه صاحب اللسان - عاملياً - وهو ما ترجح

(*) ترجمته وأخباره : الأمالى لأبى على القالى جـ٢ ص ١٣٨ / الفاخر ص ٤٥ / لسان العرب (لوم) / مجمع الأمثال جـ١ ص ٨٥ ، جـ٢ ص ١١٠ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ١٨٨ رقم ٥٨٩ / نهاية الأرب جـ٣ ص ٥٨ .

[١٦] الفاخر ص ٤٥ وقد اعتمدت روايته / لسان العرب ص ٤١٠٤ (لوم) . وانظر ص ٣٠٩٧ (عمد) حيث أورد بيتاً منها - هو البيت الأول - رواه ثعلب عن ابن الأعرابى ، ونص على نسبته إلى سماك .

لدىّ - وعده آخرون عامرياً - ولعل تصحيفاً قد حدث لدى هؤلاء ، فانقلبت اللام راء ، فقيل فيه «العامرى» بدلاً من «العاملى» - ونسبه أبو عبيد إلى بنى باهلة فقال فيه «الباهلى» [١] .

وفى الأمالى لأبى على القالى[٢] سماه - فيما رواه عن ابن الكلبى - سماك ابن حريم ، وذكر أنه أخو مالك بن حريم ، ومعروف أن مالك بن حريَم - أو صريم - ينتهى إلى همدان ، ولم يقل فيه سماك بن حريم غير القالى ، ولم ينسبه أحد غيره إلى همدان ، فلعله سماك آخر غير شاعرنا ، أو يكون القالى قد خلط - وهو ما أميل إليه - بين الرجلين[٣] .

كان من حديث سماك - وهو مما قد يلقى الضوء على الظروف والملابسات التى قيلت فيها الأبيات - «أن بعض ملوك غسان كان يطلب فى بطن عاملة ذحلاً، فأخذ منهم رجلين يُقال لهما مالك بن عمرو وسماك أخوه ، فاحتبسهما عنده زماناً، ثم دعا بهما فقال لهما : إنى قاتلٌ أحدَكما ، فأيكما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : اقتلنى مكان أخى . فلما رأى ذلك قتل سماكاً وخلى سبيل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول : ألا من شجت. . .»[٤].

قُتل سماك إذن على يد بعض ملوك الغساسنة أو بأمر منه - لا غيلة ، كما

(١) الفاخر ص ٤٥ هـ ١ . ومثل هذا حدث مع سماك آخر ؛ استشهد ببعض شعره الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» - جـ١ ص ٣٢٢ - ووصفه بأنه «عكرمى» ، وعلق عليه محققه الشيخ عبد السلام هارون رحمه الله - فى هامشه - قائلاً : «جـ"العكلى" مع أثر تصحيح ، ب والتيمورية "العكرى"» . فهو إذن فعل النساخ . ولم يجزم - فى فهارسه - بشىء ، فقال - فى فهرس الأعلام - : « سماك العكرى ، أو العكرمى ، أو العكلى» .

(٢) جـ٢ ص ١٣٨ .

(٣) وقد خلط القالى كذلك حين جعل قتلته من مراد ، وهو مما تفرد به ، ولم يتابعه - فى حدود قراءاتى - أحد عليه . ومن الغريب أن البكرى لم يعلق على شىء من هذا كله فى التنبيه .

(٤) الفاخر ص ٤٥ .

يقول القالى ، على يد بعض بنى مراد - فى مسائل تتعلق - كما ترى - بالثار ، وكان مقتله - على ما ذهب إليه الضبى وابن برى وغيرهما - فى بلاد بنى غسان؛ حيث اعتقله - واعتقل أخاه معه - أحد ملوكهم - دونما تحديد له - وقتله بعيداً - إن صح ما ذهب إليه هؤلاء - عن الأقارب والآل ، فحملت الأبيات - فى جزء منها - طابع الرسالة - كما حملته نصوص أخرى سابقة - ولم تخل من الإحساس بالوحشة والاغتراب . «ألا» - وهى إحدى تقاليدهم الواضحة فى مفتتح الرثاء - «مَنْ» - ويعنى بها نفسه - «شجت» - من الأشجان أو الأحزان ، أو بالأحرى منها الشجن ؛ وهو الحزن ، إن كان الفعل هو الأصل فى الاشتقاق - «ليلة عامدة» ؛ قال الأزهرى : ليلة عامدة أى ممرضة موجعة[5] . هى ليلته الأخيرة تلك بطبيعة الحال ، وهى تساوى الدهر كله على الرغم من كونها واحدة؛ فهى والأبد سيان ، تمر بطيئة حتى لتكاد تتجمد ساعاتها ويكاد الزمن - أو الإحساس بمروره - يتوقف فيها ، فهل كان سماك يتعجل طلوع الصبح كما يتعجله العشاق ؟ كيف وفى الإصباح مقتله ؟! أم هى الرغبة فى التخلص من عذاب الانتظار ؟ إنه الموت البطىء كما يقال ، أو هو الموت أكثر من مرة - موت المحكوم عليه بالإعدام - فمتى يجىء الصبح ومتى ينفذ فيه الحكم ؟!

هذا الانتظار المر هو الذى يولد - فيما أرى - ضجره - الواضح منذ البداية - من طول الليل وبطء الساعات ، ولك أن تتخيل كيف تصير الليلة أبداً ، أو كيف يموت الزمن ولايتحرك فيها الوقت ، ولك أن تتخيل أيضاً هذا القابع فى عزلته - داخل زنزانة أو غرفة أرضية من غرف العزل - تحيط به - مع القضبان - آلام الوحشة ، وتفتك به - حتى تمزقه - الهموم والأحزان .

وسط هذا المكان الموحش - وفى محاولة منه لكسر العزلة المفروضة عليه عن طريق الاتصال بالآخر - يرسل سماك برسالته إلى قضاعة - أو بنى ساعدة ، وهم

(٥) اللسان (عمد) .

بطن منها ، على وجـه خاص - وإلى نزار ، وهى رسالة موجـزة جداً ، لاتحمل غيـر معنى واحد هو الـتهديد ، ذلك التـهديد الذى يوحى برفضـه المطلق - على الرغم مما هو فيه - للاستـسلام أو الانكسار ؛ فـ«الرمـاح هى العائدة» ، والكلمة الأخيرة - فـيما بينه وبين خصـومه - سوف يمليها السـلاح ؛ نعم قد يطاح - مع الصباح - برأسـه ، وقد يصلب ويمثل به ، لكن نهايته سـوف تكون بداية لصراع طويل مع قومه ، وكلٌ منهم لايقل أنفةً عنه ، فلو كان الـقتيل مالكاً - وفيه حض غير مباشر لأخيه على الانتقام له والثأر - وقدر له البقاء بعده - أو بالأحرى تبادلا الأوضاع - لـكان لهم «حيـة راصدة» - وفى هذا التـعبـير مـافيه من الإيـحاء - ترصدهم فى كل مكان وتراقبهم - للانقضاض عليهم - فى كل طريق .

ولايجـد ما يختـتم به أفـضل من تلك الكلمـات يوجهـهـا إلى أمه - وقـد استحـضرها دون الزوجة والأبناء ، بل دون كل أقاربه وذويه ، وكـان لها على ما يبدو مكانة خاصة عـنده - لاتجزعى يا أم - وقد تخيلها بعد رحيـله وتخيل حزنها بل شدة جزعها عليه - «فللموت ما تلد الوالدة» ، ولاخلود - على وجهها - ولا بقاء ، كلٌ يولد لا ليحيا - كمـا يظن الناس - وإنما ليموت ، كلٌ يولد ليموت ، وكل مولود للمـوت ، فانظر كيف اختـصر - وهو يعزيهـا مقدماً عنه - الحـياة ؛ فجعلها - طالت أو قصرت - شيئاً معدوماً أو - وهى من أفضل حكمهم فى رأيى - لاشىء!!

هذا العربى البسيط الذى لم يقرأ فلسفة ، ولم يعرف - كما نعرف نحن الآن - العدمـيين ونحوهم ، يقرر - وقد أمـلاه على ما يبدو واقـعه المر - أن الفناء - وسوف يواجهه بعد لحظة أو لحظات - مصير الوجود ، ويربط هذا الربط العجيب بين المبتدا والانتهاء .

وأعود بك إلى مصادره لترى - وأرى معك - كيف صدق ظنه ، ولم يخيب مالك - على ما لخصـومه من الغساسنة وأتباعهم من السطوة والبـأس - ما توقعه

منه ، وترى الأم - التى لم تفتـأ تذكره بعد وتذكر مقـتله - وهى توثب مالكاً من أجله وتحضه - فى كل آن - على الثأر - مهما كلفه - والانتقام ؛ يقول الضبى : « فانصرف مالك إلى قومه » - يعنى بعد نجاته وموت أخيه - «فلبث فيهم زماناً ، ثم إن رَكْباً مَرُّوا وأحدهم يتغنى :

فأُقْسِـمُ لـو قَتَلُـوا مالكـاً   لكنتُ لهم حيَّةً راصِـدَهْ

فسمعت ذلك أم سـماك ، فقالت : يا مالك ! قَبَّحَ اللهُ الحيـاة بعد سماك ، أخرج فى الطلب . فلقى قاتل أخيه يسـير فى ناس من قومه ، فقال : مَنْ أَحَسَّ لى الجمل الأحمر ؟ فقالوا له وعـرفوه : يا مالك لك مائة من الإبل وكُفَّ . فقال : لا أطلب أثراً بعد عين . فذهب قوله مثلاً . ثم حـمل على قاتل أخيه فقتله ، وكان من غسان من بنى قـمير ، فقال فى ذلك : . . .»[٦] . ثم أورد أبياتاً ملؤها التشفى ؛ منها :

«بَنِى قُمَيْـرٍ قتلـتُ سَيِّدَكـم   فاليـومَ لارَنَّـةٌ ولا جَـــزَعُ
فاليومَ قُمْنا عـلى السَّـواءِ فـإنْ   تُجْزُوا فدَهْرِى ودَهْرَكم جَذَعُ» .

(٦) الفاخر ص ٤٥ .

الشنفرى (*)

[١٧]

(رجز / متواتر)

١ - لاتَبْعَدِى إمَّا هَلَكْتِ شامَهْ
٢ - فرُبَّ وادٍ نَفَّرَتْ حَمامَهْ
٣ - ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظامَهْ

(*) **ترجمته وأخباره** : أخبار النساء ص ٩٧ / أدباء العرب لبطرس البستانى جـ١ ص ٨٧ / الأزمنة والأمكنة جـ١ ص ٢٩٣ / الاشتقاق ص ٥٨ / الأعلام م٥ ص ٨٥ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٤ ص ٨٣٩١ / الأمالى لأبى على القالى جـ١ ص ١٩٥ ، جـ٣ ص ٤١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ ص٥٩ / تاريخ الآداب العربية (نالينو) ص ٧٢ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١٤١ / تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) جـ١ ص ١٠٥ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٣١٥ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١٠٢ / تعليق من أمالى ابن دريد ص ٣٣ / الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٨٦ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٩٤ ، جـ٢ ص ١٠ ، ٢١٦ ، ٣٥٢ / حماسة الخالديين جـ١ ص ١٩٣ ، جـ٢ ص ١٥ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٣٠٨ ، ٣٢٩ / الحيوان جـ٦ ص ٤٥٠ / خزانة الأدب جـ٢ ص ١٦ / ديوان الأدب جـ١ ص ١٦٢ ، جـ٢ ص ١٤٦ / ديوان الشعر العربى جـ١ ص ٣٨ / رسالة الغفران ص ٣٤٣ / سمط اللآلى جـ١ ص ٤١٤ / شرح اختيارات المفضل ص ١٠٦ : ١٠٨ ، ٥١٣ ، ٥٥٨ / شرح الحماسة للتبريزى جـ٢ ص ٢٦ / شرح المفضليات ص ١٩٥ / شرح نهج البلاغة جـ١ ص ٢٢٤ / شعر العبيد ص ١٢٧ / الشعر والشعراء م١ ص ٨٠ / كتاب الصناعتين ص ٧٠ ، ٢٠٣ ، ٣٥٤ / العصر الجاهلى ص ٣٧٩ / العقد الفريد جـ١ ص ٧٣ / عيون الأخبار جـ٤ ص ٧٩ / المزهر جـ١ ص ١٦٠ ، ١٧٦ ، جـ٢ ص ٣٤١ / المستقصى جـ٢ ص ٢٤٤ / المصون فى الأدب ص ٤ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١٢٧ رقم ٧٨٧ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ١٩٩ رقم ٦٤٣ / المفضليات ص ١٠٨ / المنازل والديار ص ٢١٣ / موسوعة الشعر العربى جـ١ ص ٥٩ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٤٩ / الوحشيات ٣٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

[١٧] شعر الشنفرى (الميمنى) بالطرائف الأدبية ص ٤٠ وديوانه (طلال) ص ٦٧ رقم ١٥ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٤ ص ٨٣٩٦ ، ٨٤٠١ ، ٨٤١٣ / شرح الحماسة للتبريزى جـ٢ ص ٢٦ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٥٠ .

٤ - ورُبَّ خَـرْقٍ قَـطَعْتُ قَـتَـامَـهْ
٥ - ورُبَّ حَيٍّ فَـرَّقْتُ سَـوامَـهْ.

اصطبغت حياة الشنفرى بالدم [١] ، وكانت نهايته دموية كذلك [٢] ؛ كانت أشبه بالمأساة ، بل كانت مأساة حقيقية «مارس فيها قاتلوه أبشع أنواع الانتقام ، من السخرية ؛ حيث طلبوا منه أن ينشدهم وهو مقرون بالحبال ، فقال : "إنما النشيد على المسرة" . فذهبت مثلاً . ومن التنكيل والتعذيب ؛ حيث رموه فقطعوا يده . . . وربما سملوا عينيه ؛ قال له السلامى : "أأطرفك" ؟ وكأنه يستأذنه ، ثم رماه فى عينه ، فقال الشنفرى : "كأن كنا نفعل كذلك" . أى كذلك كنا نفعل . ثم خيروه فى المكان الذى يدفن فيه حين هموا بقتله فقال أبياته المشهورة : "لاتقبرونى . ." . يريد ألا يقبروه ، وأن يتركوه للضبع تأكل لحمه»[٣] .

أما القطعة التى بين يديك - وقد قالها حين احتزوا يده قبيل مقتله وكانت بها شامة سوداء - فهى تشبه من بعض الوجوه مرثية السليك لنفسه ، «وهى مزيج من الفخر والرثاء ، ونلاحظ أنه لم يبالغ فى حزنه على يده ، ولم يتوجع، ولم يظهر الشكوى ؛ كى لايشمتوا به وهو بين أيديهم ، وكان هدفهم من قطع يده ثم سمل عينيه بعد ذلك السخرية منه والهزء به انتقاماً لما كان يصنعه بهم ، لذلك رأيناه يتجه نحو الفخر مباشرة وذكر الأعمال العظيمة لتلك اليد ، وهى عظيمة فى تصوره هو لاقترانها بالصعلكة ، وإن لم تكن كذلك فى تصور

---

(١) راجع كتابنا : شعر العبيد ص ١٢٧ : ١٣٨ .
(٢) انظر خبر مقتله مفصلاً فى الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٤ ص ٨٣٩٥ : ٨٤٠١ ، ٨٤١٠ : ٨٤١٤ ونوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
(٣) شعر العبيد ص ١٣٨ .

الآخرين ؛ فكم رَوَّعَتْ آمناً ، وكم مزقت ، وكم فرقت من سوام ، وكأنه من خلال رثائه لها يرثى نفسه وهو على شفا الموت»(٤) .

وقد بناها - كما بنى السليك مرثيته - على عدد قليل من الشطرات ، تبدأ كل شطرة - منذ البيت الثانى مباشرة - بكلمة «رُبَّ» - التى تخرج فى هذا السياق على ما أفهم من التعبير عن القلة إلى الإيحاء بالكثرة ؛ أعنى من الضد إلى الضد - تليها نكرة : [واد - قرن - خرق - حى] ؛ تتكون من ثلاثة حروف ، بل إن بعض هذه النكرات - «واد» و «قرن» - مما جاء - كما رأيت - فى مرثية السليك ، ثم جملة فعلية تتكون من فعل ماض - وإن خلا ههنا من «قد» المؤكدة فلم يقترن بها كما اقترن بها فى نص السليك - تتصل به تاء - التأنيث ههنا ، والفاعل عند السليك - ثم كلمة متممة - هى المفعول به ههنا - يوجد بينها نوع من التلاؤم الصوتى أو الاتساق : [حمامه - عظامه - قتامه - سوامه] ؛ حرفان - الأول مفتوح غالباً والثانى مفتوح فى كل - ثم مد ، ثم ميم مفتوحة،ثم هاء السكت .

وتكررت كلمات - تكررت بعينها عند السليك - ككلمة «رُبَّ» - متصدرة كما أشرت للأبيات - وحروف كالتاء والقاف والراء والميم ، وتكرر لديه كذلك التنوين - بالكسرتين تحديداً - والشدة أو التضعيف ، وهو ما ينسجم مع الإحساس السائد فى تلك اللحظة بالتأزم والضيق .

[١٨]

(طويل / متدارك)

١ - لاتَقْبُرُونى إنَّ قَبْرِى مُحَرَّمٌ   عليكم ولكنْ أَبْشِرِى أُمَّ عامِرِ

(٤) المرجع نفسه ص ١٩١ .

[١٨] شعر الشنفرى (الميمنى) بالطرائف الأدبية ص ٣٦ وديوانه (طلال) ص ٤٧ رقم ٨ / الأغانى (ط. الشعب) جـ٢٤ ص ٨٣٩٧ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٩٤ رقم ٢٠٠ / شرح الحماسة =

٢ - إذا احْتَمَلُوا رأسِي وفِي الرَّأسِ أكثَرِي ﻭﻏُـــﻮﺩِﺭَ ﻋﻨﺪَ ﺍﻟْﻤُﻠْﺘَـــﻘَﻰ ﺛَﻢَّ ﺳــــﺎﺋِﺮِﻯ
٣ - هُنالِكَ لا أرْجُـو حَـياةً تَسُـرُّنِي سَـجِيسَ اللَّيـالِي مُبْـسَلاً بالجَـرائِرِ.

هل الضيق من القبر - وقد عاش حياته حراً طليقاً يرفض كل أنواع القيود - أم الخوف منه والفـزع والرعب مما قد يلقـاه فيه هو الذى دفع الشـنفرى إلى تلك الصرخة فى بداية النص : «لاتقبرونى» ؟

وصية كما ترى من نوع غريب ، والأغرب منه أنه يوصى بها أعداءه وقاتليه؛ حيث لاحبيب ولا صديق ، ولا أخ له بينهم - يسمع عنه فيستجيب - ولا رفيق، وإنما هى الوجـوه - ألا شاهت تلك الوجـوه - التى تتـربص به ، و تكاد - لولا لذة التـعذيب والتـشفى منه - تفـتك به ؛ الغـيظ يقطعهـا ، والشرر يقـدح من العيون، وتصطك الأسنان ، وتنتفض العروق لما يفور بداخلها من الدماء .

هل يسمع منه هؤلاء - فى مـثل تلك اللحظات - وليس فى صدورهم غـير الإحن والأحقاد ، وغير الرغبة فى الثـأر منه والانتقام ؟! «إن قبرى محرم» ؛ فلا يباح فـيما يبـاح ، قد تبـاح لكم النفس - فاقتلونى إن شـئتم - وقـد تباح لكم الدمـاء - ها أنا ذا بين أيديكم والموت آت آت - لكن دفنى مـحـرم ، لاتدفنونى مثلما يدفن المـوتى فى كل زمان ومكان ، أنا لست كسائر الأمـوات ، وإنما ليترك جسدى للسباع والضباع ، وماذا يضـير ذاك الجسد إذا احتملوا الرأس منه فقطعوها - وفيها أكثره كما يقول - وتركوه ملقى فى العراء ؟! أن يكون على هذا النحو - متفرداً فى العراء كما تفرد فى الحـياة وعاش مغترباً ضائعاً ، أو فى بطون الوحش

= للتـبريزى جـ٢ ص ٦٣ / الشـعر والشـعراء م١ ص ٨٠ / كتـاب الصناعتـين ص ٢٠٣ . وجاء بعضها فى : الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٤١ / تاج العروس (بسل) / تفسير الطبرى جـ٧ ص ١٣٩ / تفسيـر القرطبى جـ٧ ص ١٦ / فقه اللغة ص ٢٢٤ / لسان العـرب (بسـل) / مجاز القرآن م١ ص ١٩٥ .

- خير له من أن يبـقى فى قبره - إن دفنوه - رهين الجرائر - وما أكـثر جرائره - أبد الآباد .

لقـد ظن - وهو الجاهلـى - أنه «إن تناثر لحمـه وتوزع فى بطون الوحـوش عزت عودته . . . وربما اختار صحبة الوحش بـعد الموت كما اختارها فى الحياة ، أليس هو القائل :

وَلِى دُونَكم أهْلُونَ سِيـدٌ عَمـلَّسٌ ... وأرْقَـطُ زُهْلُولٌ وعَرْفـاءُ جَيْـأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ شائعٌ ... لَدَيْهِم ولا الجانى بما جَرَّ يُخْـذَلُ

وربما لم يزد ذلك على أن يكون نوعـاً من السخـرية ، يوجهـها إليـهم وقد أرادوا أن يسخروا منه وهو قريب من الموت » (٥) .

(٥) شعر العبيد ص ١٣٨ .

صخر بن عمرو بن الشريد السلمى (*)

[١٩]

(طويل / متواتر)

١ - أرَى أُمَّ صَخْـرٍ ما تَمَلُّ عِـيادَتِى وَملَّتْ سُلَيْـمَى مَـضْـجَـعِى ومكانِى
٢ - وما كُنْتُ أَخْشَى أنْ أكُونَ جِنازَةً علـيكِ ومَنْ يَغْـتَـرُّ بالحَـدَثانِ
٣ - فـأَىُّ امْـرِئٍ سـاوَى بـأُمٍّ حَلِيلَةً فـلا عـاشَ إلا فى شَـقًـا وهَوانِ
٤ - أَهُمُّ بأَمْـرِ الحَـزْمِ لو أَسْتَطِـيعُـهُ وقـد حِـيلَ بينَ الـعَـيْـرِ والنَّزَوانِ
٥ - لَعَمْرِى لقدْ نَبَّهْتِ مَنْ كانَ نائماً وأَسْـمَـعْتِ مَنْ كـانـتْ له أُذُنانِ
٦ - وللمَوْتُ خَـيْرٌ من حَياةٍ كـأَنَّها مَـحِلَّةُ يَـعْـسُـوبٍ بـرأْسِ سِنانِ.

(*) ترجمته وأخباره : الاشتقاق ص ٣٠٩ / الإصابة جـ٨ ص ١١٠ / الأصمعيات رقم ٤٧ / الأعلام م٣ ص ٢٠١ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٣٦٢ : ٥٣٦٥ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ ص ١١٠ : ١١٢ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١٦٧ / التذكرة السعدية ص ٣٧٧ / التعازى والمراثى ص ١١٨ ، ١١٩ / جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٩ / حماسة ابن الشجرى ص ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ / الحماسة البصرية م٢ ص ٣١٠ ، ٣١١ / خزانة الأدب جـ١ ص ٤٣٥ : ٤٣٧ / ديوان الشعر العربى جـ١ ص ١٣٣ / رسالة الغفران ص ١٦٣ ، ٣٠٠ / شرح الحماسة للتبريزى جـ١ ص ٤٥٤ / شرح الحماسة للمرزوقى ص ١٠٩٧، ١٤١١ / الشعر والشعراء م١ ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ٢١٠ / العقد الفريد جـ١ ص ٢٩١ ، جـ٣ ص ١٩ ، ١٩٦ : ٢٠٠ ، ٢٧١ ، جـ٤ ص ٢٤ : ٢٧ / عيون الأخبار جـ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ١٩١ ، جـ٤ ص ٣٤ : ٦٠ / مجمع الأمثال جـ٢ ص ٣٧ / مصارع العشاق م١ ص ١٦١ ، ١٦٢ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١٢٨ رقم ٧٩٩ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٢٠٢ رقم ٦٥٨ / موسوعة الشعر العربى جـ٣ ص ٣٣٥ / نشوة الطرب ص ٢٥٧ ، ٥١٩ : ٥٦٢ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

[١٩] الأصمعيات رقم ٤٧ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٣٦٤ / التعازى والمراثى ص ١١٨ / خزانة الأدب جـ١ ص ٤٣٦ / الشعر والشعراء م١ ص ٣٤٥ / مصارع العشاق م١ ص ١٦١ / المصون ص ١٧٧ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٥ .

غطت شهرة الخنساء على أخويها معاوية وصخر ؛ فأطفأت شاعريتهما ، وأسقطتهما - على ما يبدو - من الحسبان ، فلم يُعرفا إلا بها ، وأخملت ذكرهما ؛ فلم يذكرا - على ما لهما من شرف وسيادة - منفردين ، وإنما اقترن ذكرهما - أو ذكر كلٍّ منهما - بها ، ولم يُصنع لأحدهما ترجمة خاصة - كما صنع لها ولغيرها من الشعراء - إلا في النادر القليل .

أما معاوية فهو أخوها الشقيق ، وأما صخر - وهو أحبهما إلى قلبها - فلم يكن شقيقاً لها [1] ، وكان يكنى بأبي حسان ، قتلته بنو أسد فملأت الدنيا - على نحو ما هو معروف - بكاءً عليه .

وأقف هنيهة مع مقتله لتستبين - وأستبين معك - الظروف والملابسات التي قيلت فيها الأبيات ؛ يقول ابن حبيب - في «أسماء المغتالين» [2] - : « وكان غزا بني أسد بن خزيمة وأصاب غنائم وسبياً ، وأن أبا ثور بن ربيعة بن ثعلبة بن رباب ابن الأشتر الأسدي طعن صخراً وعليه الدرع ، فدخلت حلقة من حلقات الدرع بطن صخر ، فتحامل بالطعنة ، وفات بني أسد ، فجَوِيَ منها ، وكان تَمَرَّضَ قريباً من سنة حتى مَلَّهُ أهله ، فسمع امرأة وهي تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ قالت : لاحي فيُرْجَى ، ولا ميّتٌ فيُنْعَى ، لَقِينا منه الأَمَرَّيْنِ . فلما سمع ذلك منها قال : . . » . ثم أورد النص .

ويضيف أبو الفرج الأصفهاني - في روايته عن ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، ورواية الأثرم عن أبي عبيدة كذلك - تفاصيل أخرى ، منها أنه كان يقود بني خفاف ، ويقود أنس بن عباس الرِّعْليُّ بني عوف ، وقد خرجا - في غزاتهما تلك لبني أسد - متساندين ، وسُمِّيَ ذلك اليوم «يوم الكلاب» و«يوم ذي

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - ت . عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض محمد (دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م) جـ٨ ص ١١٠ .

(٢) نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٥ .

الأثل» ، وأشـار إلى أن بديلة - التى يُنسب إليهـا ما قـيل فى التـبرم من صـخر وطول ما ألم به من مرض - قـد أصابها صخر - فيـمن أصاب من النساء - فى تلك الغزاة (٣) . وذكر رواية أخرى تخـتلف عن تلك الرواية ؛ وفيهـا أن صخراً «ورد هو وبلعاء بن قيس الكنانى . قال : وكانا أجمل رجلين فى العرب . قال : فشربـا عند يهودى خمار كـان بالمدينة . قال : فحسـدهما لما رأى من جمالـهما وهيأتهما ، وقال : إنى لأحسد العرب أن يكون فيهم مثل هذين . فسقاهما شربة جَويا منها . قال : فـمر بصخر طبيب بعدما طال مرضـه ، فأراه ما به ، فقال : أشُقُّ عنك فتُفيق . قال : فعمد إلى شفـار فجعل يحميها ثم يشق بها عنه ، فلم ينشب أن مات » (٤) .

وتضفى هذه الرواية - وهى الأقل شـهرة فى مصادرنا القديمة - عـلى مقتله طابع الصراع العنصرى ، ولعلها - وفى النفس منهـا ما فيها - مما وُضع بآخرة - بعد الإسلام - أمـا الرواية الأولى - وهى الشائعة - فلا تخرج - مهـما اختلفت تفاصيلـها فى كتب القدامى - عمـا هو معروف من الصراع القـبلى ، وتحمل فى الوقت نفسه أبعاداً ذاتية ترتبط - كما سوف ترى - بشخصية صخر .

وانتقل بك - إن أذنتَ - إلى حجرة صـخر - وأدلف بك منها إلى النص - لتراه وقد طال المرض به - حتى مله الأقارب وضجرت منه فيمن ضجر الزوج - جسـداً هامداً فـوق الفراش ؛ لاحى فيـرجى - كمـا قالت عنه أو قالتـه السبـية وسمعها بأذنيه - ولا هو فى عداد الأموات . ويلتفت صخر إلى أمه - تلك التى لم تفارقـه أو لم تمل عيادته كما يـقرر فى بداية الأبيات - فيـرى الدموع تجرى - برغمها - على خديها (٥) ، ويسمعها - كما كـان يسمعها من قبل - وهى تدعو

(٣) الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٣٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٣٦٢ ، ٥٣٦٣ .

(٥) التعازى والمراثى لأبى العـباس محمد بن يزيد المبـرد - ت . إبراهيم محمد حسن الجـمل (نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٣م) ص ١١٨ .

له ، ولاتزيد عن قولها - حين تُسأل عنه - : «نحن بخير ما رأينا سواده بيننا»[٦]. أو - تجيب به من سألها : كيف أصبح ؟ - : « أصبح صالحاً بنعمة الله» [٧] . فيردد - وقد وضعنا منذ البداية أمام تلك المقارنة بين الزوجة والأم - فى غير قليل من المرارة والأسى :

أرَى أمَّ صَخْرٍ ما تَمَلُّ عِيادَتِى ... ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِى ومكانِى

وفى رواية «لاتمل عيادتى» [٨] ، وفى أخرى «ما تجف دموعها» [٩] ، وهو موقف غير مستغرب من الأم ، بينما الزوجة تهزأ وتقول ما تقول ، وهو ما لم يكن يضعه قط فى الحسبان ؛ أن تصل به الحال إلى ما وصلت إليه ، وأن يصبح ثقلاً وعبأ - أو «جنازة» على حد تعبيره ، وهو الأروع بطبيعة الحال - لكنها الحدثان ! ومن يغتر بعد بالحدثان ؟!

وإزاء تلك الصدمة القاسية - من سلمى التى خذلته - واعترافاً - فى الوقت نفسه - بموقف الأم وما يمليه الوفاء - على ما يبدو - نحوها ، يقرر - مع اختلاف بين المصادر فى ترتيب الأبيات - أن شيئاً على الإطلاق - مما يربط بين البشر من سائر العلاقات - لايساوى الأمومة فى عظمتها ومثاليتها :

فأىُّ امْرِئٍ ساوَى بِأُمٍّ حَلِيلَةً ... فلا عاشَ إلا فى شَقًا وهَوانِ

نعم ، فليشقَ - كما شقى - وليجلله الهوان كل مَنْ ساوى بين أمه - وهى من لايساويها شىء كائناً ما كان - وزوجه - والتجربة التى مر بها أصدق شاهد على ما يقول - ناهيك عمن يفضلون - وهو ما يُفهم ضمناً - الزوج على الأم .

---

(٦) مصارع العشاق لأبى محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (دار صادر - بيروت - بدون تاريخ) م١ ص ١٦١ .

(٧) الشعر والشعراء م١ ص ٣٤٥ . خزانة الأدب جـ١ ص ٤٣٦ .

(٨) الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٣٦٣ . مصارع العشاق م١ ص ١٦١ .

(٩) التعازى والمراثى ص ١١٨ . المصون ص ١٧٧ .

وحين نعود إلى الأخبار مرة أخرى - لفهم النص وإلقاء مزيد من الأضواء عليه - نجد البغدادى يقول : « وروى أن امرأته هذه كانت ذات كَفَل وأوراك ، وكانت قد مَلَّتْه ، وكان يكرمها ويقدمها على أهله ، فمر بها رجل وهى قائمة فقال لها : أيباع هذا الكفل ؟ فقالت : عما قليل . وصخر يسمع ، فقال : لئن استطعت لأقدمنك أمامى . ثم قال لها : ناولينى السيف أنظر هل تقله يدى ! فدفعته إليه ، فإذا هو لايقله ، فعندها أنشد الأبيات »(١٠) .

وفى الشعر والشعراء : « . . فلما أفاق من عِلَّتِه بعض الإفاقة عمد إلى امرأته سلمى فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت ، وقال غيره : بل قال : ناولونى سيفى لأنظر كيف قوتى . وأراد قتلها ، وناولوه فلم يطق السيف ؛ ففى ذلك يقول * أهم بأمر الحزم * البيت » (١١) .

وإذن فالأمر الذى هم به وأشار إليه - فى البيت الرابع - ووصفه بالحزم هو الخلاص منها ، وسوقها للموت قبله إن استطاع ، لكن كيف يستطيع وهو فيما هو فيه ؟! لقد اشتد عليه المرض - ولم تكن تلك الإفاقة التى أشار إليها ابن قتيبة إلا سحابة صيف - ولم يعد بينه وبين الموت إلا خطوة واحدة أو بضع خطوات ، وكان يستشعر - فى أسى - هذا ، وكان صادقاً - فى رأيى - كل الصدق حين أضاف يائساً «لو أستطيعه» ، معبراً بأداة الشرط "لو" عن تلك الاستحالة ، وقدم - فى الشطرة الثانية - صورة تؤكد هذا الإحساس المطبق باليأس ؛ فقد حيل - وانظر كيف بنى الفعل للمجهول وأكده - بينه وبين تحقيق رغبته تلك - وهى الأخيرة على ما يبدو - كما حيل بين العير والنزوان ؛ وهو مثل يضرب ويراد به التعبير عن العجز ، وفى اللسان - مادة : نزا - أن أول من قاله - وقد أورد

---

(١٠) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى - ت . عبد السلام محمد هارون (ط٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٩م) جـ١ ص ٤٣٧ .

(١١) الشعر والشعراء م١ ص ٣٤٥ .

البيت معه – هو صخر . وسواء كان قد ابتكره أو استقاه عن غيره – موروثاً شعبياً أو نصاً أدبياً أو شيئاً آخر غير هذين الأصلين – فوظفه للتعبير عما يراه ؛ فقد نجح – ولعلك تتفق معى – فى توصيل فكرته وترسيخها – دونما تعقيد – وجعلنا نشاركه – على نحو ما – فى الإحساس بما يحس به ؛ أعنى عدم القدرة والشلل التام أو العجز .

لكنه – وإن عجز عن الانتقام لنفسه منها وخذله الجسد المنهوك – لازال يملك – وهو ما أفهمه ضمناً – عقلاً يعينه على التمييز – فلا يلتبس عليه الأمر فيظل أسير خداعها – وبعضاً – وهو ما يحاول الآن التمسك به ويهرع لائذاً إليه – من كرامة ؛ «لقد أنبهتِ» بصنيعك هذا – مع ما فيه من قسوة وغلظة طبع – «مَنْ كان نائماً» ويعنى بالنائم نفسه بطبيعة الحال ؛ لقد استيقظ الآن – وهو ما يقسم عليه بعمره ، أغلى ما يملكه المرء ، حين يراه وهو يتسرب من بين يديه – وآن له أن يفك عن عنقه – ولو للحظة واحدة ثم يرحل بعدها مرفوع الرأس – طوق زيفها؛ مكرها وخداعها ، «وأسمعتِ» – أيتها الزوج الخائنة – «مَنْ كانت» – وهل دفعه إحساسه باقتراب الموت إلى هذا التعبير فجعله شيئاً ماضياً ، أم أراد كما استخدمت فى القرآن الكريم فى نحو قول الله عز وجل ﴿وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ كان ولايزال ؟ – «له أذنان» ؛ يسمع بهما ، ويميز – من خلالهما – بين الصواب وغيره فلا تلتبس – مرة أخرى – عليه الأشياء .

الموت – وهو ما يقرره آخراً ، ويجيء نتيجة طبيعية لما مضى ، ويصل بنا إليه لا طفراً وإنما متدرجاً – خير من حياة كتلك الحياة ؛ حياة كأنها «محلة يعسوب برأس سنان» أو على حد قول شارحه «معناه أن الرئيس إذا قُتل جُعل رأسه على سنان ؛ يعنى أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت» [١٢] . فليأتِ الموت إذن ، وليَمْضِ – بمحض إرادته – نحو الفناء .

---

(١٢) اللسان (عسب) .

[٢٠]

(طويل / متواتر)

١ - أجـــارتَنـا إنَّ الخُطُوبَ تَـنُوبُ على الـنَّاسِ كُلَّ المُخْطـئينَ تُصـــيبُ
٢ - فإنْ تَسْـألينى هل صَبَـرْتَ فإنَّنى صَـبُـــورٌ على رَيْبِ الزَّمـــانِ صَلِيبُ
٣ - كـأنِّى وقد أدْنَوْا إلـىَّ شِفـارَهم من البُـزْلِ أحْوَى الصَفْـحتَـيْنِ نكيبُ
٤ - أجـارَتَـنا لَسْتُ الغَــداةَ بظاعِنٍ ولكنْ مُـقِـيـمٌ مـا أقـامَ عَـسِـيبُ .

قال ابن حبـيب : « فلما طال عليه البلاء والمرض وقد نتـأت قطعة من جنبه مثل اللِّبـد فى موضع الطعنة ، قالوا : لو قطعتـها رجونا أن تبرأ منهـا . فقال : شأنكـم . وأشفق عليـه بعضهم فـنهاه ، فقـال : الموت أهون علىَّ مما أنا فـيه . فأَحْمَوْا له شَفْرَةً فقطعوها ، فيئس من نفسه » (١٣) .

وسمع أخته تسأل - وهى تظن على ما يبدو أنه لايسمع ما تقول -: « كيف كان صبره» ؟ فقال - وقـد أخذه شىء من عزة النفس - : « أجارتنا . .» إلى آخر الأبيات .

الجارة ههنا أخته - ولا أدرى لم عدل بالخطاب عن الأخوة إلى الجوار إلا أن يكون قد وجد منهـا فى نفسه - وأضافها إلـى نفسه بضمير الجـمع - الذى يُشعر على نحو ما بـالاستعلاء على الرغم مما هو فيـه - لا المفرد كما هو مـعتاد ؛ «إن الخطوب تنـوب على الناس» - وفى رواية «إن المـنون قـريب مـن الناس» ، وفى أخرى «إن الخطوب تريب علينا» - فالخطوب أو المـنون - أو البلايا بلغتنا نحن - أقرب إلينا مما نظن ، يتناوبـها كل منا - رضى بذلك كما رضى أو قـهرته الأيام

---

[٢٠] الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٣٦٤ ، ٥٣٦٥ / التعازى والمراثى ص ١١٨ / مجمع الأمثال جـ٢ ص ٣٨ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٦ .

(١٣) نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ . وانظر : الأغـانى (ط . الشـعب) جـ١٥ ص ٥٣٦٤ ومجمع الأمثال جـ٢ ص ٣٨ .

عليه - فلا مهرب منها ولا مفر ، فـإن كانت قد أصابته - وأخطأت اليوم غيره - فسوف تعود قابلاً - قريباً أو قريباً جداً - لتصيب من قد أخطأته - كما أصابته - وإذن فهذا قدر الناس جميعاً - كل الناس - لا قدره هو وحده على نحو خاص ؛ إنه قدر الإنسان .

فإن تسألينى - وكان أجدر بك أن تتـوجهى بهذا السؤال إلىَّ ، لا إلى غيرى كمـا صنعت يائسـة على ما يبـدو منى - عن صبـرى فى تلك اللحظات ؛ «هل صبرت» - أو «كيف صبرى» كمـا جاء فى رواية أخرى - «فإننى» - وقد آثر كما ترى لغة التأكيد - «صبور» - بصيـغة المبالغة التى توحى بالكثرة أو شدة الصبر ، «صليب» - بصيـغة المبالغـة كذلك - «على ريب الزمان» ، وليس فـقط على ما أصاب . إنها قضيته مع الزمن إذن - وليـس مع تلك المصيبة العارضة ، وإن كان ما أصابه هـو جزء من ريب ذلك الزمان - وقد اعـتاد على مواجهتـه - والخنساء تعرف هذا عنه باعتـبارها أقرب المقربين إليه - فـلمَ السؤال عنه - أو بالأحرى لمَ الشك فى عزيمته - الآن ؟!

وينقلها - وينقلنا معها - إلى تلك اللحظة القاسية ؛ لحظة حز الطبيب - أو من كان يقوم بدوره مستخدماً آلاته البدائية فى مجتمع ما قبل الإسلام - لما نتأ من جسده - وكان مثل «اللبد» أو «اليد» أو «الكبد» على اختلاف قد يرجع بعضه إلى التصحـيف بين الروايات - موضع الجرح الذى لم يفصد واندمل على مـا نتن فيه من الدماء ، لقـد أدنى الطبيب منه شـفرته ، فلم يهلع ، ولـم يفزع وهو يراه - واعياً كل الوعى بما يـدور حوله وما سوف يصنعه الطبـيب به - يهم بقطع جزء من جسده - دونما تخدير كمـا نخدر نحن الآن - ولم يفقد تماسكه ولم تخر منه العزيمة ، كـان وكأنه - وانظر كيف لجـأ ههنا إلى التصوير واسـتخدم لغـة المجاز لترسيخ فكرته وإطلاق العنان أمـام الخيال فى لحظة تستحق بالفعل أن يـطلق معها الخيال أقصى الإطلاق - «من البُزْلِ أحْـوَى الصفحتينِ نكِيبُ» - وهى رواية المبرد

فى التعازى والمراثى - أو «من الصبر دامى الصفحتين ركوب» - وهى رواية الأغانى وابن حبيب فى أسماء المغتالين - قال أبو عبيدة - ونقله المبرد عنه - «يعنى كأنى بعير قرم من الإبل قد كُوِىَ لداء به . . . وجعله أحوى الصفحتين ، وهما الجنبان ، لتتابع الهناء عليه ضناً به ، و(النكيب) و(الأنكب) واحد ، وهو الحامل ، وذلك مما يوصف به الفحل ، أنه يحمل نشاطاً وتكبراً» (١٤) .

إنه - فى وقت كان يُظن الضعف به أو التردى فى هوة اليأس والانكسار - كهذا الفحل ، بل - إن شئت الدقة - هو هو ، لكن ما بال هذا الفحل يستسلم فجأة - فى البيت التالى مباشرة أو الأخير فيما وصلنا من هذا النص - للموت ؟ فسوف يقيم - وفى الإقامة معنى السكون ، بعد الحركة والنشاط اللذين امتلأ بهما البيت السابق - إقامة أبدية فى سفح عسيب ، ذلك الجبل المهيب ، المقيم - كما عرفوه - منذ الأزل ، وسوف يظل - على ما كانوا يعتقدون - إلى الأزل ، لا ظعن اليوم يا أختاه ولا رحيل بعده ، إنه الموت إذن - شاغله الأساس وهو يواجه مواجهة الأبطال - ولا شىء - كما ترى - غير الموت (١٥) .

لقد تعالى عما ألم به - من مرض عضال وقطع وبتر - لكنه لم يستطع فى نهاية المطاف غير التسليم - كغيره - أو إن شئت الدقة الاستسلام ، وهل يستطيع أحد - أنى كان - غير التسليم - إزاء الموت - أو الاستسلام ؟!

---

(١٤) التعازى والمراثى ص ١١٩ .

(١٥) قال الميدانى - بعد أن أورد الأبيات - : « ثم مات فدفن إلى جنب عسيب ، وهو جبل بقرب المدينة . وقبره معلم هناك » . وقال أبو عبيدة - فيما نقله عنه أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى جـ١٥ ص ٥٣٦٥ - « فمات فدفن هناك ، فقبره قريب من عسيب» .

طرفة بن العبد (*)

(*) **ترجمته وأخباره** : أدباء العرب جـ١ ص ١١٤ / أدب المجالسة ص ٨٠ / الأزمنة وتلبية الجاهلية ص ٨٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ / الاشتقاق ص ١٠ ، ٥٧ ، ١٤١ ، ١٧٢ ، ٣٥٧ ، ٤٢٨ / الأصمعيات ٤٩ / الأعلام م٣ ص ٢٢٥ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٩ ص ٩٧٩٠ : ٩٧٩٤ / الأمالى لأبى على القالى جـ١ ص ١٣٦ ، جـ٢ ص ٥٩ ، ٢٠٠ ، ٢٧٣ ، جـ٣ ص ٣١ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ ص ٧٧٦ ، جـ٢ ص ١٨٧ ، ٢٢٢ / تاريخ آداب العرب (الرافعى) جـ٢ ص ٢٠٣ / تاريخ الآداب العربية (نالينو) ص ٢٨ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ١٨٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١٠٩ / تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) جـ١ ص ٩٢ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٣٢٧ / تاريخ الأدب العربى(فروخ) جـ١ ص ١٣٥ / تاريخ الطبرى جـ٥ ص ٢١٧ ، جـ٦ ص ١٨٤ ، ٤٧٩ / تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ / التذكرة الفخرية ص ٢٦٠ / تعليق من أمالى ابن دريد ص ٢١٧ / الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ١٤٨ / جمهرة أشعار العرب ص ٨٩ / جوهر الكنز ص ٤٤٢ / حديث الأربعاء جـ١ ص ٥٥ / حماسة ابن الشجرى ص ٦١١ ، ٨٠٦ ، ٨٣٩ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٤٣ ، ٨٣ ، جـ٢ ص ٤٦ ، ٥٧ ، ١٦١ / حماسة الخالديين جـ١ ص ١٩ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، جـ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٩٥، ٣١٠ / خزانة الأدب جـ١ ص ٤١٤ / ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٤٥٧ / ديوان الشعر العربى جـ٢ ص ٦٤ / ديوان المعانى جـ٢ ص ٧ / رسالة الغفران ص ٣٢٦ ، ٣٣٠، ٥١٤ / سمط اللآلى م١ ص ٣١٩ / شرح اختيارت المفضل ص ١٦٧ ، ٤٣٦ ، ٥٤٩ ، ٥٥٥ ، ١٠٧٧ / شرح الحماسة للمرزوقى ص ٦٤ ، ٦٥، ١٠٨ ، ١١٦ ، ٢٠٥ ، ٥٢٩ ، ٧٠٦ ، ٨٨٢ ، ٩٩١ ، ١١٤١ ، ١٢٥٧ ، ١٢٦٤ ، ١٤٤١ / شرح القصائدَ التسع ص ٢٠٥ / شرح المعلقات العشر ص ٩٥ / الشاعر ابن العشرين طرفة لمحمد على الهاشمى - مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود - م ٩ (١٩٧٩م) ص ٤٦٣ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٢٩٨ / الشعر والشعراء م١ ص ١٨٥ / كتاب الصناعتين ص ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ، ١٦١ ، ٢٠٠ ، ٢٤٩ ، ٣٥٩ ، ٣٩٢ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩، ٤٦٠ ، ٥٠٥ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ١٣٧ / طرفة بن العبد الشاعر القتيل - درية الخطيب ولطفى الصقال - مجلة التراث - دمشق - ع٨ (١٩٨٢م) ص ١٤٧ / العقد الفريد جـ١ ص ٦٩ ، جـ٣ ص ٥٥ ، ٧٢ ، ٢٧٣ ، جـ٤ ص ٦٤ ، جـ٦ ص ٦٦ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٨، جـ٧ ص ٢١٢، ٢١٩ ، جـ٨ ص ٤ ، ٦٧ / العمدة جـ١ ص ١٩٤ / عيار الشعر ص ٥١ ، ١١٨ / عيون الأخبار جـ١ ص ٢٥٩ / الفاخر ص ٧٤، =

[٢١]

(طويل / متدارك)

لَعَمْرُكَ ما تَدْرِى الطَّوارِقُ بالحَصَى　　　ولا زاجِراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ فاعِلُ.

كان طرفة - كما يقول أحد الدارسين - : « من جملة الشعراء الذين شُغلوا بقضية الموت ؛ فعلى الرغم من اندفاعه المعروف فى الأخذ بمتع الحياة إلا أن هاجس الموت ظل يلازمه ، وكأنه كان يشعر أن الموت يتربص به فى كل ثنية ، وتحت كل تل من تلال الصحراء» (١) .

وارجع إن شئت إلى معلقته - درة شعره - لتقرأ فيها - وأقرأ معك - ما يؤكد هذا الزعم :

- «ألا أيُّهَذا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الوَغَى　　　وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هلْ أنْتَ مُخْلِدِى
فإنْ كنتَ لا تَسْطِيعَ دَفْعَ مَنِيَّتِى　　　فَذَرْنِى أُبادِرْها بما مَلَكَتْ يَدِى».
- «فَذَرْنِى أُرَوِّى هامَتِى فى حَيَاتِها　　　مَخافَةَ شُرْبٍ فى المماتِ مُصَرَّدِ

* ٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٩٤ ، ٣١٤ ، ٣١٦ / فى الشعر الجاهلى (طه حسين) ص ١٧٣ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ٣٨ ، ٥٩، ٦٧ ، ٨٦ ، ٢١١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٧ ، ٤٠٢ ، جـ٢ ص ٥٨، ١٦٤ ، ٣٥٩ / المثل السائر جـ١ ص ٢٦٦ ، جـ٢ ص ٣٥٠ / مختارات شعراء العرب ص ١٢٨ : ١٣٠ ، ١٤٠ : ١٧٧ / المصون فى سر الهوى المكنون ص ١١١ / معاهد التنصيص جـ١ ص ٣٦٤ / معجم الشعراء للمرزبانى ص ١١ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١٣٤ رقم ٨٣٥ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٢١٠ رقم ٦٩٤ / المنازل والديار ص ١١٧ ، ١٤٦ ، ٢٥٥ / من اسمه عمرو ص ٣٧ / الموازنة جـ١ ص ١٥١ ، ٢٨٩ / المؤتلف والمختلف ص ١٨٩ رقم ٤٦٨ / الموشح ص ٦٤ / الموشى ص ٤١ / موسوعة الشعر العربى جـ٢ ص ٣٨٣ / كتاب النخل ص ٧٢ ، ٩٨ / نشوة الطرب ص ٢٧٩ ، ٦١٦ : ٦٢٥ ، ٦٤١ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٧٨٧ / نقد الشعر ص ٣٧ ، ٤٢ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٠ : ٢٣٢ ، ٣١١ .

[٢١] ديوانه ت . د . على الجندى ص ٢٢٨ رقم ٥١ / ديوانه ت . درية الخطيب ولطفى الصقال ص ١٧٨ رقم ٧٢ / جمهرة أشعار العرب ص ٩٣ .

(١) رثاء النفس فى الشعر العربى ص ٦٦ .

كَــريمٌ يُرَوِّى نَفْـسَــهُ فى حَـيــاته ... سَـتَعْلَمُ إنْ مـتْنا صَدًى أيُّنا الصَّـدى» .
- «أرَى المَوْتَ يَعْـتـامُ الكِرامَ ويَصْطَفِى ... عَـقـيلَةَ مـال الفــاحِشِ المُتَـشَـدِّدِ
لَعَـمْــرُكَ إنَّ المَوْتَ مـا أخْطَأ الـفَـتَى ... لكـالطِّوَلِ المُرْخَـى وثِنْيـاهُ بـاليَــدِ
مَـتَى مـا يَشَـأْ يَـوْمـاً يَقُـدْهُ لِحَـتْـفِـه ... ومَنْ يَكُ فـى حَـبْـلِ المنِيَّـةِ يَنْقَـدِ» .
- «فــإن مِتُّ فـانْعِـيـنى بمـا أنا أهْلُهُ ... وشُـقِّى عَلَىَّ الجَـيْبَ يا ابْنَةَ مَـعْـبَـدِ» .
- «أرَى المَوْتَ أعْدادَ الـنُّفُوسِ ولا أرَى ... بَعِيـداً غَداً مـا أقْرَبَ اليَـوْمَ من غَدِ» .

ولم يكن بعد غريباً أن يأتيه الموت - وكان شـديد الإحساس به ، يتوقعه فى كل لحظة من اللحظات ، حتى وهو فى ذروة اللهـو - سريعاً ؛ فيـخطفه - شأن كثير من العباقرة والعظماء - وهو فى مقتبل العمر ، فيموت ولم يتعد العشرين - على ما ذهب إليـه كثيـر ممن ترجموا له - أو فى الســادسة والعشـرين - على ما ذهب إليه آخـرون مسـتندين إلى بيت قالتـه أخته فـيه [٢] - ويطلق عليه من ثم «الشاب القتيل» .

ويرتـبط مقتله - على نحو ما - بعـمرو بن هند - ملك الحيرة فى عصره - فقـد اتصل به فى فترة باكـرة من فترات العمـر ، ومدحه - كـما مدحه غـيره - وأصبح - إن جاز التعبير - أحد شعراء البلاط ، وينقلب الملك - مع اختلاف فى أسباب هذا الانقلاب [٣] - عليه ، فيكتب إلى عامله بالبـحرين - موطنه - بقتله وقتل المتلمس - خاله - معه ، ويختم الصحيفتين فلا يعرفان ما بهما ، ويوهمهما

---

(٢) شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٠٨ . والبيت هو :
«عَدَدْنـا لـه سِتّـاً وعشْرِينَ حِجَّـةً ... فلما تَوَفَّاها استَوَى سيِّداً ضَخْمَا» .
وقد قالته الخرنق - أخته - فى رثائها له ؛ وبعده :
«فُـجِعْنـا بِهِ لـمـا رَجَوْنـا إيابَــهُ ... على خَيْرِ حالٍ لا وَليداً ولا قَحْمَا» .
(٣) راجع : الشـعـر والشـعـراء م١ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ونوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ وشعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٠٥ : ٣٠٧ .

أنه مـا أمر لهـما - وكـانا لايقرآن - إلا بـجائزة ، ويخـرج الرجلان إلى حـيث وجههـما ، وفى الطريق - ولم يكونا قد تجـاوزا أرض العراق - يشك المتلمس - وهو الأكثر خبرة ودراية بحكم السن - فى الأمر ، ويحدث طرفة بهواجسه ، لكن طرفة - وهو الأحـدث سناً والمعروف كـعادته بالاندفاع - يرفض أن يـنساق خلف مخاوف خاله - طمعاً على ما يبدو فى الجائزة ، وثقة لم تكن كما سوف ترى فى محلهـا - ويدفع المتلمس بالصحـيفة إلى أحـد الغلمان - ممن يجيـدون القراءة - ويتحول الظن إلى يقين وتتأكد مخاوفـه ، فيلقى بها فى الماء ، ويقترح على طرفة أن يفك - كما فك - صحيفته ، ويقول له : «اعلم أن فى كتابك ما فى كتابى» . يعنى الشر ، فيقـول طرفة - وقد غشّى الطمع على عينيه فلم يـر ما كان ينبغى له أن يراه - : « لم يكن ليفـعل ولا يجترئ على قـومى» . وكأنه - بلغة العـصر - لايصدق أن ملكاً كابن هند يمـكن أن يخون ، وأن مكانته فى قومه ومكانة قـبيلته بكر تحول بين الملك وبين التفكير - مجرد التـفكير - فى قتله ، خاصة أنه لايوجد بينهما - فيما يَظُنُّ - ما يبرر هذا القتل .

ويحول المتلمس وجـهته - فيـمضى نحو الشام - ويمضى طرفـة إلى قدره . وتختلف بعد الأخبـار فى تفاصيل القتل ؛ فنقرأ مثلاً فى أسـماء المغتالين : « . . ومضى طرفة بكتابه إلى عامل البحرين ، وهو عبد هند بن جرد بن جرىّ بن جروة ابن عُمير التغلبى ، فلما قرأ الكتاب قال : أترى ما فى كتابك ؟ قال : لا . قال: فإن فيه قتلك ، وأنت رجل شريف ، وبينى وبين أهلك إخاء قديم ، فانجُ قبل أن يُعلم بمكانك ، فإنى إن قرأت كتابك لم أجد بُدّاً من قـتلك . فخرج ولقيه شباب من عبد القـيس ، فجعلوا يسقونه ويقـول الشعر ، فلما علم بمكانه قدمـه فضرب عنقه»[4] .

---

(٤) نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٣٢ . ويؤكده - فيما ذكر ابن حبيب - قول المتلمس :
«وطُرَيْفَةُ بنُ العَبْدِ كانَ هَدِيَّهم   ضَرَبُوا صَمِيمَ قَذالِـهِ بمُهَنَّـدِ» .

ونقرأ فى الشعر والشعراء : « . . وأما طرفة فمضى بالكتاب ، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله ، ثم فَصَدَ أكْحَلَهُ ، فقبره بالبحرين»[٥] . وقال كذلك : « . . وكتب إلى عامله بالبحرين فقتله . . . ويقال إن الذى قتله المعلى بن حَنَش العبدى ، والذى تولى قتله بيده معاوية بن مُرَّة الأيْفُلِىّ ؛ حى من طَسْم وجَدِيس»[٦] .

وفى شعراء النصرانية : « . . ثم أتى طرفة إلى المكعبر ، فقطع يديه ورجليه ، ودفنه حياً»[٧] . والمكعبر هذا - فيما ذكر - عامل عمرو بن هند على البحرين وعمان . وفيه كذلك - مما قد يلقى الضوء على هذا الاختلاف - : «قيل إنه بعد نجاة المتلمس وصل إلى البحرين ، فلما قرأ العامل صحيفته وسأله عن المتلمس فأخبره بفراره عفا عنه ؛ لصدقه ورعايته لطابع الملك ، حيث لم يفكه . وقيل إنه سجنه وبعثه إلى عمرو بن هند وقال له : ما كنت لأقتل طرفة وأعادى قبيلته فإذا أردت قتله فابعث إليه من يقتله . ففعل ، وخُيِّرَ فى قتله ، فاختار أن يسقى الخمر ويفصد أكحلاه ، ففعل به ذلك حتى مات نزفاً ودفن بهجر . . . وقيل فى قتله غير ذلك ؛ قيل إن عامل البحرين أمر بدفنه حياً»[٨] .

ولاشك أن الوضع - وتأثير الخيال الشعبى على الرواة وجامعى الأخبار - كان وراء هذا الاختلاف ، بل وجدت من المستشرقين - كبروكلمان وبلاشير -

---

(٥) الشعر والشعراء م١ ص ١٨٩ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٨٦ .

(٧) شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٣٠٧ .

(٨) المرجع نفسه ص ٣٠٨ . ويؤكد موته نزفاً - فيما أشار إليه - قول البحترى :

«وكذاكَ طَرَفَةُ حينَ أوْجَسَ ضَرْبَةً ... فى الرَّأْسِ هانَ عليه فَصْدُ الأكْحَلِ» .

من يرفض قصة الصحيفة جملة [٩] ، لكن الذى لاشك فيه أن طرفة مات مقتولاً، وأن مقتله يتصل على نحو ما - كما أشرت بداية - بعمرو بن هند .

وفى جمهرة أشعار العرب [١٠] - مما يربط هذا النص على قصره بلحظات الرحيل - أن طرفة قاله - مع بيتين آخرين يختلفان عنه فى حركة الروى - قبل صلبه - ولم يشر إلى مسألة الصلب هذه فيما اطلعت عليه غير أبى زيد القرشى - ولست على يقين من أنه صلب قبل موته ، لكننى مطمئن - برغم هذا - إلى ما نسبه القرشى - ونقله عنه الدكتور على الجندى فى تحقيقه للديوان ، وكذا درية الخطيب ولطفى الصقال - إليه .

«لعَمْرُكَ» والعمر - كما قلت مراراً - مما يحلو للشعراء - فى لحظات الرحيل - القسم عليه ، وهل هناك فى مثل تلك اللحظة بالذات ما هو أغلى للقسم عليه من العمر ؟! «ماتدرى» - وهو ما يتجاوز على حد علمى المعرفة السطحية ويرتقى فى درجات العلم حتى يبلغ مرتبة اليقين - «الطوارق بالحصى» وهن الكواهن - المفرد منها طارقة ، والحصى ما يستخدمنه فى التكهن بالغيب - «ولا زاجرات الطير» وهى صورة أخرى لمعرفة الغيب ، لا عن طريق الضرب بالحصى وإنما عن طريق حركة الطير ؛ يطلقون الطير فإن تحرك نحو اليمين - يمين المُطَيِّر - استبشروا به وظنوا خيراً ، وإن تحرك جهة اليسار تشاءموا واعتقدوا الشر - ويصنعون ذلك أيضاً مع الحيوان كالظباء - وهو ما يعرف بـ«السانح» و«البارح» ، وقد حرمه - فيما بعد - الإسلام .

فلا هؤلاء ولا أولئك - لا الطوارق بالحصى ولا من يزجرون الطير - يعلمون الغيب ، ولا يعرفون ماذا يفعل الله - وقد نسب الفعل إليه - بهم ، ولايدرون ما

---

(٩) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان - ت . د . عبد الحليم النجار - جـ١ ص ٩٤ . تاريخ الأدب العربى لبلاشير - ت . د . إبراهيم الكيلانى - ص ٣٢٧ .

(١٠) ص ٩٣ .

خبئ لهم فى غد – وهو أبلغ دليل يمكن الرد به استطراداً على ما زعمه بلاشير حين قال : « والجدير بالذكر أننا لم نعثر على أى أثر للتوحيد فى شعره»[11] . لكنه لايدفع إلى الاعتقاد بنصرانيته كما ذهب الأب لويس شيخو إليه ؛ حيث أدرجه كما أدرج كثيرين غيره ضمن شعراء النصرانية – فهل كان طرفة يدافع – بهذا البيت اليتيم – عن نفسه ؟ وهل كان يتوقع أن أحداً سوف يتوجه بالاتهام فيما بعد – وقد توجهوا بالفعل – إليه – حاقدين ومشفقين – بل سوف يُعَنّى نفسه بهذا الأمر – فى عصرنا – غير واحد من الدارسين ؛ فيرمونه – كما رماه القدماء – بالتهور والنزق أو الحمق ؟!

[٢٢]

(طويل / متدارك)

١ – فَمَنْ مُبلغٌ أَحْياءَ بكْرِ بنِ وائلٍ بأنَّ ابنَ عَبْدٍ راكبٌ غَيْرَ راجلِ
٢ – على ناقَةٍ لم يَرْكَبِ الفَحْلُ ظَهْرَها مُشَذَّبَةٌ أطْرافُها بالمَناجِلِ .

يحمل البيتان – وقد أوردهما القرشى فى جمهرته ونقلهما عنه الجندى والصقال – مفارقة واضحة ، ويجيئان – كما ترى – فى شكل رسالة – يبحث منذ البداية عمن يوصلها عنه إلى بطون قبيلته – مضمونها كلمة تحمل – على قصرها – كل المرارة والأسى ؛ أن «ابن عبد» – يعنى نفسه ، وانظر إلى ما فى تلك الإشارة من السخرية وجلد الذات – «راكب غير راجل» ، ماذا إذن ؟ وهل هناك من التكريم – وهو ما حاول أن يوهمنا بداية به – خير من ركوب الضيف وعدم تركه يسير – كمن لايُحتفى به – على رجليه ؟!

---

(١١) تاريخ الأدب العربى ص ٣٢٨ .

[٢٢] ديوانه ت . د . على الجندى ص ٢٢٧ رقم ٥٠ / ديوانه ت . درية الخطيب ولطفى الصقال ص ١٨٠ رقم ٨١ / جمهرة أشعار العرب ص ٩٣ .

البيت الأول يحمل فى ظاهره التكريم ؛ فطرفة - وإن أشار إلى نفسه بما يتجاوز نطق الاسم المعروف به ويكتفى بنسبته إلى أبيه ، وقد حذف من اسم الأب «ال» التعريف المقترنة فى الأصل به - محمول - لدى أمير البحرين - على ناقة ، فلا يُنتظر - وهو ما كنا نتوقع - إلا أن يحدثنا عما أعقب هذا الاستقبال من الحفاوة والترحيب ، ثم يسير بنا - كما كان يتوقع - نحو الجائزة ، لكننا نُفاجأ - على نحو يشبه فى سرعة إيقاعه الطفر - فى البيت التالى مباشرة أن الناقة التى يشير إليها لم يركب ظهرها فحل من قبل ، وأنها «مشذبة» ؛ شذبت أطرافها بأسنة المعاول - أو المناجل كما يقول - هى إذن ناقة غير عادية ، فماذا تُرى تكون ؟! إنها الخشبة التى سوف يصلب - إن صحت مسألة الصلب هذه - فوقها ، هى الصليب الذى صنعوه من أجله ، ولاشىء غير الصليب ، فإذا التكريم - الذى كنا نظن - مجرد وهم ، وإذا الحقيقة عارية ، وإذا المرارة والأسى - آخر ما تفرغهما تلك المفارقة فى نفوس المتلقين - يمتزجان - على نحو غريب - مع السخرية ؛ سخرية الشاعر من نفسه ، ومما سيق - بمحض إرادته - إليه [12] .

---

(١٢) زيد بعد البيتين - فى طبعة درية الخطيب ولطفى الصقال - بيتاً ثالثاً - نقله المحققان عن «محاضرات الأدباء» - هو :

«مَنْ مُبْلِغُ الحَسْناءَ أنَّ حَلِيلَها   بأَرْضِ الأعادِى فوقَ إحْدَى الرَّواحِلِ».

وقد استبعدته لكونه ملفقاً ؛ فقد أضيف إلى البيتين لتشابه الوزن والقافية ، ولعله - وهو ما أميل إليه - تحريف - او رواية أخرى - للبيت الأول من البيتين المذكورين ، فإن صح هذا الاحتمال - ولايوجد فى الحق ما يمنع منه - تكون إضافته - فى رأيى - من قبيل المجازفة ، وضمه إلى البيتين - كما صنع المحققان الجليلان - على سبيل الظن - مجرد الظن - لا اليقين .

عبديغوث بن وقاص الحارثى (*)

[٢٣]

(طويل / متدارك)

١ - أَلا لا تَلُومانِى كَفَى اللَّوْمَ ما بِيا … فـمـا لَكُما فى الـلَّوْمِ خَيْـرٌ ولا لِيـا
٢ - أَلَمْ تَعْلَمـا أَنَّ المَلامَـةَ نَفْـعُـهـا … قَلِيلٌ ومـا لَوْمِى أَخِى من شِـمـالِيـا
٣ - فـيا راكِـباً إِمَّـا عَرَضْتَ فـبَلِّغَنْ … نَدامـاىَ من نَجْـرانَ أَنْ لا تَلاقِـيـا
٤ - أَبا كَـرِبٍ والأَيْهَمَـيْنِ كِلَيْـهِمـا … وقَـيْسـاً بأَعْلَى حَضْـرَمَوْتَ اليَـمانِيـا
٥ - جَزَى اللهُ قَوْمِى بالكُلابِ مَلامَةً … صَـرِيحَـهُـمُ والآخَـرِينَ المَوالِيـا

(*) **ترجمته وأخباره** : الاشتقاق ص ١٨٥ ، ٤٠١ / الأعلام م٤ ص ١٨٧ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٧ ص ٦١٥٨ / الاقتضاب ص ٣٢٢ ، ٤٠٠ / الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ١٤٥ ، ١٤٧ : ١٥٠ / البيان والتبيين جـ٢ ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، جـ٣ ص ٢٦٩ ، جـ٤ ص ٤٥ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١١٩ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٣١٣ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ٢٠٥ / الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٢٢٢ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٩٣ / خزانة الأدب، جـ١ ص ٣٢٩ / ديوان الشعر العربى جـ١ ص ٨٠ ، ٥٧٠ / شرح اختيارات المفضل ص ٧٦٦ ، ٧٦٧ / شرح الحماسة للمرزوقى ص ٨٢٣، ٨٣٧ / شرح شواهد المغنى ص ٢٣١ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٧٥ / العقد الفريد جـ٣ ص ٣١٠ ، جـ٦ ص ٦٩ : ٧٥ / العمدة جـ١ ص ١٩٣ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٩٥ / المحبر ص ١٥٢ / مختار الأغانى جـ٥ ص ٢٤٩ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١٥٥ رقم ٩٨٧ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٣٧٣ رقم ١٣٦٥ / المفضليات ص ١٥٥ / موسوعة الشعر العربى جـ٣ ص ٢٧٧ / نشوة الطرب ص ٢٣٨ / النقائض ص ١٤٩ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٦٤ .

[٢٣] المفضليات ص ١٥٥ رقم ٣٠ وقد اعتمدت روايته / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٧ ص ٦١٥٦ / الاقتضاب ص ٣٢٢ ، ٤٠٠ / الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ١٤٧ ، ١٤٨ / أيام العرب لأبى عبيدة ص ٨٥ ، ٨٦ / البيان والتبيين جـ٢ ص ٢٦٧ ، جـ٤ ص ٤٥ / خزانة الأدب جـ١ ص ٣٢٩ / العقد الفريد جـ٦ ص ٧٣ / العمدة جـ١ ص ١٩٣ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٩٥ / مختار الأغانى جـ٥ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ / منتهى الطلب جـ١ ص ٢٠١ / النقائض ص ١٥٣ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٦٤ وحديثاً فى : تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ / الجمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٢٢٣ : ٢٢٦ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٧٧ .

٦ - ولو شئتُ نجّتنى من الخيلِ نهدةٌ ... ترى خلفها الحُوَّ الجيادَ تواليا
٧ - ولكنّنى أحمى ذمارَ أبيكُمُ ... وكانَ الرّماحُ يختطفنَ المُحاميا
٨ - أقُولُ وقد شدُّوا لسانى بنسعةٍ ... أمعشرَ تَيْمٍ أطلِقُوا عن لسانيا
٩ - أمعشرَ تَيْمٍ قد ملكتُمْ فأسْجحُوا ... فإنَّ أخاكم لم يكُنْ من بوائيا
١٠ - فإنْ تقتُلُونى تقتُلُوا بى سيّداً ... وإنْ تُطلِقُونى تحربُونى بماليا
١١ - أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ سامعاً ... نشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المتاليا
١٢ - وتَضْحَكُ منّى شيخةٌ عبشميّةٌ ... كأنْ لم ترَى قبلى أسيراً يمانيا
١٣ - وظلَّ نساءُ الحىِّ حولىَ رُكّداً ... يُراوِدْنَ منّى ما تُرِيدُ نسائيا
١٤ - وقد علمَتْ عِرْسى مُلَيْكَةُ أنّنى ... أنا اللّيْثُ مَعْدُوّاً علىَّ وعاديا
١٥ - وقد كنتُ نحّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الـ ... ـمطِىِّ وأمضِى حيثُ لا حَىَّ ماضِيا
١٦ - وأنْحَرُ للشَّرْبِ الكرامِ مطِيَّتى ... وأصْدَعُ بينَ القَيْنَتَيْنِ رِدائيا
١٧ - وكنتُ إذا ما الخَيْلُ شمَّصَها القَنا ... لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَناهِ بَنانِيا
١٨ - وعادِيَةٍ سَوْمَ الجَرادِ وزَعْتُها ... بكفّى وقد أنحَوْا إلىَّ العَوالِيا
١٩ - كأنّىَ لم أرْكَبْ جَواداً ولم أقُلْ ... لخَيْلِىَ كُرِّى نَفِّسى عن رِجاليا
٢٠ - ولم أسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقُلْ ... لأيسارِ صِدْقٍ أعظِمُوا ضَوْءَ نارِيا .

يقول الجاحظ : « ليس فى الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ؛ وذلك أنّا إذا قِسْنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية» (١) . وقد مر بنا طرفة -- وما قاله - وهو بين يدى الموت ، فماذا عن عبد يغوث ؟

أوقع كسرى ببنى تميم - فى يوم الصفقة (٢) - وصار التميميون - على كثرة

(١) الحيوان جـ٧ ص ١٥٧ .

(٢) انظر خبر هذا اليوم ويوم الكلاب الثانى فى : أيام العرب لأبى عبيدة ص ٦٦ : ٩٤ والعقد الفريد جـ٦ ص ٦٨ : ٧٥ والعمدة جـ٢ ص ٢٠٦ والكامل فى التاريخ م١ ص ٤٩٢ : ٤٩٦ .

بطونهم - مطمعاً للقبائل الأخرى ؛ وممن طمع فيهم بنو الحرث بن كعب - قبيلة عبد يغوث - من قبائل الجنوب ؛ فخرجوا إليهم فى جيش كثيف «لايعلم فى الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذى قار ومن يوم جبلة» - كما يقول ابن الأثير (٣) - وعلى رأس هذا الجيش أربعة أملاك يقال لكل منهم يزيد - يزيد ابن هوبر ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المأمور ، ويزيد بن المخرم - فهم اليزيديون ، ومعهم عبد يغوث ألحارثى ، وكان كل واحد من هؤلاء على ألفين والجماعة ثمانية آلاف .

وعلى الرغم من كثرة هذا الجيش - وقوة عتاده واستعداده وحسن تقسيمه - وعلى الرغم كذلك مما كان عليه خصومهم - بعدما أوقع كسرى بهم وقتَّل فيهم وسبى الذرارى وأخذ الأموال - فقد حلت بهم الهزيمة ، ووقع عبد يغوث فى الأسر ؛ أسره رجل يقال له عِصْمة بن أُبَيْر(٤) ، ووضعه عند الأهتم بن قيس ، فاجتمعت الرباب - بعد أن وضعت الحرب أوزارها - إلى الأهتم وطلبوا منه تسليمه لهم ليقتلوه - وهو من هو مكانة فى قومه - بالنعمان بن الحسحاس - قائدهم ورئيسهم ، وهو أول من قتل على يد الحارثيين فى هذا اليوم - فأبى الأهتم تسليمه إلا لمن دفعه إليه ، وكادت الفتنة تحدث بين بطون بنى تميم حتى استرضوا عصمة واشتروه منه بمائة بعير - وقيل بل استرضوه بثلاثين من حواشى النعم - فسلمه - بعدما استرده من الأهتم - لهم ، فلما أخذوه شدوا على لسانه نِسْعة - خشية أن يهجوهم ويطير الهجاء فى الآفاق - «فلما لم يجد من القتل بُدّاً

---

(٣) الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٩٣ .

(٤) اقتص أثره - وكان على وشك الهروب بعدما حلت بهم الهزيمة - « فلما لحقه قال له : ويحك ! إنى رجل أحب اللين ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال عبد يغوث : ومن أنت ؟ قال : عصمة بن أبير . قال عبد يغوث : أوعندك منعة ؟ قال : نعم . فألقى يده فى يده ، فانطلق به عصمة حتى خبأه عند الأهتم » . العقد الفريد جـ٦ ص ٧٢ .

طلب إليهم أن يطلقوا عن لسانه ليذم أصحابه وينوح على نفسه ، وأن يقتلوه قتلة كريمة ، فأجـابوه ، وسقوه الخمـر ، وقطعوا له عرقاً يقـال له الأكحل ، وتركوه ينزف حتى مات ، فقال هذه القصيدة حين جُهِّزَ للموت»(٥) .

يفتتح الشاعـر مرثيته لنفسه - وهى من أطول ما قـيل آنئذ قبيل الموت (٦) - بأداة معـتادة فى الرثاء هى «ألا» ، وكأن الأمـر - أو فى الأقل بالنسبـة له - جد خطير يحتاج - قبل أن يخوض فيه - إلى التنبيه ، وخطاب - درجت الأذن على سماعـه - لشخصين - قد يكونان حقـيقيين (٧) ، وقد لايكون لهما وجود على الإطلاق إلا فى مخيلة الشاعر - يلومانه ، ويطلب منهما أن يكفا عن هذا اللوم؛ إن ما به - وقـد صار إلى مـا صار إليـه - يكفى - ولديه حقـاً ما يكفـيه - عن

---

(٥) المفضليات ص ١٥٥ . وفى العقد الفريد - جـ٥ ص ٧٢ ، ٧٣ - : « فشدوا على لسانه نسعة، فقـال : إنكم قاتلىّ ولابد ، فـدعونى أذم أصحـابى وأنوح على نفسى . فـقالوا : إنك شـاعر ونخاف أن تهجونا . فعقد لهم أن لايفعل ، فأطلقوا لسانه وأمهلوه حتى قال قصيدته» ثم قتلوه. وفى الطرائف الأدبية - جـ٢ ص ٢٦٤ - : « فلما كان يوم الـكُلاب الثانى قتلت بنو الحارث بن كعب النعمـانَ بن جساس صاحب راية تيم الرِّباب ، وأسرت بنو سعـد بن زيد مناة بن تميم عبدَ يغوث ، فـأتت بنى سعـد فقالوا لهم : إنه لم يُـقتل لكم فارس ، وقـد قُتل فارسنـا ورئيسنا ، فادفعوا إلينا عبد يغوث لنقتله بصاحبنا . فدفعوه إليهم ، فقال لهم : يامعشر تيم ، اللَّبَن اللَّبَن. فقالوا : الدم أحب إلينا . وأوثقوا لسـانه بنسعة مخافة أن يهجوهم ، فـقال فى شعر له طويل : . . . فقدموه فضربت عنقه» .

(٦) قال الأصمعى بعد البيت الثانى عـشر - أعنى قول عبد يغوث : وتضحك منى . . . - : « إلى هنا سمعتُ من هذه القصيدة ولم أسمع بقيتـها» . وهو - إضافة إلى طبيعة اللحظة التى تقتضى عدم الإطالة - مما قد يثير الشك فى طولها ، ويدفع إلى الحيطة فى التعامل مع الجزء الأخير منها - المتعلق بالفخر - على نحو خاص .

(٧) فى الأغانى (ط . الشـعب) جـ١٧ ص ٦١٦٦ : « . . . ومضى عنه عصمة ، وتـرك معه ابنين له، فقالا لعبد يغوث: جمـعت أهل اليمن وجئت لتصطلمنا ، فكيف رأيت الله صنع بك؟ فقال عبد يغوث فى ذلك : ألا لاتلومانى . . .» .

توجيه اللوم إليه ، أو الإشارة - وهو ما أفهم ضمناً - نحوه - كما قد يشار - بأصابع الاتهام ، وماذا يجدى اللوم لمن عُدَّتْ عليه الأنفاس ولم يبق له غير لحظة أو لحظات ثم يجيء الموت ؟ لاخير فى اللوم إذن - وهو ما يقرره فى الشطر الثانى من المطلع - له - هو المحكوم عليه بالموت - ولهم - ولا مجال لتغيير ما حل بهم - على السواء . وإن سلمنا جدلاً بوجود نفع للملامة فنفعها - كما يقول فى البيت الثانى - قليل ، ولوم الأخ - أو من تربطه به علاقة كالإخاء ؛ وللأخوة مدلولها فى هذا السياق - ليس من طبائعه - وهو مجال فخر له - ولا مما يعرف عنه من الشمائل والأخلاق .

شيء ما يجعلنى أشعر أن عبد يغوث كان يحس بالحاجة إلى الدفاع عن نفسه - ربما إزاء تهمة غير محددة المعالم - فى مفتتح الأبيات ، وإلا فما هذا اللوم - وقد تكررت الكلمة بمشتقاتها عدة مرات - وما هذه الاستماتة فى دفعه - بطرق شتى - وما هذا الفخر - وهو يجيء رد فعل طبيعى فى مثل تلك الأحوال - وما هذا الاستعلاء الذى تتبدى بعض جوانبه فى الاستفهام «ألم تعلما» الذى يحمل - فيما يحمل - معنى التوبيخ والتقريع ؟!

ينتقل الشاعر بعد ذلك - وبشكل تلقائى - إلى تذكر أهله - هؤلاء الذين قد يعنيهم أمره فيهتمون له ويشاركونه الإحساس فيما قد ألم به حين لايعنى أحداً ممن حوله ولايهتم إلا بقتله والقصاص منه - فيطلب - على طريقتهم - من شخص مجهول - نكرة غير مقصودة [8] - أن يحمل عنه - إن توجه نحو الجنوب - إلى الندامى - وتأمل هذا الاختيار - ما يقطع الأمل فى عودته - إن كان ثمة أمل قد بقى لديهم بعد وقوعه فى الأسر - فلا لقاء بعد اليوم ، ويخص منهم بالذكر أبا

---

(٨) قوله : «فيا راكباً . . .» . وفى المفضليات - ص ١٥٦ هـ٣ - قال الشارحان : «فيا راكباً : بالتنوين على النداء ، وكان الأصمعى ينشده بلا تنوين ، قال أبو عبيدة : أراد "فياراكباه" للندبة فحذف الهاء» .

كرب ؛ بشـر بن علقمة بن الحرث ، والأيـهمين ؛ الأسود بن علقمـة بن الحرث وعبد المسيح بن الأبيض وكان يلقب بالعاقب ، وقـيساً ويعنى به - كما يقول ابن الأثير - قـيس بن معديكرب الـذى قال - فيـما ذكره عنه كـذلك - حين سمع البيت : « لو جـعلنى أول القوم لافـتديته بـكل ما أملك»[9] . وكأن المسألة لا تتعدى لديه - خلافـاً لما كان يتوقع منه - ترتيب اسمه - وقـد أخره الشاعر ربما عن غير قصد - بين الأسماء .

وحين نعـود إلى البيت الثـالث من أبيـات هذا النص ، وفى تعليق له عليـه يقول الدكتور أحـمد عبد الله باقازى : « هذه التحية المليـئة بالشجن التى أرسلها عبد يغـوث فى تلك اللحظات العصيـبة إلى قومه وأحبـابه ، أولئك القوم الذين يجسـدون معنى الحيـاة . وفى كلمة (نداماى) إيحاء بجانب الحـياة التى تعتـمد المشاركـة والمنادمة والأخذ بأسـباب الحياة الممـتعة التى يفـتقدها الشـاعر فى تلك اللحظات الرهيـبة . وفى ورود حـرف النون . . . ست مرات - ويمكـن اعتـبار التنوين فى كلمـة (راكباً) مـوضعاً سـابعاً - والنون فى تكرارها هـذا تحمل الرنين والحنين معاً ؛ رنين الحزن للحظة التى يعيشها الشاعر ، والحنين الجارف للحياة بما فيها من أحبة وندامى التى يفتقدها الشاعر الآن ، وسيحرم منها للأبد»[10] .

وجدير بالذكر أن الشطرة الأولى من هذا البيت جاءت - تكاد تكون بنصها، بل بنصها فى بعض الأحـيان - فى نصوص أخرى عديدة لشـعراء آخرين ؛ منهم دريد بن الصمة وأوس بن حـجر وكعب بن زهير ومخارق بن شـهاب وضابئ بن الحرث البـرجمى وعبد الرحـمن بن دارة وعبد الله بن الزبير الأسـدى والأحوص

---

(٩) الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٩٦ .

(١٠) رثاء النفس فى الشعر العربى ص ١٧ .

وخداش بن زهير [١١] ، مما يدل - كما أشرت - على أنه تقليد عام لدى الشعراء منذ القدم ، وقد تكرر البيت برمته - مع اختلاف يسير ؛ حيث أُبدلت «بنى مالك والريب» بـ«ندامای من نجران» - فی يائية مـالك بن الريب ، ويربطها بهذا النص وشائج شتى [١٢] .

يتحـول الشاعـر - مع البيت الخـامس - إلى الهجوم - بـدلاً من الدفاع - وينحى باللوم - هو الذى كـان لايرى فائدة منه ولا جـدوى - على قومـه - فى معرض ذكره لهم - الصريح منهم وغيـر الصريح - وهم الموالى أو الحلفاء - فقد فـروا عنه يوم الكُلاب وأسلموه - إسـلام الذليل - إلى الأعـداء ، ولو شاء فـر فرارهم ونجته - مما وقع فيه من الأسـر - فرسه - ويشير إلى تلك الفرس بما يدل على حبه لها واعتزازه بها ؛ فهى «نهدة» ضخمة ، تسبق على ضخامتها ما سواها من الخيـول - لكنه - وهو ما ينبغى استـدراكه فى حال كتلك الحـال - يحمى - باستماتته وعدم فراره - ذمار الآباء ، ويدافع - وتلك سمة من سمات فروسيته - عن الأحساب ، فى الوقت الذى كانت فيـه الرماح - وغيرها من آلات الحرب - تتخطف الرءوس وتطير الرقاب .

ومن المعركة - وما كان فيها من ثباته وفرار قبيلته عنه - إلى ما تجلت عنه - من وقوعه فى الأسر - ينقلنا عبد يغوث مسـتخدماً صيغة المضارع التى تدل على الحالية والاسـتمرار ؛ «أقول» - الآن ؛ حيث لاجـدوى من الوقوف طويلاً مع ما مضى ، وقد أفـرغ على ما يبدو ما أراد إفراغـه إزاء أولئك الذين تخاذلوا عنه من

---

(١١) انظر تعليق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون بهامش ص ١٥٦ من المفضليات، وقد أشارا إلى مصادر هذه النصوص بما يغنى عن إعادة ذكرها ههنا .

(١٢) انظر : رثاء النفس بين عبد يغوث بن وقاص الحارثى ومالك بن الريب التميمى - د . إبراهيم الحاوى(مؤسسة الرسالة - بيروت - بدون تاريخ) ص ٦١ : ٨٠ .

ضيق وحزن امتلأت بهما حتى طفحت رغماً عنه الجنبات - وقد شدوا - على ما علمت - لسانه بنسعة خشية الهجاء - وقد لايتعدى الأمر المجاز ؛ يريد كما يقول شارحا المفضليات «أنهم فعلوا ما منع لسانه عن مدحهم» (١٣) ، أى حالوا بينه وبين شكرهم وتوجيه الثناء لهم بإساءة معاملته فى الأسر وعدم المن عليه بالعتق ونحوه ، فكأنهم كمموا فمه تكميماً ، لا أنهم كمموه على الحقيقة أو وضعوا جلدة بالفعل على لسانه - أطلقوا - بالإحسان إلى - يامعشر تيم عن لسانى ، لقد ملكتم فأسجحوا - اعفوا عفو الكرام على كريم مثلكم سوف يظل يذكرها ما امتد به العمر لكم ؛ فالإسجاح ههنا هو حسن العفو - وإن أخاكم - يعنى النعمان بن الحسحاس - «لم يكن من بوائيا» ؛ يعنى أنه لاذنب له فى قتله ، وليس هو من قتله حتى يُقتص له منه - منْ باء فلان بفلان أى تورط فى قتله ولزمه دمه وتوجب قتله به - لا أنه لم يكن نظيراً - كما فهم بعضهم - أو نداً له؛ فالمقام مقام استعطاف وإلانة - لا استعلاء أو استعداء - لقلوب الخصم .

إنكم إن تقتلونى - وقد رأى عزمهم على قتله وتيقن على ما يبدو منه - تقتلوا - بقتلكم لى - سيداً - بما تحمله هذه الكلمة الموجزة من دلالات كثيرة لايسعفه السياق على تفصيل القول فيها أو ذكرها ، وفيها ما فيها من الاعتزاز الواضح بالنفس - وإن تطلقونى - وهو الرجاء ، ومثلكم أهل له - تأخذوا ما شئتم من مالى - كل مالى إن أردتم - فدية - والفدية مما يقره العرف الجاهلى - أو حرابة - وهو باب كبير من أبواب الفقه الإسلامى - «تحربونى بماليا» ؛ تتركونى لا مال لى ، فكل مالى - إن أعتقتمونى - سوف يصير ملكاً لكم . لقد

---

(١٣) المفضليات ص ١٥٧ هـ ٨ . وفى الأمالى لأبى على القالى - جـ٣ ص ١٤٨ ، ١٤٩ - : «وقوله : وقد شدوا لسانى بنسعة ، قال : هذا مثل ، لأن اللسان لايشد بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا بى خيراً ينطلق لسانى بشكركم ، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لايقدر على مدحكم» .

أبدى استعداده لدفع الفدية - بالغةً ما بلغت - وترك لهم - فى محاولة أخيرة منه لإغرائهم بقبولها - تقديرها ، لكنهم كانوا قد اتخذوا - على ما يبدو - القرار ، ولم يعد هناك مناص من قتله ، فليكن القتل .

ويتساءل عبد يغوث فى حسرة - وقد وصل إلى ما وصل إليه من اليأس - :

أَحَقّاً عِبادَ اللهِ أنْ لستُ سامِعاً　　　نَشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبِينَ المَتالِيا؟!

هل هذا صحيح حقاً ؟ وكأنه لايصدق - برغم يقينه - أنه عما قليل سوف يموت ، وينقطع عن مسمعيه صوت الرعاء - أحد مظاهر الحياة فى بيئته البدوية - وهم ينشدون - خلف إبلهم - أناشيدهم الثرة الشجية المفعمة بدفء الحياة . «ثمة دلالات تستوقفنا فى هذا البيت الذى شهق فيه الشاعر بالتشبث بالحياة ؛ فنشيد الرعاء رمز لتلك الحياة الوادعة التى يحن لها الشاعر الآن ، وفى الإشارة إلى توالد الإبل رمز آخر لطبيعة الحياة ، وهكذا تنبثق معانى (الغناء ، التوالد ، الرعى) وكلها موحيات بالحياة التى يحلم الشاعر فى لحظاته المكروبة هذه بالعودة إليها»[١٤] .

وتقفز إلى ذهنه - فى المقابل - صورة تلك المرأة العبشمية وهى تضحك منه وتهزأ به وتسخر مما آل إليه :

وتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ　　　كأنْ لم تَرَى قَبْلِى أسِيراً يمانِيا[١٥]

هذه المرأة - التى وصفها بالـ(شيخة) ونسبها إلى عبد شمس - هى - إن

---

(١٤) رثاء النفس فى الشعر العربى ص ١٨ ، ١٩ .

(١٥) كُتبت «ترى» على هذا النحو - بعد لم - فى المفضليات ، وأشار الشارحان إلى رواية أخرى - « لم ترأ» بهمزة ساكنة آخر الفعل بدل الياء ، ونقلا عن الفراء قوله : « أبقى من الهمزة خلفاً» . وقد أثبتها آخرون «ترن» بالنون ، ورسمها بعضهم (ترا) بالألف ، وجاءت - فى بعض طبعات اللسان - «تر» دون ألف أو نون أو ياء . وفيها اختلاف يطول شرحه ويخرج - فيما أرى - عن حدود هذا البحث . راجع : الأمالى جـ٣ ص ٤٩ والمفضليات ص ١٥٨ هـ١٢ واللسان (رأى) و(شمس) والمغنى ونحوه من كتب النحاة .

عدنا إلى الواقع ؛ واقع الحياة لا النص - زوج الأهتم بن قيس ؛ فقد سألته - حين وضعه الأهتم فى دارها ورأته كما تقول الأخبار عظيماً جميلاً - : « من أنت»؟ قال : « أنا سيد القوم» . فضحكت وقالت :«قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا» . تعنى عصمة بن أبير وكان نحيفاً هزيلاً ضئيل الجسم .

وإزاء هذا الموقف الساخر من المرأة تنتفض (الأنا) فتبرز صارخة فيما تبقى من أبيات ؛ فنراه ونساء الحى - لا المرأة التى ضحكت منه وحدها - يركدن حوله ، يردن منه ما تريد نساؤه - إشارة إلى ما يكون من اتصال جسدى بين الأزواج - وقد علمت مليكة عرسه - على ذكر الأزواج - أنه كالليث - بل هو الليث - معدواً عليه وعادياً - حال الصراع مع الأقران - وليست الشجاعة فحسب هى ما يفخر - أو يتغنى - به - فيما يشبه التأبين - وإنما الجود كذلك والكرم ، والجرأة وما تستتبعها من الإقدام على الأهوال فيمضى «حيث لا حى ماضياً» ، ويستحضر صورة «الشرب الكرام» ممن كانوا ينادمونه الخمر ويتناولون معه - فى مجالس اللذة والإقبال على الحياة - صنوف الشراب ، وكيف كان ينحر مطاياه لهم - جوداً وكرماً - ويصدع بين القينتين - والقينة هى الجارية المغنية ، فيجمع بين الشراب والغناء ، أو الجارية على الإطلاق - الثوب - طرباً وسكراً - أو الرداء .

ويصحبنا إلى ميادين القتال ، فنراه وهو يجول ههنا وهنا - والخيل تنفر مع اشتداد المعركة - لبيقاً - ويعنى باللباقة الحذق والمهارة - بتصريف القناة واستخدامها - هى وغيرها من السلاح - ونراه وهو يذود خيل الأعداء فيدفعها على كثرتها - تلك الكثرة التى تشبه فى مخيلته كثرة الجراد - غير عابئ بما يوجه نحوه من أسنة الرماح أو يصوب من السهام . يقول الدكتور إبراهيم الحاوى - فى تحليله لهذا النص - : « وفى تقديرنا أن ذكر الأصحاب - والندماء منهم بخاصة - فى لحظات الموت نوع من التمسك بالحياة ، ورفض لفكرة الموت ؛ فالشاعر يستحضر صورة الحياة اللاهية العابثة التى كان يتمتع بها مع هذه الرفقة ، باكياً

تلك الأيام ، شاعراً بعذوبتها ، فهو كأنما يدفع عن نفسه فكرة الموت دفعاً . وتتجدد هذه الفكرة فى نفس الشاعر على نحو واضح فى مواضع أخرى من القصيدة حين يعالجه الموت بصورة أشد ، فإذا هو ينفر منه بتعميق صور اللذائذ الحياتية التى كان يمارسها بصحبة تلك الرفقة فى مجالس الشراب ، حين كان ينحر المطايا ويسبؤ الزق ، ويعظم ضوء النار للأضياف ، ويصدع الرداء بين القيان، وما إلى ذلك . وواضح أن الشاعر يتمسك بكل صور الحياة المبهجة التى من شأنها أن تخفف من استغراقه فى المصيبة ، وتحول دون تهالكه» [١٦].

لكنه ينتهى بنا - كما انتهى كثيرون غيره عند مواجهة الموت - إلى نوع من الاستسلام ؛ فكل ما قد أشار إليه - من صور الحياة المبهجة ولقطات القتال - كأن لم يكن ، أو كأنه - بلغة العصر - سحابة صيف ، مرت - ولم يرتو منها - وأُسْدِلَ إثر مرورها الستار :

كأنِّىَ لم أرْكَبْ جَواداً ولم أقُلْ　　لخَيْلِىَ كُرِّى نَفِّسى عن رِجاليا
ولم أسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقُلْ　　لأيْسارِ صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَ نارِيا [١٧]

تلك إذن هى الحياة ؛ صور عابرة ومجرد ذكرى ، لاتلبث أن تنطفئ ولا يبقى منها - بعد رحيل صاحبها - غير ملامح باهتة فى ذاكرة الأيام .

---

(١٦) رثاء النفس بين عبد يغوث بن وقاص الحارثى ومالك بن الريب التميمى ص ١٥ .

(١٧) فى «أيام العرب» - ص ٨٦ - زيدت الأبيات الثلاثة الآتية :

«فيا عاصِ فُكَّ القَيْدَ عَنِّى فإنَّنِى　　صَبُورٌ على مَرِّ الحَوادِثِ ناكِيا
أأهْتَمُ يا خَيْرَ البَرِيَّةِ والِداً　　ورَهْطاً إذا ما النَّاسُ عَدُّوا المَساعِيا
تَدارَكْ أسِيراً عانِياً فى حِبالِكم　　ولا تُثْقِفَنِّى التَّيْمُ ألْقَ الدَّواهِيا».

عبيد بن الأبرص (*)

[٢٤]

(منسرح / متواتر)

١ - أَقْــفَــرَ من أَهْـلِهِ عَــبِــيــدُ   فــالـيَــوْمَ لا يُـبْــدِى ولا يُعِــيــدُ

٢ - عَـنَّتْ لـه مَـنِيَّــــــةٌ نَكُــودُ   وحــــــانَ مِنْـهــــا لـه وُرُودُ.

(*) **ترجمته وأخباره** : الاشتقاق ص ٢٩ / أدب الدنيا والدين ص ٢٥٩ / الأعلام م٤ ص ١٨٨ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٨ ص ٩٦٦٩ / الأمالى لأبى علي القالى جـ١ ص ٢١٨ ، ٢١٩، ٢٧١ ، ٢٩٩ ، جـ٣ ص ١٧٠ ، ٢١٧ / أنســاب الأشـراف ص ٨٤ / الأنوار ومحــاسن الأشعار جـ١ ص ١٤٧ / البرصان والعرجـان جـ٢ ص ٥٣٢ / البيان والتبيين جـ١ ص ٢٣٦ ، جـ ٤ ص ٦٧ / تاريخ الآداب العربية (نالينو) ص ٦٧ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١١٤ / تاريخ الأدب العربى (بروكـلمان) جـ١ ص ١١٠ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص ٣٢٤ / تاريخ الأدب العـربى (فروخ) جـ١ ص ١٢٤ / تاريخ اليـعقـوبى جـ١ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٣ / التعريف فى الأنساب ص ٥٨ / الجـمهرة (الجواهرى) جـ١ ص ٢٩٤ / جمهرة أشعار العرب ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٩٨ ، ٣٧٩ : ٣٨٩ / حماسةُ ابن الشـجرى ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ٤١٠ ، ٤٧٨ ، ٦٦٩ / حمـاسـة البـحترى ١٧٣، ١٨٣ ، ٢٦٣ / الحماسة البـصرية جـ١ ص ٨٢ ، جـ٢ ص ٧٧ ، ٨٣ ، ٣٤٨ / خزانة الأدب جـ١ ص ٣٢٩ / ديـوان الأدب جـ١ ص ٧٤ ، جـ٢ ص ٧٣ ، جـ٣ ص ٤٧٧ ، جـ٤ ص ٦٠، ١٨٧ / ديوان الشعر العربى جـ١ ص ٩٠ / ديوان المعانى جـ١ ص ١١٨ ، جـ٢ ص ١٥٥ / شرح اختيارات المفضل ص ١٥٥١ / شـرح شواهد المغنى ص ٢٩٢ / شرح القـصائد العشر ص ٤٦٧ : ٤٨٤ / شـعراء النصرانية فـى الجاهلية ص ٥٩٦ / الشعـر والشعراء م١ ص ٢٦٧ / صناعة الكتاب ص ٣١٦ / كتاب الصناعتين ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٣ / طبقات فحول الشعـراء م١ ص ١٣٧ / العقد الـفريد جـ٢ ص ٣١٧ ، جـ٣ ص ٦٧ ، ٢١٥ ، ٢٦١ ، جـ٤ ص ٤٧ ، جـ٦ ص ١٠٥ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، جـ٨ ص ١٠٥ / العـمـدة جـ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣، ١٩٤ / عيار الـشعر ص ٤١ / عيون الأخـبار جـ٢ ص ٧٢ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٣٢٥ ، جـ٣ ص ١٨٨ / الكامل فى اللغـة والأدب جـ١ ص ٦٤ ، ٢٦٧ ، جـ٢ ص ١٢ / المثل السائر جـ١ ص ٢٣٩ / مختارات شعراء العرب ص ٣١١ : ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ ، ٥٣٣ / مختار الأغانى جـ٥ ص ٣٨٥ / المزهر جـ١ ص ٥٠٨ ، جـ٢ ص ٤٢٤ ، ٤٧٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ / مـعـجم البلدان جـ٥ ص ٧٩٥ / معجم الشعراء (عفيف) ص ١٥٥ رقم ٩٨٩ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٢٣٣ رقم ٧٨٨ / معجم ما استعجم ص ٢٣٨ ، ٣٩٩ ، ٤١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٨ ، ٦٢١ ، ٦٢٧ ، ٦٧١ ، ٦٨٢ ، ٧١٢ ، ٧٩٧ ، ٨٢٠ ، ١٠٣٢ ، ١٠٨٢ ، ١٢٥٥ ، ١٣٠٦ / الموازنة جـ٢ ص ٣٨ / المؤتلف والمختلف ص ١٩٨ رقم ٤٩٦ / موسوعـة الشعـر العربى جـ٢ ص ٥٦١ / الموشح ص ٢٠ ، ٣٣ ، ١٠٤ / نشـوة الطرب ص ١٧٩ / نقد الشـعر ص ٥٥ ، ١٨٢ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٢٩ / الوحشيات ١٣٦ .

[٢٤] ديوان عـبـيـد بن الأبرص - ت . د . حـسين نصـار - ص ٤٥ رقم ١٤ / الأغـانى (ط . الشعب) جـ٢٨ ص ٩٦٧١ / الأمـالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٢١٧ / شعراء النصـرانية فى الجاهليـة ص ٦٠١ / الشعـر والشعراء م١ ص ٢٦٨ / العـمدة جـ١ ص ١٩٤ / لسـان العرب (قفر) / معجم البلدان جـ٤ ص ١٩٨ .

كان عَبِيد أحد شعراء البلاط فى الحيرة ، وكانت نهايته داخل هذا البلاط ، وهو ما حدثنا عنه تفصيلاً أكثر من مصدر من المصادر التى ترجمت له ؛ ففى الأغانى - ويمكن أن نجتزئ به ههنا عما سواه - عن هشام بن الكلبى «أن المنذر بن ماء السماء بَنَى الغَرِيَّيْنِ ، فقيل له : ماتريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبرى رجلين من بنى أسد كانا نديميه ؛ أحدهما خالد بن نضلة الفقعسى ، والآخر عمرو بن مسعود . فقال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمرى ، لا يَمُرَّنَّ أحد من وفود العرب إلا بينهما . وكان له يومان ؛ يوم يسميه يوم النعيم ، ويوم يسميه يوم البؤس ، فإذا كان فى يوم نعيمه أُتِيَ بأول من يطلع عليه ، فحباه وكساه ونادمه يومه وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أُتِي بأول من يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظَرِبان أسود ثم أمر به فذبح وغرى بدمه الغَرِيَّان ؛ فبينا هو جالس فى يوم بؤسه إذ أشرف عليه عبيد ، فقال لرجل كان معه : مَنْ هذا الشقى ؟ فقال له : هذا عبيد بن الأبرص الأسدى الشاعر . فأُتِيَ به . . . فقال له رديفه : هَلاَّ كان الذبح لغيرك ياعبيد ؟ فقال : أتتك بحائن رجلاه . فأرسلها مثلاً . فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلت شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض . فقال : أنشدنى : أقفر من أهله ملحوب . فقال : أقفر من أهله عبيد . .» [1] إلى آخر البيتين .

ومع تسليمنا ضمناً بأن عبيد بن الأبرص قد نسجت حوله - كما نسجت حول طرفة وامرئ القيس - الأساطير [2] ، وأن جانباً من شعره يمكن - على ما لاحظه

(١) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٨ ص ٩٦٧٣ ، ٩٦٧٤ . وانظر الخبر برواية أخرى ص ٩٦٦٩ : ٩٦٧٢ .

(٢) وهو ما ذهب إليه غير دارس ، منهم الدكتور عفيف عبد الرحمن ؛ حيث يقول فى ترجمته له : «كان سيداً وفارساً من فرسان قومه المشهورين ، خاض معهم جميع المعارك التى خاضوها ، وقد نسجت حول موته الأساطير» . ولم تتعلق الأساطير - فى رأيى - بموته فحسب ، وفى الأغانى - جـ ٢٨ ص ٩٦٦٨ - ما يدل عليه ؛ يقول أبو الفرج : « وقرأت فى بعض الكتب ، عن ابن الكلبى عن أبيه ، وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه ، أن عبيد بن الأبرص سافر فى ركب من بنى أسد . .» . ثم أورد قصته مع الثعبان الذى سقاه .

ابن سلام من قبل - الشك فيه (٣) ، إلا أننا لانستغرب وقوع قتله - وقد تداولته مصادر عدة موثوق بها - على هذا النحو ، ولانستغرب كذلك ما نسب فيه - كالبيتين السابقين - وهما يحتذيان بائيته الشهيرة - من شعر إليه ، وقد روى بعضه رواه ثقاة (٤) ، ووضعه محقق شعره - الدكتور حسين نصار - فى صلب الديوان.

«أقفر من أهله ملحوب» - وهو ما أراد المنذر أن يسمعه وكان شديد الإعجاب به - تتحول على الفور - أو البديهة حسب المصطلح النقدى - إلى - وقد ثبت صدر العبارة - «أقفر من أهله عبيد» ؛ الإقفار من الأهل قاسم مشترك بين النص القديم والنص الذى يولد - معارضاً له ، إن صح وصف صنيعه هذا بالمعارضة - للحظته ، لكن الذى يقفر ههنا هو الشاعر نفسه ، فعما قليل سوف تطفأ جذوته ، وتستل الروح منه ، فلا يبدى ولايعيد .

إنه قدره ، وهل يفر أحد - أو يستطيع الفرار - مما قُدِّرَ له ؟! لقد «عَنَّتْ له » - وفى عَنَّتْ ما يدل على التجلى بعد الخفاء ؛ أعنى الظهور أو الوضوح لا الوجود من العدم ، وقَدَّم شبه الجملة «له» للتأكيد والاختصاص ؛ فهى أى المنية لم تعترض فى لحظته تلك سواه ، هو المقصود لاغيره - منية - وفى رواية «خطة» وفى أخرى «عَنَّة» - يقرنها - عن طريق الوصف - بالنكد أو الشؤم ، وحان منها - له كذلك دون غيره - الورود ، مع تنكير هذه الكلمة - كلمة «ورود» - ومثلها كلمة «منية» من قبل ، وفى التنكير ما فيه من التهويل والرهبة ؛ تلك الرهبة التى استولت - لاشك - عليه ، ودفعته - فيما دفعه - إلى اليأس التام - منذ الوهلة الأولى - أو الاستسلام .

---

(٣) يقول ابن سلام الجمحى : « وعبيد بن الأبرص قديم ، عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله :

أَقْفَرَ من أَهْلِه مَلْحُوبُ   فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

ولا أدرى ما بعد ذلك » . طبقات فحول الشعراء م١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٤) انظر مقدمة الدكتور حسين نصار للديوان .

[٢٥]

(طويل / متدارك)

١ - وخيَّرَنى ذُو البُؤْسِ فى يَوْمِ بُؤْسِه خصالاً أرَى فى كُلِّها المَوْتَ قَدْ بَرَقْ
٢ - كما خُيِّرَتْ عادٌ من الدَّهْرِ مَرَّةً سَحائبَ ما فيها لِذى خِيرَةٍ أَنَقْ
٣ - سَحائبُ رِيحٍ لم تُوكَّلْ بِبَلْدَةٍ فتَتْرُكَها إلاَّ كما لَيْلَةُ الطَّلَقْ.

قال المنذر - فيما دار بينه من حوار وبين عبيد قُبيل مقتله - : « إنه لابد من الموت ، ولو أن النعمان عرض لى فى يوم بؤس لذبحته ، فاختر إن شئتَ الأكحل، وإن شئتَ الأبجل ، وإن شئت الوريد» . فقال عبيد : « ثلاث خصال كسحابات عاد ، واردها شر وارد ، وحاديها شر حاد ، ومعادها شر معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، فإن كنتَ لا محالة قاتلى فاسقنى الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلى، وذهلت لها ذواهلى ، فشأنك وما تريد» (٥) . فأمر المنذر بالخمر فأحضرت ، «فلما أخذت منه وقُرِّبَ ليُذبح أنشأ يقول : وخيرنى ذو البؤس . . . وأمر به ففصد ، فلما مات طلى بدمه الغَرِيّان»(٦) .

خُيِّرَ عبيد - اختيار المجبور عليه - بين ثلاث ، كلها يُفضى للموت ؛ أن يُقطع الأكحل - وهو عرق فى وسط الذراع - أو الأبجل - وهو بإزاء الأكحل - أو الوريد ، ويظل ينزف حتى الموت ، لم يخير فى الزمان أو المكان - إن كان ثمة اختيار فيهما - ولم يخير بين القتل أو الفداء ، وإنما خُيِّرَ - وهو أعجب ما رأيت من التخيير - فى الطريقة التى يقتل أو يموت بها .

---

[٢٥] ديوانه (ت . د . حسين نصار) ص ٨٨ رقم ٣٣ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٨ ص ٩٦٧١، ٩٦٧٢ / الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٢١٨ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٦٠٢ / معجم البلدان جـ٤ ص ١٩٩ .

(٥) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٨ ص ٩٦٧١ .وانظر : الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٢١٨ .

(٦) الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٢١٨ .

هل كان المنذر يسخر منه ؟! أم يتلذذ - مثل القط - وهو يراه - مثل الفأر - فى قبضته ؟! ثلاث خصال - أو خلال كما جاء فى إحدى الروايات - يبرق الموت - كما يقول - خلالها ، خيره فيها - ولا يثير التخيير ههنا غير المرارة والأسى ولايبعث إلا على الضحك الذى يفضى كما أفضى به إلى البكاء - ذو بؤس ، فى يوم بؤس ؛ كما خيرت عاد - حين أهلكها المولى - فى قديم الزمان.

خيط ما يربط - فى وجدانه ووجدان المتلقين على السواء - بين ما حدث لعاد - وقد حل غضب الله عليها - وما يحدث له الآن ، الشؤم ربما ، وربما اليأس المطلق من النجاة ؛ وهو ما لمحه الدكتور عبد الله أحمد باقازى حين قال : « إن الشؤم الذى سيطر على مجريات الموقف قد امتد ظله إلى التناول الشعرى ؛ حيث انعكس ذلك فى أبيات عبيد الثلاثة التى نعى فيها نفسه ، ولاشك أن ظلال الشؤم قد امتدت وأخذت هنا بعداً تاريخياً سحيقاً يضرب فى أعماق الماضى؛ فاستحضار قوم عاد ، وربط عبيد لشؤمه بالشؤم الذى حل بهم حيث حل بهم غضب الله عز وجل لعصيانهم لنبيهم هود عليه السلام ، إن السحائب التى تتلبس هنا طابع الشر ولايمكن أن تنكشف عن بوادر خير هى صورة صادقة لانعدام الأمل فى حياة عبيد ؛ حيث شعر أن الموت لا مناص منه ، وبالتالى فلم تتمخض السحب عن شىء يستبطن فى أغواره خيراً لعبيد ، وإنما هى سحب شؤم كسحب الريح التى دمرت قوم عاد ، وكبوادر الموت المشئوم الذى سيحيق بعبيد عن قليل» (٧) .

[٢٦]

(متقارب / متدارك)

(٧) رثاء النفس فى الشعر العربى ص ٥٣ ، ٥٤ .

[٢٦] ديوانه (ت . د . حسين نصار) ص ٦٢ رقم ٢٢ / الأمالى لأبى على القالى جـ٣ ص ٢١٨ / شعراء النصرانية ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ / معجم البلدان جـ٤ ص ١٩٨ . والبيت الأول منفرداً فى الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٨ ص ٩٦٧١ .

١ - واللّه إنْ متُّ ما ضَرّنى   وإنْ عِشْتُ ما عِشْتُ فى واحدَهْ
٢ - فأبْلِغْ بَنِىَّ وأعْمامَهُمْ   بأنَّ المَنايا هى الوارِدَهْ
٣ - لها مُدّةٌ فنُفُوسُ العِبادِ   إليها وإنْ كَرِهَتْ قاصِدَهْ
٤ - فلا تَجْزَعُوا لحِمامٍ دَنا   فلِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الوالِدَهْ
٥ - فواللّه إنْ عِشْتُ ما سَرّنى   وإنْ متُّ ما كانت العائدَهْ .

اضطربت هذه الأبيات - وقد اعتمدت رواية الديوان - فى مصادرها الأصيلة - تقديماً وتأخيراً وزيادة ونقصاً مع اختلاف فى بعض الألفاظ - وأشعر - وقد تشعر معى - أن هناك خللاً ما فى ترتيب أبياتها ، لكن هذا الخلل - وقد اعتدناه فى غيرها من شعر عبيد ، وبائيته الشهيرة أصدق مثال على ما أقول - قد يتناسب وطبيعة الموقف نفسه ؛ فماذا يُنتظر ممن يقول الشعر وهو بين يدى الموت ؟! وهو كذلك سمة - أزعم - من سمات ما يسمى بـ «شعر البديهة والارتجال» . فلا غرابة إذن من وجود مثل هذا الخلل ، وكذلك - مع محاولات بعض الرواة للتعديل أو التقويم - مثل هذا الاضطراب .

تستوى الحياة لدى عبيد - وهو ما يقرره بدايةً - مع الممات ، فماذا يضير - وفى هذا تأكيد لحالة اليأس التى رأيناها فى النصين السابقين - إن مات الآن ؟ وهل يعيش المرء أكثر من حياة ؟! لقد عاش حتى بلغ الأجل ، ولا أمل لديه - كما قد يؤمل بعض الناس - فى البقاء ، وسئم على ما يبدو - ويقال إنه عاش ثلثمائة عام أو أكثر [٨] - من طول العمر ، فلن يضره - والحال كذلك - أن يجىء الموت ،

(٨) الشعر والشعراء م١ ص ٢٦٨ والعمدة جـ١ ص ١٠٣ . وفى «المعمرون والوصايا» - ص ٦٠ - قال أبو حاتم السجستانى : «عاش عبيد بن الأبرص . . . مئتى سنة ، ويقال بل ثلثمائة سنة» . وفى «أنساب الأشراف» - جـ١ ص ٨٤ - قال البلاذرى : «وسمعت من يحدث عن مصعب بن عبد الله أن عبيد بن الأبرص كان ترب عبد المطلب ، وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة ، وبقى عبد المطلب بعده عشرين سنة أو أكثر » . وهو فى ظنى الأقرب للصواب . راجع ما قاله الدكتور حسين نصار فى تقديمه للنص الحادى والعشرين بالديوان ، وكذلك ما قاله لويس شيخو - فى شعراء النصرانية ص ٦٠٢ - تعليقاً على كلام ابن رشيق .

ولن يتوسل - وقد هموا به ليقتلوه - ولن يحنى - فى لحظته تلك - الرأس .

وإن كان ثمة مطلب أخير أو رجاء - قبل تنفيذ حكم الموت فيه - فهو إيصال تلك الكلمات - أو بالأحرى وصيته - إلى بنيه وأعمامه ؛ ألا يجزع أحد منهم عليه ، فالمنايا هى الواردة - تسعى إلينا وإن لم نسع نحن إليها وتترصد بنا فى كل مكان - وحين تحين ساعتها - ولها مدة أو أجل معلوم - فلا مجال لتأخير تلك الساعة أو إرجائها ، وللموت كما قال غيره - وقد مر بنا - «ما تلد الوالدة» ، وليس مع طول عيش - إن عاش - ما يسر ، وإن مات فهو - على ما يعتقد كثير من أهل عصره - الفناء ؛ فليست هنالك - أو لعله يعنى الرجوع إلى الدنيا إن كان يؤمن مثل قليل بالآخرة - من عائدة ، وفى الفناء - على ما يَظن - راحة ، ولا جدوى - إن كان الموت هو المنتهى - من طول عيش .

وفى الأبيات - إن استثنينا ما قد يكون فى آخرها من نفى للمعاد - نغمة دينية واضحة ، تتبدى فى قسمه - أكثر من مرة - بالله ، وتسليمه بالموت وعدم جزعه منه ، وإشارته إلى «المدة» - وهى (الأجل) فى الإسلام - وتقريره - وإن قرره آخرون كثيرون غيره فى عصره - لحقيقة الموت ؛ تلك الحقيقة التى قال عنها النبى ﷺ - فيما يروى عنه - « ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من الموت » .

وفى الألف الممدودة قبل الروى وما يسبقه - وهو ما يسميه العروضيون بـ (التأسيس) - ما يجعل القافية تشبه - فى السمع - النواح ، وفى هاء السكت - بعد المد وما يليه - ما ينسجم - فى ظنى - وما سوف يؤول إليه - بعد لحظة أو لحظات - من صمت أبدى .

عمرو بن أمامة اللخمى (*)

[٢٧]

(رجز / متدارك)

١ - لقـد عـرَفْتُ المَوْتَ قَـبْلَ ذَوْقِـه
٢ - إنَّ الجَـبـانَ حَـتْفُـهُ من فَـوْقِـه
٣ - كلُّ امْـرِئٍ مُـقــاتِلٌ عَنْ طَوْقِـه
٤ - كـالثَّوْرِ يَحْـمِى جِلْدَهُ بِرَوْقِـه .

ينسب هذا النص - مع اختلافات طفيفة فى بعض الكلمات - إلى عامر بن فهيرة - رضى الله عنه - فى السيرة النبوية والبداية والنهاية والإصابة وفتوح البلدان- وكذا فى موضع من الموضعين اللذين جاء فيهما بالعقد الفريد - وقد نسبته إلى عامر - وهو خطأ يتبين لى الآن - متابعاً تلك المصادر فى دراستى لشعر العبيد[١] .

وقد نسبه إلى عمرو بن أمامة أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح - فى «من اسمه عمرو من الشعراء» - والمرزبانى - فى «معجم الشعراء» - وابن عبد ربه

(*) **ترجمته وأخباره** : أدب الخواص ص ١٤٧ : ١٤٩ / تاريخ الطبرى جـ٢ ص ١٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ / جمهرة الأمثال جـ٢ ص ١٩٤ : ١٩٦ / العقد الفريد جـ٣ ص ٦٦ / فصل المقال ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ / مجمع الأمثال جـ١ ص ١٤ ، ١٧٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، جـ٣ ص ٢٤ ، ٥٥ ، ٨٢ / معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٦ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٢٥٥ رقم ٨٩١ / من اسمه عمرو من الشعراء ص ٦٥ .

[٢٧] من اسمه عمرو من الشعراء ص ٦٦ وقد اعتمدت روايته / الإصابة م٣ ص ٤٨٢ / البداية والنهاية م٢ ص ٢٥٨ / جمهرة الأمثال ص ١٩٥ / السيرة النبوية م١ ص ٥٨٩ / العقد الفريد جـ٣ ص ٦٦ ، جـ٦ ص ١١٥ / فتوح البلدان ص ٣٠ / لسان العرب (طوق) / معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٧ .

(١) ص ١٤٣ ، ١٥٦ ، ١٩٠ .

- فى الموضع الثانى من «العقد الفـريد» - وابن برى فيما نقله عنه ابن منظور فى «اللسان» [٢] . وصرح بعـضهم - كالمرزبانى وابن الجـراح - أن عامر بن فهـيرة رضى الله عنه قد تمثل به حين أصـابته الحمى بعد هجـرته إلى المدينة ، فلا يصح نسبته - من ثم - إليه إلا على سبيل التمثل - كما تمثل كثيرون غيره من الصحابة - لا الإبداع .

وعمرو هذا هو ابن المنذر - ملك الحيرة - بن امرئ القيس اللخمى ، وأمامة أمه ، وبها يُعرف - تمييزاً له عن عمرو بن هند أخيه الأكبر من أبيه - وقد صُحِّفَ اسمها إلى «مامة» فى العقد الفريد - وصحف اسمه إلى «عمر» بدلاً من «عمرو» - فسماه عمر بن مامة [٣] .

كان المنذر قد تزوج من هند بنت الحرث الكندى ، وأنجب منهـا عمراً الأكبر والمنذر الابن وقابوس ، ثـم طلقها وتزوج بنت أخـيها أمـامة - وهى أمـامة بنت عمرو بن الحرث الكندى عم امرئ القيس - «فلما مات المنذر ، وملك ابنه الأكبر عمرو بـن هند ، رد إلى أخيه قابوس أمـر البادية ، ولم يرد إلى عمرو بـن أمامة شيئاً ، فقال :

ألأبـنِ أُمِّـكَ مـا بَـدا ولكَ الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ

. . . ثم خرج مغاضبـاً لأخيه ، وقصد اليمن ، فأطاعتـه مراد ، فأقبل بها يقودها نحو العراق ، حتى إذا سار بها ليالى تلاومت مراد بينها ، وكرهت المسير معه ، وثار به المكشـوح ؛ هبيرة بن عبد يغوث ، وقـتله ، ولما أحيط به ضاربهم بسيفه حتى قُتل ، وقال : . . .» [٤] . الأبيات .

(٢) مادة (طوق) . وأورد ابن منظور البيت الأخيـر وحده فى مادة (روق) ، ونسبه - فى هذا الموضع - إلى عامر بن فهيرة رضى الله عنه .

(٣) العقد الفريد جـ٣ ص ٦٦ .

(٤) من اسمه عمرو من الشعراء ص ٦٥ ، ٦٦ . وقد نقل عنه على ما يبدو - فلم يختلف نص الخبر كثيراً - المرزبانى فى معجم الشعراء ص ١٦ ، ١٧ .

وإذن فقد قيل هذا النص - ولم يجئ فيه غير ما ذكرت - وقد «أحيط» بصاحبه وتعرض - من قِبَل شيعته - للقتل ، وتطلعنا الأخبار القليلة التى دارت حوله على ما تعرض له - وهو الأصغر سناً من إخوته غير الأشقاء - وبخاصة عمرو بن هند - بعد رحيل أبيه من جور وظلم ، اضطره إلى الخروج - أو أُخْرِجَ رغماً عنه - إلى اليمن ، واستنصر ببعض قبائلها ، فلم تجبه - بعد لأى - غير مراد ، ثم انقلبت هى الأخرى عليه وأسلمته - بل قتلته - قبل قتاله لأخيه وإزاحته - على ما كان يخطط له - عن الملك .

حياة مُرَّة ؛ نشأ فيها صغيراً - فلم يذق للحب طعماً - مع بنى العلات ، وسُحب البساط - بساط الإمارة - من تحت قدميه ، وأخرج من ماله وداره وعاش الغربة زمناً وتلظى - حتى قبل رحيله عن بلده - بنار الاغتراب ، ودخل فى صراع - من أجل السلطة - مع أخيه ، وخذله الأقارب والغرباء ، وقتله فى نهاية المطاف أحد رجاله ، فكيف - بمن عاش مثل تلك الحياة - لايكون - كما يقول - قد عرف الموت قبل مجيئه ، وذاقه - قبل أن يذوقه بالفعل - آلاف المرات ؟!

إن الجبان - ويكفيه أنه لم يُعرف قط بالجبن ، فلم ينافق ، ولم يداهن ، ولم يدفن هامته كما تدفنها النعامة فى الرمال ، ولم يطأطئ للعاصفة الرأس - حتفه من فوقه ، يحيط به فى كل مكان - أنَّى كان - لا يُنجى الجبن من الموت - فمم يخاف ؟ ولم ؟ - ولا تضر الشجاعة أو تقرب - كما قد يظن الجبناء - الآجال [(٥)] ؛ فهل كان يواسى نفسه - وهو يواجه الموت - أم يحفزها على

---

(٥) فى العقد الفريد - جـ٣ ص ٦٦ - : «قال أبو عبيد : أحسبه أراد أن حذره وتوقيه ليس بدافع عنه المنية . وهذا غلط من أبى عبيد عندى ، والمعنى فيه أنه وصف نفسه بالجبن ، وأنه وجد الموت قبل أن يذوقه ، وهذا من الجبن . ثم قال: "إن الجبان حتفه من فوقه". يريد أنه نظر إلى منيته كأنما تحوم على رأسه ؛ كما قال تبارك وتعالى فى المنافقين إذ وصفهم بالجبن : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ ..» . ومع تقديرى لقراءة ابن عبد ربه للبيت إلا أننى لا أجد ما يبرر - وهو يخالف الواقع - متابعته عليه ، وهو على النقيض - كما ترى - مما ذهبت - وذهب آخرون من قبلى - إليه .

مواصلة القتال - إزاء من ثاروا عليه وهم من الكثرة بمكان - أم يدفع ضمناً ما قد يوجه إليه - وهو ما يأباه ذو الأنفة - من اتهام ؛ حين توصف - ولعله كان يتخيل ما سوف يقال - الجرأة بالحمق ، ويرمى بالنزق الإقدام ؟

كل امرئ - وهو ما قد يكون عذراً له - «مقاتل عن طوقه» - أو «مجاهد بطوقه» كما جاء فى بعض الروايات - قال ابن برى : «والطوق : الطاقة ؛ أى أقصى غايته ، وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه» (٦) . وفى السيرة : « (بطوقه) يريد : بطاقته ، فيما قال ابن هشام » (٧) . ولقد قاتل قدر الطاقة - حسب ما فى وسعه - كالثور يحمى جلده - أو يدفع عن نفسه - بما يملك ؛ وهو (الروق) أو القرن .

إن كنت أموت الآن - وكان يموت بالفعل - فحسبى أننى لم أكن جباناً ، ولم أدخر وسعاً أو جهداً فى القتال ، ودفعت بكل ما أملك إزاء خصوم يفوق عددهم الرمال - وهم من ثاروا عليه فقتلوه بعد نصرتهم له من مراد - وملك جبار - هو أخوه عمرو بن هند - لايعرف غير السطوة والبطش .

وبرغم خصوصية التجربة فقد حاول الخروج بها - منذ البيت الثانى أو الشطرة الثانية - من الخصوص إلى العموم ، فتولدت بشكل تلقائى أكثر من حكمة ، وأضفى التشبيه آخرها لمسة - كانت اللوحة أحوج ما تكون إليها على قصرها - من الروعة - بحيويتها وبساطتها وإثارتها للخيال - والجمال .

---

(٦) اللسان (طوق) .

(٧) السيرة النبوية م١ ص ٥٨٩ .

عنترة (*)

(*) **ترجمته و أخباره** : أدباء العرب جـ١ ص ١٦٢ / الاشتقاق ص ٣٨ ، ١٣٨ ، ٢٨٠ ، ٣٩٦ ، ٥١٦ / الأعـلام م٥ ص ٩١ / الأغانى (ط . الشـعب) جـ٨ ص ٢٩٨٣ / الأمـالى لأبى على القالى جـ٢ ص ٢٤٥ ، جـ ٣ ص ٣٣ ، ٨١ ، ١٦٤ ، ١٨٤ / تاريخ الآداب العـربية (نالينو) ص ٧٤ ، ٧٦ ، ١٢٠ ، ١٨٧ / تاريخ آداب اللغـة العـربيـة (زيدان) جـ١ ص ١١١ / تاريخ الأدب العـربى (بروكلمان) جـ١ ص ٩٠ / تاريخ الأدب العـربى (بلاشيـر) ص ٣٠٢ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ٢٠٧ / تاريخ الطبرى جـ٥ ص ٤٣٤ ، جـ٦ ص ٢٦٤ / تاريخ اليعـقوبى جـ١ ص ٢٦٣ / التذكـرة الفخرية ص ٥١ ، ٢٠٧ / تعليـق من أمالى ابن دريد ص ١٢٢ / التنبيـه على أوهام أبى على فى أماليـه ص ٩٣ ، ١٢٢ / الجمهـرة (الجواهر) جـ١ ص ٣١٢ / جمهرة أشعار العرب ص ٢٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٣٤٧ : ٣٧٨ / جوهر الكنز ص ٤١٩ / حـديث الأربعـاء جـ١ ص ١٤٥ / الحلبـة فى أسمـاء الخـيل ص ٢٢ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١٠٣ / حـماسـة ابن الشـجرى ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠، ٣٢ ، ٦٧ ، ٤٦٩ ، ٨٦٩ / الحـماسـة البصرية جـ١ ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٩٧ ، جـ٢ ص ٣٤٢ / حـماسة الخالدين جـ١ ص ٢ ، ١٩ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٥، جـ٢ ص ١ ، ٢٠١ ، ٢٧٧ / خـــزانة الأدب جـ١ ص ١٢٨ / الديباج ص ٤٠ / ديوان الحماسة لأبى تمام رقم ١٤٥ ، ١٤٧ / ديوان الشعر العـربى جـ١ ص ٩٣ / ديوان المعانى جـ١ ص ١١٠ ، ٣١٧ ، جـ٢ ص ٦٤ ، ١٢١ ، ١٤٨ / شرح اختيارات المفضل ص ٧٤٨ / شرح الحماسة للمرزوقى ص ٢٨ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٨٥ : ١٨٨، ٣٢٠ ، ٤١٨ / شـرح القصـائد التسـع لابن النحاس جـ٢ ص ٦١٣ / شـرح القصائد العـشر ص ٩٠ / شرح المعلقـات السبع للزوزنى ص ١٠٤ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٧٩٤ / شعر العبيد ص ٩٤ / الشعر والشعراء م١ ص ٢٥٠ / كتاب الصناعتين ص ١٣٠ ، ١٦٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٧٠ ، ٣١٢ ، ٤٢٩ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ١٥٢ / العصـر الجاهلى ص ٣٦٩ / العقد الفريد جـ١ ص ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٣ ، جـ٢ ص ٢٧٤ ، جـ٣ ص ٢٦٩ ، ٣١٩ ، جـ٦ ص ٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٤٠ ، ١٠٣ / عنترة بن شداد : قصـته وشعره - عبد الله بوعركى حـلاق - مجلة الضاد - بيروت - السنة التاسعة ص ٢٤ / عنترة بين الواقع والأسطورة - عفيف عبد الرحمن - الأقلام - بغداد - أغسطس ١٩٧٦ م - ص ٨ / عيـار الشعر ص ٣٤ ، ٦٨ ، ١٤١ / عيـون الأخبار جـ١ ص ١٢٥ / الفاخر ص ٢٢٤ ، ٢٣٤ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ٤ ، ١٧ ، ٥٥ ، ٩٨ ، ١٢٨ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢٧٤ ، ٣١٢ ، ٣٥٩ ، ٣٧٢ ، جـ٢ ص ٣٤ ، ٥٠ ، ٩٧ ، ٢٨٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٥٥ / المثل الســائر جـ١ ص ٢٨٠ ، ٣٣٥ ، جـ٢ ص ١٦٩ ، ١٨٧ ،

[٢٨]

(طويل / متدارك)

١ - وإنَّ ابنَ سَلْمَى عِندَهُ فاعلَمُوا دَمِى   وهَيْـهاتَ لايُـرْجَى ابنُ سَلْمَى ولا دَمِى
٢ - يَظَلُّ يُمَـشّى بَيْنَ أَجْبـالِ طَيِّئٍ   مكـانَ الثُّـريَا ليسَ بالمُتَـهَـضَّمِ
٣ - رَمـانِى ولم يَدْهَـشْ بأزرَقَ لَهْـذَمٍ   عَـشِيَّـةَ حَلُّوا بَـيْنَ نَعْفٍ ومَـخْـرِمِ .

مأساتك يا عَنْتَرَةُ أن حياتك ضاعت هدراً ، لم يعترف بك منذ البدء - حين أعود بـالذاكرة إلى الوراء حـيث اللحظة الأولى - أبوك - عمـرو أو معـاوية أو شداد ، على اختلاف بين المصادر فى اسم الأب - ابناً شـرعياً له ، ولم تعترف بك بالتبعـية القبيلة كلها ، فنسبـوك إلى أمك ، ونشأت - يا ابن السوداء - بين العبيد .

ويمر الزمن ويضطر الأب - فى موقف أملته الحـاجة - إلى الاعتراف بك ، وتُمنح حرية منقوصة ؛ فتظل كلمة «يا ابن زبيـبة» - والسوداء ونحوهما - تتردد فى مسمـعيك ، ولايقسم لك من الغنائم - وأنت من أنت فى ميـادين القتال - غير النصف - شـأن الموالى - ويُحال بينك وبين عبلة ، فيُـزَجُّ بك إلى غيرها ، ويُزَجُّ بها إلى غـيرك ، ويسخـر آل عبلة منك - بل كانت هى الأخـرى على ما يبدو تسخر منك وتضحك حين تراك من رثـاثة هيئتك - ويفر أبوها وأخوها من

= ٣١٣ ، ٣٢١ / مختار الأغانى جـ٥ ص ٢٣٠ / المصون فى الأدب ص ١٧٠ / معجم الشعراء للمرزبانى ص ٦٩ / معجم الشعراء (عفـيف) ص ١٩٩ رقم ١٣٥٥ / معجم الشعراء فى لسان العـرب ص ٢٦٥ رقم ٩٣٧ / الملاحن ص ٨٠ / المنـازل والديار ص ٣٥١ / الموازنة جـ١ ص ٨٠ ، ١٠٤ ، ١١٤ ، ٢٤٧ ، ٣٧٩ ، ٤٣٣ ، ٥٥٤ / المؤتلف والمختلف ص ١٩٧ رقم ٤٩١ / موسوعة الشعر العربى جـ١ ص ٥١٩ / الموشى ص ٦٥ ، ١٢١ ، ٢٨٥ / نشوة الطرب ص ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٥٢٤ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٤٤ : ٥٥٠ ، ٨٠٣ / نقـد الشـعـر ص ١٧٨ ، ٢١٠ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٢٨ .

[٢٨] ديوانه (ط . صادر) ص ٦٨ / الأغانى (ط . الشعب) جـ٨ ص ٢٩٩١ / شعراء النصرانية فى الجـاهلية ص ٧٩٨ / مـختـار الأغـانى جـ٥ ص ٢٣٤ / المؤتلف والمخـتلف ص ١٢٤ / نوادر المخطوطات جـ٢ ص ٢٢٩ .

وجهك، ولايبقى لك غير الشعر تبثه شكواك ؛ فلا صديق - على الحقيقة - ولا حبيب ولا رفيق .

ويجيء الموت - وقد عمرت ما عمرت - فى بلد بعيد ، خلال غارة - لم يسعفك فيها السن وخانتك وأنت الشيخ الكبير كما وُصفت قواك - على بنى نبهان من طيئ ؛ فقد رآك وَزَر بن جابر النَّبهانى - وأنت تسوق طريدتك بين يديك وترتجز ببنى نبهان - فرماك - عن بعد ولم يستطع أن يلقاك وأنت فى سنك هذا وجهاً لوجه - فقطع مَطاك ، فتحاملت بالرمية حتى أتيت ديار قومك ، وقلت - وأنت مثخن بالجراح - فيما تبقى لك من عمر - سوف يحسب بالدقائق والساعات - هذه الأبيات .

هل كنت تخشى أن يضيع دمك هدراً - كما ضيعوك فى حياتك من قبل - فتركت هذه الوصية الحمراء ؟ وهل شغلك الثأر - وأنت تشك كثيراً فى أن أحداً من قومك سوف يثأر لك - عن الزوجة وعن الأبناء - إن كان ثمة أبناء - وغيرهما مما يحرص الآخرون على ذكرهم فى مثل تلك اللحظات ؟!

«إن» - حتى لايحتمل الكلام أى معنى من معانى الشك - «ابن سلمى» - وهم يعرفونه معرفة اليقين ، وقد نسبه إلى أمه دون أبيه لغلبة هذا النسب عليه أو احتقاراً له وتقليلاً من شانه وشأن أبيه - «عنده دمى» - ولايحتمل المعنى ههنا غير التقرير ، وقد قرر ما أراد تقريره فى كلمتين ، أضيفتا إلى ضميرين ؛ يشير أحدهما إليه والآخر إلى قاتله - وفصل بينهما بجملة «فاعلموا» - وهى جملة مباشرة تتكون من فعل وفاعل وأداة ربط تفيد التعقيب أو السرعة - وهى الجملة نفسها التى ترددت - وقد نوع فيها - فى مواضع أخرى كثيرة من شعره [1] ، حتى لتكاد تكون لازمة - كما توصلت إليه من قبل - من لوازمه الأسلوبية .

---

(١) نحو قوله فى معلقته :

- «أثنى علىَّ بما علمْتِ فإننى ... سَمْحٌ مُخالَقتى إذا لم أظْلَم» .
- «وإذا صَحَوتُ فما أُقصّرُ عن ندًى ... وكما علِمْتِ شمائلى وتكرُّمى» .
- «هلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إنْ كُنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمى» .
- «فبعثْتُ جاريَتى فقلتُ لها اذْهَبى ... فتجسَّسى أخبارَها لى واعْلَمى» .

وفى رواية - هى رواية ابن حبيب فى «أسمـاء المغتالين» - «فاطلبوا» ، لكن - وهو ما كان يدركه بل كان على يقين منه - «هيــهات» ؛ هيهات أن يسعى أحد - ولاتزال نظرتهم إليه نظرة السادة إلى العبـيد بعد كل ما صنع - للثأر له - ولم يكن قاتله غير شـخص عادى حتى وإن لقبه بعضهــم بالأسد الرهيص - وهيهات كذلك أن يرد الاعتبار لهذا الدم .

سوف يبقى قاتله - فيما يتـوقع - «يُمَشِّى» - وفى تضعيف الفعل ما قد يدل على الطمأنينة ونوع مـا من التباهى والخـيلاء - فى ديار قومه طيئ - بين الجـبال والشعاب - شامخ الأنف ، غير مُتَهَـضَّم - بصيغة اسم المفعول - لا يُمس بسوء - على الرغم مما فى عنقه من الدماء - ولا يُقتص منه بحال .

ويذكر -- فى البيت الأخير - كيف رماه - ولم يدهش فترتعش يداه وينحرف السهم - «بأزرق» - وهو من الألوان التى ترتبط لديهم بالشـؤم - «لهذم» - حاد قاطع - «عشيـة» - مع ما توحيه من الضبابية والظلمـة وتومئ إليه من الانتهاء - «حلوا بين نعف ومخرم» ؛ وهو تحديد دقيق للمكان ، كـتحديده السابق للشخص الذى قتله - وهو ابن سلمى - والطريقة التى قـتله بها - وهى الرمى - وما رماه به - أزرق لهذم - والوقت الذى رماه فيه .

وبرغم كل هذا التحديد - وإثارته للنخوة فيهم بطرق عدة ؛ من بينها وصف القاتل وهو يسير فى زهو بين أجبـال قبيلته متحصناً بحمايتهـا له وعدم استعدادها لتسليمه أو التخاذل عنه أنفةً وعزة ، ومنها كذلك السخرية ؛ فقد سخر كما رأيت على نحو واضح منهم ورماهم فى غير مواربة بأنهم سوف يسكتون عن الثأر له ، ولايسكت عن الثأر فى عرفهم غير الضـعيف أو الذليل أو الجبان ، وهو أقصى ما يرمى العربى الأصيل به - فـسوف تبقى كلمته التـى صرح بها منذ الوهلة الأولى «هيهـات» !! تتردد أصداؤها - بعد رحـيله عنهم - فى أسماعـهم - وكأنى بهم وهم يضعون أصابعهم فى آذانهم ويستغشون ثيابهم - وفى سمعى وسمعك - من بعدهم - وفى أسماع ما قد يجىء - بعدى وبعدك - من الزمان .

قس بن ساعدة الإيادى (*)

[٢٩]

(بسيط / متراكب)

١ - يا ناعِيَ المَوْتِ والأَمْواتُ فى جَدَثٍ　　عليهمُ من بَقايا بَزِّهِمْ خِرَقُ
٢ - دَعْهُمْ فإنَّ لهم يَوْماً يُصاحُ بهم　　كما يُنَبَّهُ من نَوْماتِهِ الصَّعِقُ
٣ - حَتَّى يَعُودُوا بحالٍ غَيْرِ حالِهُمُ　　خَلْقاً جَدِيداً كما من قَبْلِها خُلِقُوا
٤ - منهم عُراةٌ ومنهم فى ثِيابِهُمُ　　منها الجَدِيدُ ومنها المُنْهَجُ الخَلِقُ .

أورد ابن كثير هذه الأبيات بروايتين مختلفتين ؛ ذكر فى إحداهما - بسند طويل له يرفعه إلى ابن عباس - أنهم وجدوها مكتوبة فى صحيفة عند رأسه ، وصرح فى الثانية بأنها من إنشائه - وقد نَسَبَتْها إليه سائرُ المصادر دونما اختلاف - فلعله قد أملاها - أو كتبها بنفسه - قبيل الموت .

الموت - وما بعد الموت - كان أحد شواغله الرئيسة ؛ فلم يسلم - شأن غيره

(*) **ترجمته وأخباره** : أسد الغابة م٤ ص ٩٧ رقم ٤٢٩٣ / الإصابة م٥ ص ٤١٢ رقم ٧٣٥٥ / الأعلام م٥ ص ١٩٦ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٥٧٠ / الأمالى لأبى على القالى جـ٢ ص ٤٣ / البداية والنهاية م١ ص ٦٥٣ / البيان والتبيين جـ١ ص ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، جـ٢ ص ٢٦٩ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص ١٣٥ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١٧٣ / تجريد الأغانى ص ١٦٥٣ / التذكرة الفخرية ص ٣٧ / حماسة البحترى ٩٩ / الحماسة البصرية جـ١ ص ٢١٤ ، جـ٢ ص ٤٠٦ / الحماسة المغربية ص ١١٠١ / شرح الحماسة للمرزوقى ص ٨٧٥ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٢١١ / العقد الفريد جـ٢ ص ١٠١ ، ١٢٩ ، جـ٣ ص ٣٢٤ ، جـ ٨ ص ١٦ ، ٤٥ / مختار الأغانى جـ٦ ص ٢٢٣ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٢١٤ رقم ١٤٦٤ / معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٩٩ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٢٨٠ رقم ١٠١٢ / المعمرون والوصايا ص ٦٩ / نشوة الطرب ص ٦٦٨ / نوادر المخطوطات جـ١ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٣٢٧ .

[٢٩] البداية والنهاية م١ ص ٦٦٠ / الإصابة م٥ ص ٤١٣ / معجم الشعراء ص ٢٠٠ . ومن المصادر الحديثة : شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

من الحنفاء وقد عده بعض الدارسين فيهم ، وأهل الكتاب وقد اعتبره آخرون نصرانياً وترجم له لويس شيخو فى شعرائها - بأن الحياة إلى فناء - كما كان يظن أكثر أهل بيئته وعصره - وآمن بالبعث - كما يتضح من الأبيات - وبالآخرة ؛ أليس هو القائل من قبل - فيما شاعت به الأخبار واستمع النبى إليه فقال فيما يروى عنه : « يَرْحَمُ اللهُ قُسّاً ، إنّى لأرْجُو أنْ يُبْعَثَ يَوْمَ القيامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ» - :

« فى الذَّاهِبِينَ الأوَّلِيـ ... ـنَ مِن القُرُونِ لنا بَصائرْ
لَمّا رَأيْتُ مَوارِداً ... للمَوْتِ ليسَ لها مَصادِرْ
ورأيْتُ قَوْمِى نَحْوَها ... يَمْضِى الأصاغِرُ والأكابِرْ
لا يَرْجِعُ الماضِى ولا ... يَبْقَى مِن الباقِينَ غابِرْ
أيْقَنْتُ أنّى لا مَحا ... لَةَ حيثُ صارَ القَوْمُ صائِرْ»(1)؟

ألم يعتزل - فيما حَدَّثَ به قومه - الناس ، وينقطع على ظهر جبل - مع الوحوش والسباع - يعبد الله وينتظر الموت ؟ يقول رجل من عبد القيس - فى وفادته على النبى - : « خرجتُ فى شبيبتى أربع بعيراً لى نَدَّ عنى ، أقفو أثره فى تنائف قفاف ... إذا أنا بهضبة ... وشجرة عارمة ، وإذا أنا بقس بن ساعدة فى أصل تلك الشجرة وبيده قضيب ، فدنوت منه وقلت له : أنعم صباحاً . فقال : وأنت فنعم صباحك . وقد وردت العين سباع كثيرة ، فكان كلما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذى بيده ، وقال : اصبر حتى يشرب الذى قبلك . فذعرت من ذلك ذعراً شديداً ، ونظر إلىَّ فقال: لاتخف . وإذا بقبرين بينهما مسجد ، فقلت : ما هذان القبران ؟ قال : قبرا

(1) الأغانى (ط . الشعب) جـ15 ص 5572 / البداية والنهاية م1 ص 658 ، 661 / البيان والتبيين جـ1 ص 309 / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ1 ص 173 / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص 213 .

أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع ، فأنا مقيم بين قبريهما ، أعبد الله حتى ألحق بهما»(٢) .

في تلك العزلة - حيث يعيش منفرداً بين القبور - يسمع قس - صباح مساء - بروحه وقلبه - لا مسمعيه - ناعي الموتى ، ويرى الأموات - بحدسه - داخل الأجداث ، في خرقهم البالية وبقايا الأكفان ، فيهيب بذلك الناعي أن يتركهم وما هم عليه - في ثباتهم العميق - حتى يصيح بهم في غد - وما أقرب اليوم من الغد - صائح البعث - ويُنفخ في الصور - فينتبهوا - كما ينتبه الصَّعِقُ من النوم - ويعودوا - كما خُلِقُوا أول مرة - خلقاً جديداً - فما بعزيز على الله أن يعيد الخلق ، وليس غريباً أن يبعث من في القبور - وكأني به وهو يراهم - في ساحة الحشر - منهم عراة - وهو ما أكده فيما بعد نبي الإسلام - ومنهم - وهو ما قد نختلف معه عليه - في ثياب ، بعضها خلق منهج - وهم من مر على موتهم زمن بعيد - وبعضها - وهم من ماتوا على ما يظن قبل البعث بيسير - جديد ، لم يفقد بعد جدته .

ولعلك لاحظت معي أن الموت قد استولى على مشاعره ، فشغله عن الدنيا وما فيها ، ولم يعد يرى معه إلا ما قد يكون وراءه من بعث وحياة أخرى بعد البعث ، والموت الذي يعنيه هو الموت على الإطلاق - قضية عامة يتأملها كالحكماء من زاوية العقل - لا موته هو وحده وما قد يخلفه - كما كنا نرى عند غيره - من آثار ، وهو من القلائل الذين لم تشغلهم أنفسهم - فنشغل بها تبعاً - وهو يواجه - دونما جزع أو خوف - شبح الموت .

---

(٢) البداية والنهاية م١ ص ٦٥٨ ، ٦٥٩ . وانظر : الأغاني (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٥٥٧٢ والإصابة م٥ ص ٤١٤ .

لقيط بن زرارة التميمى (*)

[٣٠]

(رجز / متواتر)

١ - يا لَيْتَ شِعْرى عنك دَخْتَنُوسُ
٢ - إذا أتاها الخَبَرُ المَرْمُوسُ
٣ - أتَحْلِقُ القُرُونَ أمْ تَمِيسُ
٤ - لا بلْ تَمِيسُ إنَّها عَرُوسُ .

سقط معبد بن زرارة - أخو لقيط - يوم الرحرحان الثانى (١) فى يد بنى

(*) **ترجمته وأخباره** : أسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٦٤ / الاشتقاق ص ٢٣٥ / الأعلام م٥ ص ٢٤٤ / أعلام تميم ص ٤٦٢ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١١ ص ٣٩١٤ ، ٣٩١٥ ، ٣٩١٩ ، ٣٩٢٠ ، ٣٩٢٦ : ٣٩٣١ / أمالى ابن الشجرى جـ١ ص ٩٧ / الأمالى لأبى على القالى جـ٢ ص ٣٣١ / أمالى المرتضى جـ١ ص ١٨٦ ، جـ٢ ص ٦٦ / البرصان والعرجان جـ٢ ص ٥٢٨، ٥٥٨ / البيان والتبيين جـ٢ ص ١٧٠ ، جـ٣ ص ٢٢٠ / تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ ص ١٧٤ / ديوان الأدب جـ٢ ص ٢٩ ، ٩٣ / شرح اختيارات المفضل ص ٣٤٤ ، ١٦٣١ / الشعر والشعراء م٢ ص ٧١٠ ، ٧١١ / طبقات فحول الشعراء م١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ / العقد الفريد جـ٦ ص ٦ : ١٠ ، جـ٧ ص ٧٨، ٧٩ / عيون الأخبار جـ٤ ص ١٧ / الفاخر ص ٦٦ ، ٦٧ / فصل المقال ص ٩٣ ، ١٧٠ ، ٢٩٩ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٦٣ : ٤٦٥ / مجاز القرآن جـ ١ ص ٤٠٤ / محاضرات الأدباء جـ١ ص ٤٢٣ / المزهر جـ١ ص ١٢٤ / المستقصى جـ١ ص ١٧٩ / معجم الشعراء (عفيف) ص ٢٣٠ رقم ١٥٦٩ / معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٨ / معجم الشعراء فى لسان العرب ص ٣٠٦ رقم ١٠٨٧ / المنازل والديار ص ١٧٣ / المؤتلف والمختلف ص ٢٣١ رقم ٥٩٥ / موسوعة الشعر العربى جـ٤ ص ٤٦٩ / نشوة الطرب ص ٢١٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٦٠ .

[٣٠] الأغانى (ط . الشعب) جـ١١ ص ٣٩٣٠ / الشعر والشعراء م٢ ص ٧١٠ ، ٧١١ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٦٤ / لسان العرب (رمس) .

(١) انظر خبر هذا اليوم فى : أيام العرب لأبى عبيدة ص ١٢٧ : ١٤٠ / الأغانى (ط . الشعب) جـ١٥ ص ٣٩١٠ : ٣٩١٦ / سبائك الذهب ص ١١١ ، ١١٢ / العقد الفريد جـ٦ ص ٦ : ٨ / العمدة جـ٢ ص ٢٠٩ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٤٠ : ٤٤٨ .

عامـر بن صعصعـة ، ورحل لقيط - بعد أن وضـعت الحرب أوزارها - إلى بنى عامر يَفْـتَكُّ أخاه - وعرض - فِدْيَةً له - مـائتى بعير - أى ضعف مـا يُفتدى به الأسير - لكن بنى عامر أبت أن تأخذ فيـه إلا ما يعادل فدية ملك - ألف بعير - ورفض لقيط - مـتذرعاً بأن أباه كان قـد نهاه عن الغلو فى الفداء كى لايصـيروا مطمـعاً لغـيرهم من العـرب - وعاد من حـيث أتى - فى رجب الأصم - وظل معبـد فى أسره ؛ يتعرض لما يتـعرض له من التعذيب ، ويُحـال بينه وبين الطعام والشراب حيناً ويُضْرِب هو عنهما حيناً آخر ، حتى مات - فيما يقال - من الجوع والعطش .

ويمضى الزمن ، ويعبئ لقيط بـنى تميم - ومعها أسد وغطفان وغـيرهما - ويستعد للقاء بنى عامـر - ومعها عبس - وتدور الدائرة - فى يوم من أعظم أيام العرب قبل الإسلام ؛ هو يوم (شِعْب جَبَلَة) (٢) - على تميم وحلفائها ، ويُطعن لقيـط فى مقتل ؛ حـمل عليه - وقـد انحط الجرف بفـرسه بعـد أن قاتل قـتال الأبطال- «عنتـرة ، فطعنه طعنة قصم بهـا صلبه ، وضربه قـيس بالسيف فـألقاه متشحطاً فى دمه» ، على ما جاء فى الكامل لابن الأثير (٣) .

وأشك كثيراً فـيما زعمه ابن الأثير ؛ لأن عنترة - وشعـره منشور محقق - لم يذكره فى قتلاه ، وقد أشار إلى هذا اليـوم أكثر من مرة ، وفى قتله للقيط - لو كان قتله فعلاً أو شارك حتى فى القتل - مـجال فخر كبير لايقل عن فخره - ولقيط هو من هو - بقتله لآخرين كابنى ضمضم .

وفى الأغانى : «فضرب لقيط فرسه ، وأقحمه عليه الجرف ، فطعنه شريح»

---

(٢) انظر خبر هذا اليوم فى : الأغـانى (ط . الشعب) جـ١١ ص ٣٩١٧ : ٣٩٤٩ / سبائك الذهب ص ١١٠ ، ١١١ / العقد الفريد جـ٦ ص ٨ : ١١ / العمدة جـ٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ / الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٦٣ : ٤٦٥ .

(٣) م ١ ص ٤١٤ .

- يعنى شريح بن الأحوص وكان بإزائه يتربص به - «فسقط . وقد اختلفوا فى ذلك ، فذكروا أن الذى طعنه جزء بن خالد بن جعفر ، وبنو عقيل تزعم أن عوف بن المنتفق العقيلى قتله يومئذ . . . وأما العلماء فلا يشكون أن شريحاً قتله، وارتث وبه طعنات - والارتثاث أن يُحمل وهو مجروح ، فإن حمل ميتاً فليس بمرتث - فبقى يوماً ثم مات . فجعل لقيط يقول عند موته : . .» (٤) .
ثم أورد الأبيات .

وسواء كان قاتله شريحاً - وهو ما أميل إليه - أو غيره فقد قيل النص على ما صرحت به مصادره - كالأغانى والكامل فى التاريخ - بعد سقوطه - فى تلك المعركة - إثر تعرضه للطعن . ولم تكن طعنة واحدة ، وإنما هى - كما وُصِفَتْ - «طعنات» ؛ ارتث منها - بضع ساعات - ثم وافاه الموت . فما الذى كان يشغله فى تلك الساعات القليلة ؟ دَخْتَنُوس ابنته ؛ ماذا سوف تصنع بعده ؟ وهل ستظل تذكره كما يذكرها هو الآن ؟ أم سوف - وتلك طبيعة الدنيا - تسلو عنه وتنساه ؟! وماذا حين يأتيها الخبر المشئوم ؟ هل تحلق الشعر وتخمش - كما جاء فى رواية أخرى - الخدين - حزناً عليه - وتشق الجيب وتبكى حتى يخنقها البكاء، أم تميس - تتبختر وتميل - غير عابئة بما قد حل به ؟!

وهل يُعقل - وهى من هى بالنسبة له - أن تميس - ويختزل بهذه الكلمة سطوراً طويلة يعرفها من له أدنى دراية بطبيعة النساء - فى حال كتلك الحال ؟ هل ينعدم إلى هذا الحد الوفاء ؟! كنت أتوقع أن ينفى عنها ذلك - بل أعجب كيف خطرت على ذهنه تلك الفكرة السوداء التى تدمغ ابنته بالخيانة وتدينها بشكل مباشر حتى لو برر فعلها بحداثة السن وكونها كما يقول عروس - ويثبت لها ما هى جديرة به - وهى ابنته ، وكان يربطه بها ما يربطه من المودة والتقدير المتبادل والاحترام ، فضلاً عما يمليه عليها صلات الرحم أو الدم - مما أشار إليه

(٤) الأغانى (ط . الشعب) جـ١١ ص ٣٩٣٠ .

بدايةً - وكأنه يغريها به - من مظاهر الحزن والأسى ؛ كحلق الشعر - على ما تعارف عليه الجاهليون - ونحوه ، هذا أقل ما ينبغي - أو كنت أتوقع منها - أن تفعله ، لكن الشاعر يفجؤنا بـ «لا» و«بل» ؛ لن تحلق قرناً - أو قُلْ لن تحزن أبداً - بل سوف تميس ؛ سوف تلهو - كأن شيئاً لم يكن - وتعيش - كما نقول الآن - حياتها ؛ لأنها - وغريب أمرك يا لقيط وأنت تلتمس لها فى موقفك هذا العذر - «عروس» ، وليس من شأن العروس أن تكدر صفو حياتها بالحزن .

أظن - بل قد أكون على يقين - أن حب لقيط لابنته - وهو حب قد يزيد عن الحد - هو الذى دفعه إلى أن يتخيل ما يتخيل ويقول عنها ما يقول ، ولم تكن دختنوس على هذا النحو من القسوة ؛ وارجع - إن شئت - إلى ما قالته فيه من رثاء لتتأكد مما أقول ؛ أليست هى القائلة - فى معرض تأبينها له - :

عَثَرَ الأَغَرُّ بخَيْرِ خِنْـ ... ـدِفَ كَهْلِها وشَبَابِها
وأضَرِّها لعَدُوِّها ... وأفَكِّها لرقابِها
وقَرِيعِها ونَجِيبِها ... فى المُطْبِقاتِ ونابِها
ورَئِيسِها عِنْدَ المُلُو ... كِ وزَيْنِ يَوْمِ خِطابِها
وأتَمِّها نَسَباً إذا ... رَجَعَتْ إلى أنسابِها

. . . إلى آخر الأبيات (٥) ؟ والقائلة كذلك فيه - من أخرى - :

ألا يا لَها الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكَى ... لضَرْبِ بَنِى عَبْسٍ لَقِيطاً وقد قَضَى
لَقَدْ ضَرَبُوا وَجْهاً عليه مَهابَةٌ ... وما تَحْفِلُ الصُّمُّ الجَنادِلُ مَنْ رَدَى
فلو أنَّكم كُنْتُمْ غَداةَ لَقِيتُمُ ... لَقِيطاً صَبَرْتُمْ للأسِنَّةِ والقَنا
عُذِرْتُمْ ولكنْ كنتمُ مِثْلَ خُضَّبٍ ... أصابَ لها القَنَّاصُ من جانبِ الشَّرَى
فما ثَأرُهُ فيكم ولكنَّ ثَأرَهُ ... شُرَيْحٌ وأرْدَتْهُ الأسِنَّةُ إذْ هَوَى
فإنْ تُعْقِبِ الأيَّامُ من عامرٍ يكُنْ ... عليهم حَرِيقاً لا يُرامُ إذا سَمَا

(٥) الكامل فى التاريخ جـ١ ص ٤٦٥ .

لَيَجْزِيَهـم بالقَتْـلِ قَتْـلاً مُضَعَّفـاً وما فى دِماءِ الحُمْسِ يا مالِ مِنْ بَوا (٦)

وكان بنو عبس - كما يقول أبو الفرج - «يضربونه وهو ميت» . وحين أعود إلى الأخبـار ، أقرأ - وتقـرأ معى - أنه « لم يكن له غـيرها»(٧)، وقد سـماها دختنوس - وهو اسم فارسى - تيمناً بها (٨) ، «وكان يغزو بها معه ويرجع إلى رأيها»(٩) .

وقرأت فى الكامل لابن الأثير خبراً غريبـاً يذكر أن المجوسية «كان يدين بها بعض العرب بالبحرين ، وكان زرارة بن عدس ، وابناه حاجب ولقيط ، والأقرع ابن حابس ، وغيرهم ، مجوساً ، وأن لقيطاً تزوج ابنته دختنوس ، وسماها بهذا الاسم الفـارسى ، وأنه قُـتل وهى تحتـه فـقال فى ذلك : يالـيت شعـرى عنك دختنوس . . . الأبيات » (١٠) .

ووجه الغرابة - ولم أجد هذا الخبر فى مصـدر آخر غير الكامل فيما اطلعت عليه - أن دختـنوس كانت تحت عمرو بن عـمرو بن عدس (١١) ، وقد أسر فى هذا اليـوم وفُدِى - بعـد أن وضعت الحـرب أوزارها - بمائتين من الإبل (١٢) ، وكانت قبله - أو بعده - تحت عـمير بن معبد بن زرارة ومات عنهـا فرثته ببعض

---

(٦) الأغانى (ط . الـشعب) جـ١١ ص ٣٩٣١ . وانظر كـذلك قصـيدتهـا البائيـة فى المصدر نفـسه والصحيفة .

(٧) الشعر والشعراء م١ ص ٧١٠ .

(٨) الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٦٥ .

(٩) المصدر نفسه ص ٤٦٣ .

(١٠) المصدر نفسه م١ ص ٤٦٥ .

(١١) الأغانى (ط . الشعب) جـ١١ ص ٣٩٣٠ .

(١٢) الكامل فى التاريخ م١ ص ٤٦٤ .

شعرها [13] . وقال ابن الأثير - هو نفسه - بعد أن أورد الخبر المذكور - معلقاً: «والأول أصح والله أعلم» . يعنى ما جاء فى الرواية الأولى ، وليس فيها مسألة الزواج هذه - أعنى زواج لقيط من ابنته كما يفعل المجوس - وإنما نص فيها على أنها - كما أشرت - كانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس وهو ممن شارك فى أحداث هذا اليوم .

---

(١٣) الشعروالشعراء م١ ص ٧١١ .

مالك بن فهم الأزدي (*)

[٣١]

(طويل / متواتر)

١ - ألا مَنْ مُبْلِغٌ أبْناءَ فَهْمٍ ... مُغَلْغَلَةً عن الرَّجُلِ اليَماني
٢ - وبَلِّغْ مُنْهِباً وابْنَىْ خُنَيْسٍ ... وسَعْدَ اللاَّت والحَىَّ المدانِ
٣ - تَحِيَّةَ نازِحٍ أمْسَى هَواهُ ... بجِنْحِ البَحْرِ من أرْضَىْ عُمانِ
٤ - فَحلُّوا بالسَّراةِ وحَلَّ أهْلِى ... بأرْضِ عُمانَ فى صَرْفِ الزَّمانِ
٥ - وبالعرنينِ كُنَّا أهْلَ عِزٍّ ... مَلَكْنا بَرْبَراً وقُرَى معانِ
٦ - جَنَبْنا الخَيْلَ من بَرْهُوتَ شُعْثاً ... إلى قَلْهاتَ من شَرْقِى عُمانِ
٧ - جَزاهُ اللهُ من وَلَدٍ جَزاءً ... سُلَيْمَةَ إنَّه شَراً جَزانِى
٨ - أُعَلِّمُهُ الرِّمايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فلَمَّا اشْتَدَّ ساعِدُهُ رَمانِى
٩ - فلا ظَفِرَتْ يَداهُ حينَ يَرْمِى ... وشُلَّتْ منه حامِلَةُ البَنانِ
١٠ - فبكُّوا يا بَنِىَّ عَلَىَّ حَوْلاً ... ورَثُّونِى وجازُوا مَنْ رَمانِى .

يرجع تاريخ هذا النص - إن صح نسبته إلى مالكِ بن فَهْمٍ الأزْدِىِّ - إلى القرن الثالث الميلادى ، وهو مما قد يثير الشك فيه بدايةً - إضافةً إلى عوامل

(*) ترجمته وأخباره :الأعلام م٥ ص ٢٦٥ / الإنساب للعوتبى جـ٢ص١٨١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٧٥، ٢٧٨ / تاريخ سنى ملوك الأرض ص٧٥/ تاريخ الطبرى جـ١ص٦١٠: ٦١٢ / تاريخ الموصل ص ٩٦: ١٠٠ / جمهرة أنساب العرب ص٣٧٩/ شعراء عمان فى الجاهلية وصدر الإسلام ص٢٩/ العرب قبل الإسلام ص١٩٥/ فصل المقال ص٤٢٠، ٤٢١/ مجمع الأمثال جـ٣ ص١٣٠/ المعارف ص ٦٤٥/ معجم الشعراء فى لسان العرب ص٣١٠ رقم ١١٠٧/ معجم ما استعجم ص ٤٧٩ / المناقب المزيدية جـ١ص٩٤، ٩٥/ نسب معد واليمن ص٤٨٧.

[٣١] تاريخ الموصل ص٩٩، ١٠٠وقد اعتمدت روايته/ الأمثال لأبى عبيد ص٢٩٦/ الأنساب للعوتبى ص٢١٠ / تاريخ سنى ملوك الأرض ص ٧٥ / شعراء عمان ص ٣٥ ، ٨٣ : ٨٧ / لسان العرب (سدد) / مجمع الأمثال جـ٣ ص١٣٠ . والبيت الثامن منفرداً فى : الاشتقاق ص٤٥٧، ٥٤٣ وفصل المقال ص٤٢٠.

أخرى كالطول النسبى ؛ وقد وصل فى بعض مصادره إلى اثنين وأربعين بيتاً - مع اكتماله الفنى - فى تلك الحقبة المتقدمة - وعدم اختلافه لغةً - مع افتراض كونه لواحد من شعراء الجنوب - عما نعهده فى شعر الحقبة المتأخرة مما تعارف الدارسون على تسميته بـ «العصر الجاهلى» ؛ حين أتيح للهجات العربية أن تتقارب بفعل عوامل متعددة - يشير إليها اللغويون - ويزول - أو يكاد - ما بينها من اختلاف ، بل لايكاد هذا النص يختلف - من الناحية اللغوية أيضاً - عن غيره من النصوص التى قيلت بعد ظهور الإسلام ، فهل كانت لغة هؤلاء القوم - وقد نبه إليه ابن سلام [1] - كلغتنا التى تحدث بها أسلافنا قبيل ظهور الإسلام - ناهيك عما قد يكون بين الجنوب والشمال أو القحطانية والعدنانية من اختلاف - وكيف وصل هذا النص - على صورته - وأتيح له البقاء - مع افتراض صحة نسبته جدلاً إلى القرن الثالث الميلادى ، وهو القرن الذى عاش فيه مالك بن فهم- حتى مرحلة التدوين ؟!

وقد نُسب بعضه - وهو ما ينبغى الالتفات إليه كذلك ونحن بصدد التوثيق- إلى شاعرين آخرين ؛ أحدهما مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنِىّ - وهو شاعر مخضرم - والثانى عُقَيْلُ بن عُلَّفَةَ - وهو من شعراء العصر الأموى - جاء فى اللسان - وقد أورد ابن منظور بيتاً منه - : « قال ابن بَرِّىّ : هذا البيت يُنسب إلى مَعْن بن أَوْس، قاله فى ابن أخت له . وقال ابن دُرَيْد : هو لمالك بن فَهْم الأَزْدِىّ ، وكان اسم ابنه سُلَيْمَة ، رماه بسهم فقتله فقال البيت . قال ابن بَرِّىّ : ورأيته فى شعر عُقَيْلِ بن عُلَّفَةَ يقوله فى ابنه عُمَلَّسٍ حين رماه بسهم»[2] .

ومع إمكانية أن يكون البيت لأحد هذين الشاعرين - أو كليهما معاً - ضَمَّنَهُ فى شعره حين تشابهت الظروف - والتضمين لدى القدامى شائع معروف - إلا أن

(١) طبقات فحول الشعراء م١ ص١٠،١١ .

(٢) اللسان (سدد) .

الشك يظل - برغم هذا - يحيط بصحة نسبته إلى مالك بن فهم ، وإن نسبه إليه رواة ثقاة كابن دريد .

وبدلك على هذا أيضاً - غير ما قدمت - تلك النعرة القبلية - فيما ثبته غيرى ، ورأيت حذفه أولى فلم أثبته له - والتعصب - بصورة غير مباشرة - لليمنية ، وتداوله فى كتب معينة ينتمى أصحابها - من الناحية العرقية - للجنوب - أكتفى ههنا بالإشارة إلى «تاريخ الموصل» وهو ليزيد بن محمد الأزدى من القدامى ، و«شعراء عمان» وهو لأحمد محمد عبيد من المحدثين - مع إعراض مصادرنا الأدبية الأصيلة عنه ، اللهم إلا بعضه - أعنى قوله : « أعلمه الرماية . . » - وقد نسب - كما رأيت - إلى غيره كما نُسب إليه .

وقد عمد أحمد محمد عبيد - فى جمعه لشعراء عمان ممن عاشوا فى الجاهلية وصدر الإسلام ومحاولته تحقيق ما نسب إليهم من شعر - إلى ضم ما جاء - كل ما جاء - فى المصادر المختلفة - من أبيات هذا النص - إلى بعضه بعضاً ، فأخرج لنا قصيدة لاتخلو - فى رأيى - من التلفيق [٣] ، ورأيت - وهو ما قد تتفق معى فيه - الاكتفاء برواية واحدة ، قد تكون أوثقها من الناحية العلمية؛ لقدم صاحبها - وهو ينتمى إلى القرن الرابع الهجرى حيث توفى سنة

---

(٣)يدلك على هذا من بعض الوجوه الأبيات الثلاثة الآتية :

«أُعَلِّمُهُ الرِّمايَةَ كُلَّ يَومٍ فلمَّا استَدَّ ساعِدُهُ رَمَانِى
رَمَى عَيْنِى بسَهْمٍ أشْقَذِىٍّ حَدِيدٍ شَفْرَتاهُ لِهِذْمانِ
فلا ظَفِرَتْ يَداهُ حينَ يَرْمِى وشُلَّتْ منه حامِلَةُ البَنانِ» .

فهى - كما ترى - متماسكة من ناحية المعنى - وكذا جاءت فى أمثال أبى عبيد ؛ لكنها - فى ترتيبه هو للنص تأخذ الأرقام (٣٥،٣٨،٤١) لأنه ضم إليها - دون مراعاة للمعنى ولا كذلك للخيط النفسى الذى يربط بينها - ما وجده فى مصادر أخرى كالأنساب للعوتبى ، فوصل النص لديه - بعد عملية التلفيق هذه - إلى اثنين وأربعين بيتاً لا يجمع بينها - مع هذا الطول النسبى - خيط واحد ، وتفتقد إلى التماسك - أزعم - والانسجام .

٣٣٤ هـ - ومعرفته الدقيقة - وهو مما يُفترض ضمناً - بشعراء الأزد - وفيهم شاعرنا مالك بن فهم - لانتمائه إلى القبيلة نفسها واهتمامه بتاريخها ؛ هي رواية يزيد بن محمد الأزدي في كتابه «تاريخ الموصل» - وقد حُقِّقَ هذا الكتاب تحقيقاً علمياً في الثلث الأخير من القرن العشرين - مع الإفادة - بطبيعة الحال - من باقي الروايات ، دون انسياق تام لها ، أو إثبات كل ما جاء بها ، على نحو ما صنع - وله فضل المحاولة - الباحث المذكور .

أراد مالك - بعد أن تُوِّجَ ملكاً - اختبار يقظة ابنه سليمى ومدى احترازه بالليل - وكان قد علمه الرماية حتى أتقنها وعهد إليه وإلى إخوته أمر حراسته - فتسلل - فيمن معه - إلى المكان الذي يكمن فيه ، وأحس سليمى - وكان الظلام يغطي المكان - بوقع أخفاف الإبل ، فرمى سهماً نحوهم - وهو يظنهم اللصوص - فأصاب السهم قلب أبيه - وكان كما قيل في مقدمة المتسللين - فقتله ، ولما علم أنه قد قتل - دونما قصد منه - أباه خشي إخوته ففر هارباً إلى بلاد الفرس ، وقال - فيما يشبه الاعتذار - :

«إنّي رَمَيْتُ بغَيْرِ ثائرَةٍ ... بَيْتَ المكارمِ من بَني غَنْمِ
ما كنتُ فيما كنتَ تَعْلَمُهُ ... مَنْ قد أحاطَتْ من ذَوِي الفَهْمِ
ولقد رَمَيْتُ الرَّكْبَ إذ عَرَضُوا ... بينَ التُّلَيْلِ فرَوْضَةِ النَّجْمِ
فرَمَيْتُ حامِيَهُمْ بلا عِلْمٍ ... أنَّ ابنَ فَهْمٍ مالِكاً أرْمي
فَوَدِدْتُ لو نَفَعَ المُنَى أحَداً ... أنّي هناكَ أصابَني سَهْمي»[٤] .

لكن الأمر - من وجهة نظر أخرى - لم يكن - كما يحاول أن يوهمنا الابن- على هذا النحو ، وإلا فكيف نفسر - كما يتبدى من النص - غضب الأب عليه ، ورميه له بالعقوق صراحة - على الشر الذي جازاه به - والتوجه إلى

---

(٤) تاريخ الموصل ص١٠٠ . شعراء عمان في الجاهلية وصدر الإسلام ص٥٣ .

الله بالدعاء أن يصـيبه من جنس ما قام به ، وأن يشل منه اليـد - حاملة البنان - فيعجز عن الانتفاع بها أبداً ، وإصدار الأمر - فى شكل وصية - إلى سائر الأبناء أن ينتقموا له منه (٥) ؟!

«ألا» - وقد مرت بنا كثيراً فى الافتتاح - مَنْ يحمل عنه رسالته الأخيرة إلى أبناء فهم - آله - وغـيرهم من العشـائر والبطون ؛ «منهب» - وقد صـحفت إلى منهـد فى تاريخ الموصل وصحـحتـها عن غيـره من المصادر والأصـول - و«ابنى خنيس» - أو ابنى بشـير كما جـاءت كذلك فى تاريخ الموصل - و«سـعد اللات» و«الحى» - مع ما يربطهـا فى أعماقه إن تجـاوزنا ظاهر اللفظ بالحياة التى تتـسرب الآن من بين يديه - المدان ، وأظنه يشيـر إلى بنى عبد المدان - وهم ينتـمون إلى بنى الحرث بن كعب ، وبنو الحرث من مذحج ومذحج والأزد فرعان من كهلان - من يبلغ عنه التحية - إلى هؤلاء وأولئك - تحية نازح - وهو فيمن نزح كما يقول التاريخ - من اليمن إلى عمان ثم إلى العـراق حيث أقام مملكته - غريب ، لايزال قلبه معلقاً بوطنه القديم ؟

لقد حل قومـه من الأزد - بعد تحطم سد مأرب - بالسـراة ، وحل - فيمن حل من أهله - بأرض عمان ، وعـدا الزمان بصرفه فتفـرق بهم المكان . وتشتعل الذاكرة فيتراءى له «العرنين» ، وكيف كانوا «أهل عز» فيه ؛ ملكوا - فيما يزعم - البربر وفرضوا سيطرتهم على «قرى مـعان» ، ويومض - أمام عينيه - رحيلهم - فى الزمن القديم - من «برهوت» إلى «قلهات» - وقـد صحفت هى الأخرى إلى «تلهاب» فى رواية الأزدى - فى الجزء الشرقى - كما يقول - من عمان ، ويتذكر - وكان يقود قـومه - الأمر الذى أصدره بتـجنيب الخيل وامتطاء الإبل اسـتعداداً لتلك الرحلة الشاقة الطويلة .

ثم ينتقل بنا فجأة إلى الآن - وما أدراك ما الآن - حيث يواجه واقعه الأليم،

---

(٥) شعراء عمان فى الجاهلية وصدر الإسلام ص٣٥.

فيدعو على ابنه - الذى ساقه إلى هذا المصير - ويطلب من باقى الأبناء البكاء عليه حولاً - وهو أقل ما ينبغى - والرثاء - وقد رثاه هناءة ابنه[٦] ، ورثاه سليمى كذلك فيمن رثاه [٧] - ثم - وهو الأهم - تعقب قاتله ومجازاته على ما اقترفت يداه .

لقد رحل مالك وبقى قوله - إن صح نسبته إليه - :

أُعَلِّمُـهُ الرِّمـايَةَ كُـلَّ يَـوْمٍ　　　فلَمَّا اسْتَدَّ ساعِـدُهُ رَمـانى

يتردد - من بعده - فى سمع الزمان ، وقد رواه بعضهم «اشتد» بالمعجمة ؛ « قال الأصمعى : اشتد ، بالشين المعجمة ، ليس بشىء» وإنما هى استد ؛ من «اسْتَدَّ الشىء إذا استقام » والسداد فى الكلام الإصابة «وكذلك فى الرمى . يقال : سَدَّ السهمُ يَسِدُّ إذا استقام ، وسَدَّدْتُهُ تَسْدِيداً»[٨] .

وعلى هذا البيت - وقد ضمنه آخرون فى شعرهم - قاس غيره ؛ فقيل :

«أُعَلِّمُهُ الفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ　　　فلَمَّا طَرَّ شارِبُهُ جَفانى» .

وقيل كذلك :

«وكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوافِى　　　فلَمَّا قالَ قافِيَـةً هَجـانى» .

وقد نُسبا إليه فى «شعراء عمان» وأثبتهما محققه ضمن القصيدة الملفقة ، ولا علاقة لهما - فيما أزعم - بالنص ، وإن أوردهما الميدانى - مع بيتين آخرين ، أحدهما البيت السابع - فى «مجمع الأمثال» [٩] .

---

(٦) شعراء عمان فى الجاهلية وصدر الإسلام ص٩٠ .
(٧) المصدر نفسه ص٥٠ .
(٨) اللسان (سدد) .
(٩) جـ٣ ص١٣٠ .

مرة بن سفيان التميمى (*)

[٣٢]

(رجز / مترادف)

١ - الشَّـــيْخُ شَـــيْخٌ ثَـكْلانْ
٢ - والجَـــوْفُ جَـــوْفٌ حَــرَّانْ
٣ - والوِرْدُ وِرْدٌ عَـــجْـــلانْ
٤ - أنْعَى مُـــرَّةَ بنَ سُـــفْـــيَـــانْ .

اختلفت المصادر فى نسبة هذا النص بين مُرَّةَ وأبيه - سُفْيان بن مُجاشع بن دارم التميمى - فهو فى «شعر الأخطل» - عن هشام الكلبى - وشرح المفضليات والنقائض لمُرَّةَ ، وفى الأغانى والاشتقاق لأبيه .

فى يوم «الكُلاب الأول»[١] قُتِلَ مرة بن سفيان ؛ قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبى ربيعة الشيبانى ، «فقال مرة بن سفيان يومئذ يرتجز وهو يجود بنفسه : الشيخ شيخ ثكلان . .» [٢] . إلى آخر الأبيات . فهو إذن - مع افتراض صحة نسبته إلى مرة وزحزحته عن أبيه - من شعر النزع الأخير ، أو مما قيل - كما يقول الكلبى - «وهو يجود بنفسه» قبيل الموت .

(*) أخباره :الاشتقاق ص٢٣٨/ الأعلام م٧ ص ٢٠٥ / الأغانى (ط٠الشعب)جـ١٢ص ٤٣٧٦/ شرح المفضليات ص ٤٢٨ / شعر الأخطل ص٩٥/ نقائض جريروالفرزدق ص٤٥٣٠

[٣٢] الاشتقاق ص٢٣٨/ الأغانى (ط٠الشعب)جـ١٢ ص٤٣٧٦/ شرح المفضليات ص ٤٢٨/ شعر الأخطل ص٩٥/ نقائض جرير والفرزدق ص٤٥٣٠

(١) انظر خبر هذا اليوم فى : الأغانى (ط٠الشعب)جـ١٢ ص٤٣٧٥/ أيام العرب لأبى عبيدة ص ٤٥ / شرح المفضليات ص ٤٢٧/ شعر الأخطل ص ٩٣/ العقد الفريد جـ٦ ص٦٧/ العمدة جـ٢ص٢٠٥ / الكامل فى التاريخ م١ ص٤٣٤/ النقائض ص٤٥٢، ١٧٠٢٠

(٢) شعر الأخطل - ت٠د . فخر الدين قباوة (ط٤ - دار الفكر - دمشق سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م) ص٩٥ .

الشيخ - وقد استحضره - أحد شواغله - بل قد يكون أهمها - الآن ، يتراءى له حين يصله - وهو فى شيخوخته تلك - نبأ الوفاة ؛ وفاته هو من ناحية ووفاة إخوته معه - وقد ذكروا أن ستة بنين لسفيان من بينهم مرة قُتلوا فى هذا اليوم (٣) - ويرى الثكل وقد قصم الظهر منه وترك ملامحه القاسية على وجهه ، فلا يزداد جوفه - مع ما كان يجده فى الوقت نفسه من حر الطعنات - غير احتراق .

تشتعلُ النار - نار الحزن على أبيه وهو يتخيل صورته بعد رحيله عنه ، ونار القتل وقد أثخنته الجراح - فى صدره ، ويمتد لهيبها من الأطراف إلى الأعماق ، ويحين الوِرْدُ - ورد الموت - بأسرع مما كان يظن - وهو فى مقتبل العمر لايزال لم يشبع بعد من الحياة - أو يتصور ؛ فـ«الورد ورد عجلان» - وتخيل الموت على هذا النحو وكأنه حوض أو بئر أو عين ماء يعكس أثر بيئته من ناحية وشدة إحساسه به من ناحية ثانية واستسلامه كما استسلم غيره له - وليس أمامه - والحال تلك - إلا أن ينعى نفسه لنفسه ولأبيه - وقد زيدت «إليك» بين «أنعى» و«مرة» فى شعر الأخطل ، وبها يضطرب الوزن المضطرب أصلاً فى تلك الشطرة أو البيت - ولسائر أهله وذويه .

وقد يكون الورد الذى أشار إليه - فى البيت الثالث - ووصفه بالعجلة خاصاً بورود أبيه ماء الكُلاب - حيث دارت المعركة - ففى الأغانى : « وكان أول من ورد الكُلاب من جمع سَلَمة سفيان بن مجاشع بن دارم ، وكان نازلاً فى بنى تغلب مع إخوته لأمه» (٤) . وفى شعر الأخطل : « فكان أول من ورد الكُلاب ، من جمع ، سفيان بن مجاشع بن دارم ، وكان نازلاً فى بنى تغلب برهطه بنى

---

(٣) المصدر نفسه والصحيفة . وفى الأغانى(ط . الشعب)جـ١٢ ص٤٣٧٦ : « فقتلت بكر بن وائل بنين له، فيهم مرة بن سفيان » .

(٤) الأغانى (ط . الشعب)جـ١٢ ص٤٣٧٦ .

دارم ورزام ابنى مالك ، مع إخوة جده دارم لأمه»[٥] . فيحمل البيت - من ثم - نوعاً من اللوم الضمنى ، يوجهه الابن - وهو أمر غير مستبعد - لأبيه الذى اصطحبه معه -- واصطحب إخوته كذلك - وورد بهم أول من ورد للقتال دفاعاً عن قضية لا ناقة لهم فيها ولا جمل تخص ابنى الحرث بن عمرو الكندى - شرحبيل وسلمة - فى صراعهما بعد وفاة أبيهما على الملك ، وقد تخص من بعض الوجوه قبيلة تغلب التى ناصرت أحد الطرفين - وهو سلمة - أما سفيان فقد سيق - وساق أبناءه معه - للوقوف مع تغلب - بحكم وجوده فيها - فحل به وبأبنائه ما حل ؛ هلك الستة - وفيهم مرة - ولم يجن - حين جنى سلمة الثمرة - غير الثكل وغير مرارة الأحزان .

(٥) شعر الأخطل ص٩٥ .

المرقش الأكبر (*)

[٣٣]

(كامل / متدارك)

١ - يا صاحِبَيَّ تَلَبَّثا لا تَعْجَلا ... إنَّ الرَّواحَ رَهِينُ ألاَّ تَفْعَلا
٢ - فلَعَلَّ لُبْثَكُما يُفَرِّطُ سَيِّئاً ... أو يَسْبِقُ الإِسْراعُ سَيْباً مُقْبِلا
٣ - يا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... أَنَسَ بنَ سَعْدٍ إنْ لَقِيتَ وحَرْمَلا
٤ - للهِ دَرُّكُما ودَرُّ أَبيكُما ... إنْ أَفْلَتَ الغُفَلِيُّ حَتَّى يُقْتَلا
٥ - مَنْ مُبْلِغُ الأَقْوامِ أنَّ مُرَقِّشاً ... أَمْسَى على الأَصْحابِ عِبْئاً مُثْقَلا
٦ - ذَهَبَ السِّباعُ بأَنْفِهِ فتَرَكْنَهُ ... يَنْهَسْنَ منه فى القِفارِ مُجَدَّلا
٧ - وكأَنَّما تَرِدُ السِّباعُ بشِلْوِهِ ... إذ غابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْعَةَ مَنْهَلا .

(*) **ترجمته وأخباره** : الأعلام م٥ ص٩٥/ الأغانى (ط. الشعب) جـ٦ ص٢٢٠٧/ الأمالى لأبى على القالى جـ٢ص ٢٧٣/ البيان والتبيين جـ١ ص٢٧٤، ٢٧٥، جـ٢ص١٨٣، ٢١٥/ تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان)جـ١ص١٣٦/ تاريخ الأدب العربى (بروكلمان)جـ١ص١٠٢/ تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص٢٨٣/ تاريخ الأدب العربى (فروخ) جـ١ص١٢٩/ تزيين الأسواق جـ١ ص ٩٥ / الجمهرة (الجواهرى)جـ١ص١٣٦/ جمهرة أشعار العرب ص٢٦ ، ٩٨/ جمهرة أنساب العرب ص٣١٩/ الحماسة البصرية جـ١ص ٨٦ ، ١٨٤، جـ٢ص٢٢٧، ٢٤٩ / حماسة الخالديين جـ٢ص ١١٠ ، ٣٥٤ / الحماسة المغربية ص٨٠٨/ خزانة الأدب (ط. بولاق) جـ٣ص ٥١٤ / ديوان الأدب جـ٤ص ١٣٦ / رساله الغفران ص٣٥٦/ سمط اللآلى م١ص٢٧، ٢٨/ شرح الحماسة للمرزوقى ص١٣٣٩، ١٥٧٨/ شرح المفضليات ص ٩٨٦ : ٩٩٥ ، ١٠٠٠ ، ١٠١١، ١٠٢٧، ١٠٤٦ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥٢، ١٠٥٥، ١٠٧٠ ، ١٠٧٢، ١٠٧٦/ شعراء النصرانية فى الجاهلية ص٢٨٢/ الشعر والشعراء م١ص٢١٠/ طبقات فحول الشعراء م١ ص ٤٠ ، ٥٢ ، م٢ ص ٣٠٨ / العقد الفريد جـ٣ ص ٢٧٣ / عيون الأخبار جـ١ ص ١٤٥ / المزهر جـ٢ص٤٧٦، ٤٧٧ ، ٤٨١ / مصارع العشاق م١ص٢٢٧/ معاهد التنصيص جـ٢ص٨٤/ معجم الشعراء (عفيف)ص٢٤٧رقم١٦٨٦/ معجم الشعراء للمرزبانى ص١٠/ معجم الشعراء فى لسان العرب ص٣٢٦رقم١١٧١/ المفضليات ص٢٢١ : ٢٤١، ٤٣٠ : ٤٣٢/ من اسمه عمرو من الشعراء ص٣٤/ المؤتلف والمختلف ص٢٤٢رقم ٦٣٣/ موسوعة الشعرالعربى جـ٢ص١٩٩/ نشوة الطرب ص٤٥٦، ٦٢٣، ٦٢٤ .

[٣٣] الأغانى (ط. الشعب) جـ٦ص ٢٢١٠ ، ٢٢١١ / سمط اللآلى م١ص ٢٨ / شرح المفضليات ص٤٥٧ : ٤٦٠/ شعراء النصرانية فى الجاهلية ص٢٨٣ ، ٢٨٤ / الشعر والشعراء م١ص٢١٠ ، ٢١١ / المفضليات ص٢٢١، ٢٢٢ رقم ٤٥.

المُرَقّشُ الأكبر عمرو – أو ربيعة أو عوف – بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ من بكر بن وائل ، «وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبته أسماء بنت عوف بن مالك . . . وكان أبوها زَوَّجَها رجلاً من مراد ، والمرقش غائب ، فلما رجع أخبر بذلك ، فخرج يريدها ، ومعه عسيف له من غُفَيْلَة ، فلما صار فى بعض الطريق مرض ، حتى ما يُحْمَل إلا مَعْرُوضاً ، فتركه الغفيلى هناك فى غار، وانصرف إلى أهله ، فخبرهم أنه مات ، فأخذوه وضربوه حتى أقر ، فقتلوه»[1] .

وفى الأغانى – وقد أورد الخبر مفصلاً – عن أبى عمرو – ووافقه ، فيما يقول أبو الفرج ، المفضل الضبى – : « وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك ، وهو البُرَك ، عشقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أزوجك حتى تعرف بالبأس . وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن ، وكان يعده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك فكان عنده زماناً . . . وأصاب عوفاً زمان شديد ، فأتاه رجل من مراد أحد بنى غُطَيف ، فأرغبه فى المال فزوجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحى عن بنى سعد بن مالك . ورجع مرقش ، فقال إخوته : لاتخبروه إلا أنها ماتت . فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ، ولفوها فى ملحفة ثم قبروها . فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ، فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما فى كعب ، فقال أحدهما : هذا كعب أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه وقالوا إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء . فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام – وكان قد ضَنِيَ ضَناً شديداً – فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادى أسماء ، فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غُفَيْلَةَ كان عَسيفاً لمرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته ، وكانت له رواحل فأمر بإحضارها

(1) الشعر والشعراء جـ1 ص210 .

ليطلب المرادى عليهـا ، فأحضـره إياها ، فركبهـا ومضى فى طلبه ، فـمرض فى الطريق حتى ما يُحمل إلا معروضاً» [٢] .

ويتابع الأصفهانى الخبر فيذكـر أن مرقشاً نزل كهفاً أسفل نجران - وهى أرض مراد - وغلبه المرض حتى ملَّه زوج الأمة ، وسمعـه وهو يقول لها : « اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضُرّاً وجـوعاً» . فكتب على مؤخرة الرحل - وكان يعرف الكتابة ، دفعه أبوه فى صغره مع أخيه حرملة إلى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط[٣] - الأبيات . « قـال : فانطلق الغفلى وامـرأته حتى رجعا إلى أهلهـما ، فقـالا : مات المرقـش . ونظر حرملة إلى الرحل وجـعل يقلبـه فقرأ الأبـيات ، فدعاهما وخوفهما وأمرهما أن يصدقا ففعلا ، فقتلهما» [٤] .

النص إذن - وهو ما يستخلص من تلك الأخبار - رسالة مكتوبة ، بعث بها المرقش - وهو على حافة الموت - إلى أخويه - وقد سـماهما فى البيت الثالث - أنس بن سعد وحرملة ، حملها العبد - وهو لايدرى بها - من نجران إلى العراق؛ من الكهف الذى يموت المرقش فيه بأرض مراد - ولايـجد من يعينه على ما أَلَمَّ به - إلى العراق حيث الآل ومن ينتظرون أوبته ، إن كان - وهيهات - ثمة إياب .

وماذا تحمل تلك الرسالة ؟ تحمل - على قصرها - أشياء عديدة ، الانتقام له من العبدين ؛ الوليـدة والعسيف - على رواية - أو الغُفَلِىّ ؛ أحـد بنى غُفَيْلَة بن قاسط من ربيعة ، وهو العسيف - على رواية ثانية - قد يكون أهمها ؛ فلا يفلت

---

(٢) الأغانى (ط. الشعب) جـ٦ ص٢٢٠٩، ٢٢١٠ .

(٣) وقد أشار إلى ذلك أيضـاً - أعنى معرفته الكتـابة على يد أحد نصارى الحيرة - لويس شـيخو فى «شـعـراء النصـرانيـة فى الجـاهليـة» ص٢٨٣ وجـرجى زيدان فى «تاريخ آداب اللغـة العـربيـة» جـ١ص١٣٦. وفى «الشعر والشعراء» - م١ص٢١١ - أنه كان يكـتب بالحميرية ويضيف الجواهرى - فى جمهرته ص١٣٦ - أن الحرث بن أبى شمر الغسانى اتخذه كاتباً له .

(٤) الأغانى (ط. الشعب)جـ٦ص١٢١١.

الغفلى وقد تخلى عنه - تَخَلّى من لا مروءة له - وأسلمه - إسلام الجبان - وشاركته زوجه - برغم البكاء - على نحو من الأنحاء ؛ يقول الخبر : « فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضُرّاً وجوعاً . فجعلت الوليدة تبكى من ذلك ، فقال لها زوجها : أطيعينى وإلا فإنى تاركك وذاهب »(٥) . فأطاعته مرغمة ، طاعة من لاحول له ، ورحلت مضطرة معه . لايُفلتا - أو العسيف على وجه خاص - «حتى يقتلا» ، فالقتل - وقد ذَكَّر أخويه فى سياق الحض عليه بالله وصلة الأرحام - فى حالة كحالته - تطل الخيانة فيها برأسها - خير قصاص .

لقد أمسى - مع ما فى هذه الكلمة من الإيحاء بالانتهاء - عبئاً ثقيلاً - وهو ما يؤلمه حقاً ويقطر نفسه حسرات - على الأصحاب - وفيهم عبده أو أجيره ووليدته كما رأيت ، وهما من شبَّا فى نعمته ، وأحاطت بهما أياديه - وتمخضت التجربة - حين وضعتهما الظروف على محك الاختبار - عن ثمرة مرة ، أشد عليه مرارة من المرض الذى أقعده واليأس مما خرج إليه - وكان على قاب قوسين من مضارب أسماء - والوحشة والاغتراب ، والموت - وقد نعق به فى أذنيه ما آل إليه - فى كهف ناء بعيد لاتزوره فيه غير السباع والضباع .

تلك السباع - ولعله كان يتخيل ما سوف يصير إليه بعد رحيل العبدين - التى ذهبت بأنفه - رمز الشموخ الذى ولى والكبرياء - «أعثى عليه بالجبال وجيألا» - على رواية المفضليات - والأعثى كثير الشعر ؛ ويعنى به الضِّبْعان وهو الذكر من الضباع ، والجيأل الأنثى منه - ولاتعود الضباع إلا ما تتركه لها السباع من الأشلاء والعظام - أو «ينهسن منه فى القفار مجدلاً» على ما جاء فى الشعر والشعراء ؛ فنرى القفار ، ونرى جثته الملقاة ، ونرى السباع «ينهسن منه» مع ما فى هذا التعبير -- وتلك الصورة السوداء - من البشاعة والقسوة .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢١٠.

ثم نراه - آخرها - مجرد أشلاء تعتادها السباع وتتجمع حولها ، تجمع بنى ضبيعة قومه - ولاتزال صورتهم ماثلة فى ذهنه - حول عين الماء ؛ الكثرة التى تكاد تصل إلى حد الزحام ، والتصارع - فيما بينها للوصول إلى تلك الأشلاء - والجلبة والصخب العنيف ، بعض وجوه الشبه ، لكن الفارق - وهو ما لم يسعه التصريح به - أن (الدم) يحل ههنا محل (الماء) ، وأن (المنهل) - عما قليل - سوف يجف .

[٣٤]

(وافر / متواتر)

١ - سَرَى لَيْلاً خَيالٌ من سُلَيْمَى فأَرَّقَنِى وأَصْحابِى هُجُودُ
٢ - فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِى كلَّ حالٍ وأَرْقُبُ أَهْلَها وهُمُ بَعِيدُ
٣ - على أنْ قدْ سَما طَرْفِى لنارٍ يُشَبُّ لها بذِى الأَرْطى وَقُودُ
٤ - حَوالَيْها مَهاً جُمُّ التَّراقِى وأَرْآمٌ وغِزْلانٌ رُقُودُ
٥ - نَواعِمُ لا تُعالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ أَوانِسُ لا تُراحُ ولا تَرُودُ
٦ - يَرُحْنَ مَعاً بِطاءَ المَشْىِ بُدّاً عليهنَّ المَجاسِدُ والبُرُودُ
٧ - سَكَنَّ بِبَلْدَةٍ وسَكَنْتُ أُخْرَى وقُطِّعَتِ المَواثِقُ والعُهُودُ
٨ - فما بالِى أَفِى ويُخانُ عَهْدِى وما بالِى أُصادُ ولا أَصِيدُ
٩ - ورُبَّ أَسِيلَةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ مُنَعَّمَةٍ لها فَرْعٌ وجِيدُ
١٠ - وذُو أُشُرٍ شَتَيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ نَقِىُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودُ
١١ - لَهَوْتُ بها زَماناً من شَبابِى وزارَتْها النَّجائِبُ والقَصِيدُ
١٢ - أُناسٌ كُلَّما أَخْلَقْتُ وَصْلاً عَنانِى مِنْهُمُ وَصْلٌ جَدِيدُ .

---

[٣٤] المفضليات ص٢٢٣ رقم ٤٦ وقد اعتمدت روايته/ الأغانى (ط. الشعب)ج٦ ص٢٢١٢، ٢٢١٣ / شرح المفضليات ص٤٦٠ : ٤٦٢ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص٢٥٠.

يأبى الرواة إلا أن يجعلوا - وهو ما يراودنى الشك فيه - للقصة بقية ، وللشعر نصاً آخر هو ذلك النص الذى بين يديك ؛ فيزعمون أن حرملة قد سعى - بعد أن استدل على مكان أخيه من العبدين - فى الوصول إليه ، وأن مرقشاً قد ساقت له الأقدار راعياً تصادف أنه - وقد سأله مرقش عمن يرعى له - راعى زوج أسماء - التى خرج أساساً من أجلها - «فقال له مرقش أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتينى جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزاً فتأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمى هذا ، فإذا حلبتَ فألقه فى اللبن ، فإنها ستعرفه ، وإنك مصيب به خيراً لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك . فأخذ الراعى الخاتم ، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثنيتها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : مالى به علم . فأرسلتها إلى مولاها وهو فى شرف بنجران ، فأقبل فزعاً ، فقال لها : لم دعوتنى ؟ قالت له : ادعُ عبدك راعى غنمك . فدعاه ، فقالت : سَلْه أين وجد هذا الخاتم . قال : وجدته مع رجل فى كهف خُبَّان - قال : ويقال كهف جبار - فقال اطرحه فى اللبن الذى تشربه أسماء فإنك مصيب به خيراً ، ولم يخبرنى من هو ، ولقد تركته بآخر رمق . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فأعْجِل الساعة فى طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلها ، فمات عند أسماء ، وقال قبل أن يموت : . . . »[6] . الأبيات .

قصة لايخفى - مع طرافتها وجودة حبكتها - ما فيها من دلائل وضع ؛ المصادفة العجيبة التى ساقت إليه - وكنا معه منذ لحظة على حافة الموت - «راعى

(٦) الأغانى (ط . الشعب) ج٦ ص ٢٢١١ ، ٢٢١٢

زوج أسماء» تحديداً ، وإخبار أسماء لزوجها - وهى تعلم ما بينه وبين المرقش من العداوة والبغـضاء - بالحيلة التى احتـالها للوصول إليهـا ، وتغاضى الزوج - فى موقف مـروءة ساخرة ونخوة أشـبه ما تكون بنخـوة المخنثين - عن تلك الحيلة ، وسعـيه - بمشورة زوجه - نـحو إنقاذ العشـيق ونقله - وقد صاحـبته فى عـملية الإنقاذ هذه - إلى بيـته ، ثم يحين الأجل هناك ، فيموت - وقـد تم اللقاء على نحو من الأنحاء - قرير العين .

ويشاطرنا الشك - أو بالأحـرى نحن الذين نشاطره فيـه - بروكلمان ؛ حين يشير إلى مسألة الخاتم هذه - التى تم بها التعـارف بين العاشقين - فيرى فيها نمطاً من الأنماط العليا - بلغة الأسطوريين - أو «أحد البـواعث النموذجية لذلك النوع من القصـص» - يعنى قصص الحب وقـد صار شاعـرنا بطلاً لواحدة منهـا ظلت تتردد من بعـده وتتناقلها الأجيـال - « وهو تَعَرُّفُ أحد العاشـقين على الآخر عن طريق الخـاتم ، ومـثل ذلك مـعـروف فى كـثـيـر مـن الحكايات عند أمم غـيـر العرب»(٧) .

ويضيف بلاشـير أن شخصـية هذا الشاعـر قد طرأ عليها «فى أواخـر القرن الثانى للهجرة - الثـامن للميلاد - عند جمهرة المتـرفين فى العراق تحول جعل منه بطل قصة غرامية» (٨) . أشبه بالقصص الشعبية التى تنتشر على ألسنة العوام ، مما ساعد على طمس صورته الحقيقية أو تشويهها - على حد تعبيره - فى الأقل .

وحين أقـرأ معك النص قـد تتـفق معى على أنه - إن صـحت نسـبتـه إلى المرقش، وقد رواه له غير راو من الثقاة ؛ يأتى فى مقدمتهم المفضل الضبى - ليس - كما قدم له محققا المفضليات - من شعر الكهف ، ولا - كما زعم أبو عمرو

---

(٧) تاريخ الادب العربى ج١ص١٠٢ .

(٨) تاريخ الادب العربى ص٢٨٤.

فى الخبـر المذكور - مما قيل قبـيل الموت ، وإنما هو مما قيل - كسائر غـزله - قبل ذلك - ربما أثناء إقامتـه فى بلاط الحرث الغسانى ، أو بعد عـودته إلى ديار قومه بالعراق ورحيل حبيبته مع زوجها إلى أرض مراد - وإلا فكيف نفهم قوله :

سكَنَّ ببَلْدَةٍ وسكَنْتُ أُخرَى   وقُطِّعَـتِ المَواثِـقُ والعُـهُودُ

وقوله بعدها :

فما بالِى أَفِى ويُخانُ عَهْدِى   وما بالِى أُصـادُ ولا أَصِـيدُ؟

وذلك الخيال الذى سرى نحوه - فى المطلع - فأرقه ، ودفعه إلى التفكير فى حاله وفيما آلت إليه الأمور ، وجعله يرقب - كما يقول - «أهلها وهم بعيد» ؟!

نعم قد تكون سليمى مجرد رمز - لا عـلاقة له البتة بأسماء - وتوظيف فنى للأسمـاء - على ما يرى بعض الدارسين - فى مطالع قـصائدهم ، ويصح لنا من ثم أن نلمح تلك العـلاقـة بين «سليمـى» - التى ابتعـدت مع أهلهـا عنه - وبين السلامة التى افتقدها وتعرضه - بعد رحيله بحثاً عنها - للهلاك . وقد يكون هناك رابط للخيانة - التى ذكرها فى البيت الثـامن - وما تعرض له من العسيف - على نحو ما مر بنا - ومن أسماء نفسـها حين قبلت الزواج من غيره ، ومن أبيها الذى وعده ولم يَفِ - تحت ضغط الحاجة المادية - بالوعد . وقد يكون تذكره لما مضى من الزمان واجتـلابه لحظات اللهو والنعيم والوصال مما يواجـه به انكسار النفس - كما واجـه آخرون غيره مـثل هذا الانكسـار - عند الموت ، ومحـاولة منه لتقليص حدة الإحســاس - كما صنعوا - بالعجز . لـكنَّ الشك يظل هو الأقوى ، وتبقى بعد علامات أخرى للاستفهام .

مسافر بن أبى عمرو بن أمية القرشى (*)

[٣٥]

(طويل / متدارك)

١ - ألا إنَّ هنداً أصبحتْ منْكَ مَحْرَمًا وأصبحتَ من أدْنَى حُمُوَّتِها حَمَا

٢ - وأصبحتَ كالمَقْمُورِ جَفْنَ سِلاحِهِ يُقَلِّبُ بالكفَّيْنِ قَوْساً وأسْهُما .

تتداخل نسبة هذا النص بين مُسافِرِ بن أبى عَمْرِو بن أُمَيَّةَ القُرَشِيِّ وهشام بن المُغِيرَةَ المَخْزُومِيِّ (١) وعبد اللهِ بن العَجْلانِ النَّهْدِيِّ (٢) ، ورَجَّح أبو الفرج الأصفهانى - وهو ما ترجح عندى كذلك - نسبته إلى مسافر بن أبى عمرو ؛ قال أبو الفرج - فى ترجمته لابن العجلان - : « وقد حدثنى محمد بن خلف بن وكيع قال حدثنى عبد الله بن على بن الحسن قال حدثنا نصر بن على عن الأصمعى عن عبد العزيز بن أبى سلمة بن أيوب عن ابن سيرين قال : خرج عبدالله بن العجلان فى الجاهلية فقال : ..» . ثم أورد البيتين - مع تعليق قصير لابن سيرين - وقال بعقبهما - وهو مما قد يلقى الضوء على دور بعض نقادنا

(*) **ترجمته وأخباره** : الأعلام م٧ ص ٢١٣ / الأغانى (ط. الشعب) جـ٩ ص ٣١٦٩ : ٣١٧٥، جـ٢٦ ص ٨٩٦٩ / الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ص ٢٣٦ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير)ص٣٣٩/ السيرة النبوية م١ص١٥٠/ طبقات فحول الشعراء م١ص ٢٣٣ / الفاخر ص٧١ ، ٧٢ ، ١٥٥ / معجم الشعراء (عفيف) ص٢٤٩ رقم ١٦٩٧.

[٣٥] الأغانى (ط. الشعب) جـ٩ص٣١٧٠، ٣١٧٢، ٣١٧٤، جـ٢٦ص٨٩٦٩/ الشعر والشعراء م٢ ص ٧١٦ / لسان العرب (حمو) / مصارع العشاق م١ص٢١.

(١) انظر ترجمته وأخباره فى : الأغانى (ط. الشعب)جـ٩ص٣١٧٢ والأمالى لأبى على القالى جـ٣ص٢١٩ والعقد الفريد جـ٢ص١٢٨، جـ٦ص٩٣.

(٢) انظر ترجمته وأخباره فى : الأغانى (ط. الشعب)جـ٢ص٨٩٦٢ وتاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ص١٣٨ وتاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص٢٨٠ وتجريد الأغانى ص٢٣٠٧ وتزيين الأسواق ص١٤٠وديوان الشعر العربى جـ١ص٧٥ وشرح الحماسة للتبريزى جـ٢ص٧٩ والشعر والشعراء م٢ص ٧١٦ ومختار الأغانى جـ٥ص٤٠١ ومعجم الشعراء (عفيف)ص١٥١ رقم ٩٥٩ ومعجم الشعراء فى لسان العرب ص٢٣٠ رقم ٧٧٥ .

القدامى كأبـى الفرج الأصفهانى فى التـوثيق والتحقيق - : « وهـذا الخبر عندى خطأ ؛ لأن أكثر الرواة يروى هذين البيتين لمسافر بن أبى عـمرو بن أمية قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يسـتعينه فى مهر هند بنت عتبة بن ربـيعة ، فقدم أبو سفيان بن حرب ، فسأله عن أخبار مكة ، وهل حدث بعده شىء ، فقال : لا ، إلا أنى تزوجت هنداً بنت عتبة . فـمات مسافر أسفاً عليـها ، ويدل على صحة ذلك قوله : وأصـبحت من أدنى حـموتهـا حمـا . لأنه ابن عم أبى سفـيان بن حرب لحا ، وليس النميرى المتزوج هنداً النهدية من بنى عم عبد الله بن العجلان فيكون من أحمائها ، والقول الأول على هذا أصح»[٣] .

وقد نسبـهما إلى ابن العجلان ابنُ قتـيبة [٤] - بسند قريب من السند الذى ذكره أبو الفرج الأصفهانى - وأبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج [٥]. ونسبهمـا إلى هشام بن المغيرة النَّوْفَلِىُّ - على ما ذكره أبو الفـرج الأصفهانى فى أغانيه [٦] - وجاء البيت الأول منهما فى اللسان - مادة (حمو) - غير منسوب ، وعزاه ابن منظور إلى «رجل كانت له امـرأة فطلقها وتزوجها أخـوه» ، واستبدل (أسماء) بـ(هند) .

أما نسبتهما إلى هشام بن المغيرة فهى ضعيفة - فى رأيى - حيث لم ينسبهما

(٣) الأغانى (ط . الشعب)جـ٢٦ص٨٠٨٩ ، ٨٠٧٠

(٤) الشعر والشعـراء م٢ص٧١٦ . وسنده فيه «حدثنى أبو حاتم عن الأصمعـى عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين» .

(٥) مصارع العشـاق م١ص٢١ . قال : «أخبرنا القاضى أبو القـاسم على بن المحسن التنوخى بقراءتى عليه سنة ثلاث وأربعـين وأربعمائة قـال أخبرنا أبو الحـسن على بن عيـسى بن على النحـوى قال حدثنا أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حـاتم عن الأصمعى قال حدثنا عبد العزيز ابن أبى سلمة عن أيوب السـختيانى عن ابـن سيرين قال: قـال عبد الله بن العجـلان النهدى فى الجاهلية : . . . .» ثم أورد البيتين .

(٦) الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ص٣١٧٢ .

إليه - فيما اطلعت عليه - غير النوفلى ، ثم عاد - أعنى النوفلى - فصحح نسبتهما إلى مسافر ، وأورد - فيما نقله عنه أبو الفرج الأصفهانى - خبره حين رحل إلى النعمان وموته بعد لقاء أبى سفيان . وأما نسبتهما إلى ابن العجلان فعلى الرغم من وجود سند - بل أكثر من سند - قوى يدعم نسبتها إليه ، وعلى الرغم كذلك من وجودها فى أكثر من مصدر - من مصادرنا القديمة الموثوق بها كالشعر والشعراء - منسوبة - دونما شك - إليه ، إلا أن ما لفت إليه أبو الفرج الأصفهانى - أعنى نقده للمتن - جدير - فى رأيى - بالاعتبار ، ولايمنع - إن صح الخبر المنقول عن ابن سيرين - أن يكون ابن العجلان قد قالهما - عند موته- تمثلاً ؛ قال ابن سيرين : « خرج عبد الله بن العجلان فى الجاهلية فقال : ألا إن هنداً . . . » - إلى آخر البيتين - « ثم مد بها صوته فمات . قال ابن سيرين : فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا »[٧] . وكان ابن العجلان - فيما تذكر الأخبار - قد طلق هنداً زوجه - بعد سبع سنوات لم تلد له فيهن وكانت على ما يبدو عاقراً - بإلحاح من أبيه ، وتزوجت هند بعده رجلاً من بنى نمير - إحدى بطون بنى عامر - وتتبعتها نفسه فمات أسفاً وحزناً عليها .

وقد يكون إضافة البيتين إليه من قِبَل العامة ؛ فلم يذكر لنا ابن سيرين - وهو متأخر زمناً - عمن نقل هذه النسبة ، وتحول ابن العجلان - فى وعى العوام - إلى بطل من أبطال العشق العفيف ، ونسجت حوله ملحمة شعبية - أو ملحمة عاطفية كما سماها بلاشير ورجح وضعها فى أوائل القرن الأول للهجرة[٨] - فلا يمنع - إن كان الأمر على هذا النحو - أن يضاف إليه شعر

(٧) الأغانى (ط. الشعب)جـ٩ص٣١٧٤، ٣١٧٥، جـ٢٦ص٨٩٦٩ . وانظر مصارع العشاق م١ص٢١.

(٨) تاريخ الأدب العربى ص٢٨٠. يقول بلاشير : «وحفظ لنا الرواة أخباراً عن غاراته على قبائل مجاورة ، كما أنهم اهتموا بملحمته العاطفية التى ألفت فى وقت مبكر. ولعل هذا يرجع إلى أوائل القرن الأول للهجرة والسابع للميلاد ،حيث تحول هذا السيد البدوى مع مرور الأيام إلى بطل عشقى» .

آخرين من المغمورين - كمسافر بن أبى أمية - لسد ثغرات فى القصة أو إتمام جوانبها ، وقد تصادف أن مسافراً أحب امرأة اسمها على اسم المرأة التى أحبها ابن العجلان ، وأنه مات بسبب هذا الحب - كما مات ابن العجلان - فماذا يمنع - لدى العوام - من توظيف ما قاله من شعر - فى لحظاته الأخيرة - إلى ابن العجلان إن كان هذا الشعر يثرى قصته ويضيف إليها أبعاداً جديدة لاتخلو إضافتها من جذب أو تشويق ؟!

كان مسافر - كما يقول الأصفهانى - « سيداً جواداً ، وهو أحد أزواد الركب ؛ وإنما سموا بذلك لأنهم كانوا لايدعون غريباً ولا مار طريق ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن ، وهو أحد شعراء قريش . . . وله شعر ليس بالكثير »[9] . أحب هنداً بنت عتبة - أم معاوية - «فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على النعمان يستعينه على أمره ، ثم عاد ، فكان أول من لقيه أبو سفيان فأعلمه بتزويجه من هند»[10] . وفى رواية أخرى - أكثر تفصيلاً - أنه وفد على عمرو بن هند - لا النعمان - « فكان ينادمه ، وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة فى بعض ما كان يأتيها ، فلقى مسافراً ، فسأله عن حال قريش والناس ، فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجت هنداً بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه . . . فدعا له عمرو بن هند الأطباء ، فقالوا : لا دواء له إلا الكى . فقال له : ما ترى ؟ قال : افعل . فدعا له الذى يعالجه ، فأحمى مكاويه ، فلما صارت كالنار قال : ادعُ أقواماً يمسكونه . فقال لهم مسافر : لست أحتاج إلى ذلك . فجعل يضع المكاوى عليه . . . فلم يزده إلا ثقلاً ، فخرج يريد مكة ،

(٩) الأغانى (ط . الشعب) جـ٩ ص٣١٦٩، ٣١٧٠ . وأزواد الركب ثلاثة - كلهم من قريش - مسافر هذا وزمعة بن الأسود وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومى .

(١٠) المصدر نفسه ص ٣١٧٠ .

فلما انتهى إلى موضع يقال له هُبالة مات فدُفن بها ونُعِيَ إلى قريش» . فرثاه - فيمن رثاه - أبو طالب عم النبى [11] .

وفى أثناء ذلك - ما بين المرض والموت السريع - قال مسافر البيتين ، لقد علم إذن من زوج المرأة التى أحب - وهو ابن عم له - أنها حَرُمَتْ عليه - بل صار كما يقول (حما) لها من أقرب الأحماء - فياليت شعرى علام خرج إلى العراق ؟! وفيم كانت غربته ؟! وهل كانت هند تلعب به وتعبث - ما شىء لها العبث - بمشاعره ؟! وهل أخطأ حين سعى إلى الثراء من أجلها فترك الأهل والوطن ورحل - بمحض إرادته - إلى ملك الحيرة وذاق مرارة الاغتراب ؟!

إنها - للمرة الثانية بل الثالثة بل الألف - المرأة ، وهى - ولم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة بطبيعة الحال - حبائل الغش والخداع ، لقد أصبح وأصبحت - والصبح قرين اليقظة فى الوجدان - أصبحت منه - ويالمرارة الإصباح - محرماً ، وأصبح «من أدنى حموتهاحما» لمكانة زوجها منه .

هذا واقع جديد ينبغى عليه قبوله - إن استطاع - لكن كيف وقد أصبح - من جهة أخرى - كالمقمور ، بل هو مقمور بالفعل ؛ قَمَرَهُ غريمه نفسه على طاولة الحياة ؟! لقد خسر - بخسارته لها - كل شىء ، خسر نفسه وقلبه وما تبقى له - فى عمره - من أيام معدودات ، فصار - فى مخيلته - كمن خسر سلاحه - شرف الفرسان وكل ذى أنفه أو كبرياء - فهو يقلب فى كفيه ما لاغناء له عن السيف ؛ بضعة أسهم وقوساً مثل أية قوس يحملها - فيمن يحملها - الصعاليك والعوام .

لا شىء يغنى عنها إذن ، ولن يستطيع - مهما حاول - النسيان ، ولسوف تسلمه الأيام إلى الجنون - أو ما يشبه الجنون - إن لم تسلمه - كما أسلمته ، بعد عجزه عن التكيف مع واقعه الجديد المر - إلى الموت ، فلا يبقى غير ذكرى باهتة له ، واسم قد حفره - رغماً عنه - فى سجل العشاق ، أو بالأحرى « من قتله العشق » أو «مات عشقاً » على حد تعبير القدماء .

---

(11) المصدر نفسه ص ٣١٧٠، ٣١٧١ .

المنخل اليشكري (*)

[٣٦]

(وافر / متواتر)

١ - ألا مَنْ مُـــبْلِغُ الحُـــرَّيْـــنِ عنّى   مُـــغَـلْغَلَـةً وخُصَّ بهـــا أُبَـيّـــا

٢ - فـــإنْ لم تَثْـــأرا لِى مـــن عِكَبٍّ   فـــلا أرْوَيْتُـــمـــا أبَـداً صَـــدِيّا

٣ - يُطَوِّفُ بِـى عِكَبٌّ فى مَـــعَـــدٍّ   ويَطْعَـنُ بالصُّـــمُلَّةِ فى قَـــفِـيّـــا .

قُتل المُنَخَّلُ اليَـشْكُرِىُّ - وفى قتله اختلاف بين الرواة - على يد النـعمان بن المنذر - ملك الحيـرة - فقد اتهمه النعـمان «بامرأته المتجـردة ؛ وقيل : بل وجده معهـا ، وقيل : بل سُعِىَ إليه فى أمرها ، فـقتله ؛ وقيل : بل حبـسه ثم غمض خبـره ، فلم تعلم له حقـيقة إلى اليـوم ، فيقـال : إنه دفنه حيـاً ، ويقال : إنه غرقه»(١) . وهو ممن يضـرب به المثل - كالقـارظ العنزى - فى طول الغـياب ؛

(*) ترجمته وأخباره : الأعلام م٧ص٢٩١/ الأغانى (ط ٠ الشعب)جـ٢٣ص٨١٤٧/ البـيان والتبيين جـ٣ص٣٤٦/ تاريـخ آداب اللغـة العـربيـة (زيدان) جـ١ص١٦٢/ تاريـخ الأدب العـربى (بلاشير)ص٣٢٩ / تاريخ الأدب العربى (فروخ)جـ١ص١٦٨/ تجريد الأغانى ص٢١٥٩/ الجمهرة (الجواهرى) جـ١ص٤٨٠/ جـمهرة أشعـار العرب ص٢٨/ حماسـة الخالديين جـ١ص٥١، ١٥٥، ٢٠٨ / ديوان الحماسـة لأبى تمام رقم ١٧٥/ ديوان الشعر العربى جـ١ص١١٥/ رسـالة الغفران ص٣٣٢/ شرح الحماسـة للتبريزى جـ٢ص١٠٢/ شرح الحماسـة للمرزوقى ص٥٢٣ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص٤٢١/ الشعر والشعراء م١ص٤٠٤/ طبقات فحول الشعراء م١ص١٨٥ / اللسـان (حرر)/ المثل السـائر جـ٢ص١٦٧/ مختـار الأغـانى جـ٧ص٢٤١/ معـجم الشـعراء (عفيف)ص٢٦٢رقم١٨١٦/ معـجم الشعراء (المرزبانى)ص٢٧٢/ معجم الشعـراء فى لسان العرب ص٣٤٥رقم١٢٤٤/ المؤتلف والمختلف ص٢٣٥رقم ٦٠٨/ موسوعـة الشعر العربى جـ٣ص٣٠٩/ نقد الشعر ص٣٧/ نوادر المخطوطات جـ٢ص٢٥٧ .

[٣٦] لسان العرب (حـرر) وقد اعتمدت روايتـه / الأغانى (ط ٠ الشعب)جـ٢٣ ص٨١٥١ ، ٨١٥٤ / شرح الحماسة للتبريزى جـ٢ص١٠٢/ شعراء النصرانية فى الجاهلية ص٤٢١ .

(١) الأغانى (ط ٠ الشعب) جـ٢٣ ص ٨١٤٨ .

يقول ذو الرمة - الشاعر الأموى - فى وصف واحدة من النساء :

«تُقارِبُ حتّى يَطْمَعَ التَّابِعُ الصبّا وليستْ بأدْنَى من إيابِ المُنَخَّلِ»[(٢)].

ويقول النمر بن تولب - من مخضرمى الجاهلية والإسلام - :

«وقَوْلِى إذا ما غابَ يَوْماً بَعيرُهم تُلاقُونَهُ حتى يَؤُوبَ المُنَخَّلُ»[(٣)].

وفى الأغانى - وقد أورد أبو الفرج أكثر من رواية فى مقتله - « وأخبرنى بخبر المنخل مع المتجردة أيضاً على بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرنى أبو سعيد السكرى ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابى ، قال : كانت المتجردة امرأة النعمان فاجرة ، وكانت تُتَّهم بالمنخل ، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل ، فكان يقال إنهما منه ، وكان جميلاً وسيماً ، وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً ، وكان للنعمان يوم يركب فيه فيطيل المكث فيه ، وكان المنخل من ندمائه ، لايفارقه ، وكان يأتى المتجردة فى ذلك اليوم الذى يركب فيه النعمان، فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدة لها موكلة بذلك، فتخرجه ، فركب النعمان ذات يوم ، وأتاها المنخل كما كان يأتيها ، فلاعبته ، وأخذت قيداً فجعلت إحدى حلقتيه فى رجله والأخرى فى رجلها ، وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان ، لأن الوقت الذى يجىء فيه لم يكن قرب بعد، وأقبل النعمان حينئذ ، ولم يطل فى مكثه كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المنخل ، قد قيدت رجلها ورجله بالقيد ، فأخذه النعمان فدفعه إلى عِكَبٍّ ، صاحب سجنه ، ليعذبه ، وعِكَبٌّ رجل من لخم ، فعذبه

---

(٢) ديوان ذى الرمة - ت٠د . واضح الصمد (دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م) ص١٧٢٠ الأغانى (ط٠الشعب) جـ٢٣ص٨١٤٨ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٤٢١ .

(٣) شعراء إسلاميون - د٠نورى حمودى القيسى (ط٢ - عالم الكتب - بيروت سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م) ص ٣٦٧٠ الأغانى (ط٠الشعب) جـ٢٣ص٨١٤٨ ٠شعراء النصرانية فى الجاهلية ص٤٢١٠

حتى قتله ، وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات ، وبعث بها إلى ابنيه »[٤] .

«ألا» – وطالما مرت بنا فى مثل تلك اللحظات – «من مبلغ الحرين» ؛ الحُرَّ وأُبَيّ – ابناه – غلب اسم الأشهر عليهما – على ما جاء فى اللسان – كما يقال – فى الشمس والقمر – القمران[٥] . وفى رواية « الحيين» – وما أثبتُّ هو الأوثق – «مغلغلة» – تنفذ حتى الأعماق ، ويجوب حاملها الآفاق حتى يصل بها إلى من يراد توصيلها إليه – وهى الرسالة ، فالأبيات – كغيرها – تحمل الطابع الرسائلى؛ من شخص يتعرض – داخل سجنه – للقتل ، إلى ابنيه – أو الحيين اللذين ينتمى إليهما من جهة الأب وجهة الأم – ويلاحظ فى كلتا الكلمتين «الحرين» و«الحيين» الرمز أو الإشارة دون التصريح ؛ فالحران – صفةً – قد تنطبق على أى شخصين ، والحيان غير محددين ، ويخص بها – يعنى الرسالة – «أُبَيّاً» وهو الأصغر – على ما يبدو – لكنه – ويلاحظ فى الاسم ، إن دل الاسم على شيء ، الأنفة والكبرياء – معقد أمل الأب فى الثأر له – وإن لم يحرم الآخر من شرف المشاركة – والانتقام ، ومع ما فى كلمة «أُبَيّ» من التحديد – باعتبارها اسماً لشخص بعينه – إلا أنها لاتتعارض – فى رأيى – وما أشرت إليه من الرغبة فى (الترميز) ؛ لأنها قد تنصرف – حين تسمع – إلى الوصف ، والمقام – مقام الثأر – يقتضيه .

وقد استبدلت بهذه الشطرة – فى الأغانى وشعراء النصرانية – «بأنَّ القَوْمَ قد

---

(٤) الأغانى (ط. الشعب)جـ٢٣ص٨١٥٣. وقد تزوج النعمان المتجردة هذه – واسمها ماوِيَةُ – بعد أبيه ، ومرت قبلهما على عدد من الأزواج ؛ من بينهم الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبى والمنذر ابن المنذر بن حارثة الكلبى ، ولها أخبار مع شعراء آخرين كالنابغة الذبيانى ، وفيها قال داليته الشهيرة ، وساءت بسببها علاقته بالنعمان ويقال إن المنخل هو الذى سعى بالنابغة لدى النعمان، وقال – وقد تحركت الغيرة فى قلبه حين استمع إلى وصف النابغة لها – : «ما يستطيع أن يقول هذا الشعرإلا من جربه» فأوغر صدر النعمان ، فانقلب على النابغة ، ثم انقلب بعد ذلك عليه فقتله.

(٥) وعلى هذا جاء أيضاً قولهم «الأبيضان» ، وهما الليل والنهار – تغليباً لصفة أحدهما على الآخر – «والأصفران» ونحوهما.

قتلوا أُبَيّا» مع ضبط الكلمة الأخيرة - كلمة أبيّ - بضم أولها وفتح ثانيها - ولا معنى لها ؛ لأن أُبَيّاً كما أشرت هو الابن المنوط به الثأر لا القتيل - وبفتح أولها وكسر ثانيها ، فلا تتعدى من ثم وصف المنخل لنفسه بالإباء ، وقد رجحت ما جاء فى اللسان - عن ابن منظور - وروايته - أزعم - هى الأكثر انسجاماً - فى هذا الموضع تحديداً - واتساقاً من غيرها من الروايات .

« فإن لم تثأرا لى» - والخطاب للحرين أو الحيين - أو «تثأروا» - على ما جاء فى روايات أخرى غير اللسان ؛ بإسناد الفعل إلى ضمير الجمع - بالقتل - وإن لم ينص عليه - «من عِكَبٍّ» والعِكَبُّ - مع التسليم بأنه اسم لصاحب السجن الذى تولى تعذيبه بأمر من النعمان كما جاء فى أكثر من مصدر [(٦)] - يحمل - فيما يحمل - معنى القسوة والغلظة - وهما من المؤهلات الرئيسة فى اختيارهم عادة للسجان - فالعِكَبُّ لغةً « الذى لأمه زوج ، ورجل عِكَبٌّ ، مِثالُ هِجَفٍّ ، أى : قصير ضخم جاف » [(٧)] .

إن لم تثأرا لى من هذا الشخص «فلا أرويتما أبداً صدياً» لا انتقمتم بعدها أبداً لشىء - أى شىء - يستدعى - وهل هناك من هو أحق بالثأر له من الأب - الانتقام ، لا أرويتم - أو بالأحرى أرويتما - ظمأ الصدى ، وهو الطائر المزعوم ، الذى يخرج - على ما كانوا يعتقدون - من رأس القتيل ويصيح «اسقونى اسقونى» ، مذكراً مع كل صيحة بالثأر له .

ويقدم - فى البيت الأخير - صورة - تستنفر الدم فى عروق الابنين وتسجل واقعاً أليماً للسجناء فى عصره وما كانوا يلاقونه فى سجونهم من ألوان القهر

---

(٦) الأغانى (ط . الشعب) جـ٢٣ ص٨١٥١ ، ٨١٥٣ . اللسان (حرر) . شعراء النصرانية فى الجاهلية ص٤٢١ .

(٧) اللسان (حرر) .

والتعذيب - سرى فيها السجان - الذى يحض الآن على قتله كما قتله ؛ فالعين بالعين والسن بالسن والأنف بالأنف والجروح قصاص - وهو يَطُوفُ - بل يُطَوِّفُ بالتضعيف - به مقيداً فى السلاسل والأغلال ، ويطعن بالصُّمُلَّة - وهى الحربة - فى قفاه - والمسكوت عنه أكثر بالطبع مما صرح به - فأى كرامة - إن لم يثأر الابنان له - وأية أدمية لمن أهدرت كرامته ولم تراع - كحال السجناء فى كل زمان ومكان - آدميته ، تلك الآدمية التى كرمها الله على كثير ممن خلق ، وأهانها - بغباء منه - الإنسان ؟!

[٣٧]

(خفيف / متواتر)

١ - طُلَّ وَسْطَ العِراقِ قَتْلِى بِلاجُرْ م وقَوْمِى يُنَتَّجُونَ السِّخالا

[٢ - لا رَعَيْتُمْ بَطْناً خَصِيباً ولا زُرْ تُمْ عَدُوّاً ولا رَزَأْتُمْ قِبالا] .

قدم ابن قتيبة - فى «الشعر والشعراء» [٨] - لهذين البيتين بقوله : « وقتله عمرو بن هند ، وقال قُبيل قتله » . وأشار - بعد أن أوردهما - إلى أنهما «فى أبيات» . ولم أهتد إلى هذه الأبيات . وفى «الأغانى» [٩] : « قالوا : وكان المنخل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند ، وفيها يقول : . . . قال : فبلغ عمراً خبر المنخل فأخذه فقتله . وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس فى يده يحض قومه على طلب الثأر به : . . . » . ثم أورد البيت الأول منهما .

ولاشك أن هناك خلطاً واضحاً ؛ فما ذكراه ههنا يناقض ما انتهينا إليه - ومنه ما جاء فى الأغانى نفسه وفى غيره من المصادر الموثوق بها - فى النص السابق من

[٣٧] الأغانى (ط . الشعب) جـ١١ص ٣٨٠١ / شرح الحماسة للتبريزى جـ٢ص ١٠٨ / الشعروالشعراء م١ص٤٠٥ .

(٨) م١ص٤٠٥ .

(٩) م١١ص٣٨٠١ .

ناحيتين ؛ إحداهما خارجيـة تتصل بمقتله ، والأخرى من داخل النص . أما مقتله فقد تم - كـما رأيت - على يد النعمان بن المنذر ، وهنا يشـار إلى ملك آخر من ملوك الحيرة هو عمرو بن هند - ولايمكن بطبيـعة الحال أن يقتل المرء مرتين - وأما الأخرى فقد رأيناه يحض ابنيه - أو الحيين - على الثأر له ، والآن نراه يصب جام سخطه ونـقمته عليـهم لأنهم تركوه يُقـتل - بلا جرم - دون أن يحـرك أحدهم ساكناً ، أو بالأحرى خذلوه - وكان يتوقع فيما يبدو نصرتهم - وتخلو عنه .

وهذا الخلط - فى أسماء الملوك من ناحية ونسبة نص يخالفه نص آخر - ليس خاصـاً بشاعرنا وحـده ، ويحتاج الأمـر - فى رأيى - إلى شىء من التحـقيق . وحين نعود إلى التاريخ - وطالما أعاننى فى فض مثل هذه الاشتبكات والانتهاء إلى رأى فصل أو يقترب من الفـصل - نجدهم يؤرخون وفاة المنخل بسنة ٥٩٧م(١٠) ، فإذا ما صح هذا التاريخ - وليس هناك ما يدفعه ، ولم أجد فيما اطلعت عليه من يشير إلى سنة أخرى للوفاة - تَرَجَّحَ لدى - على نحـو من الأنحاء - أن مقتله قد تم على يد النعمـان لا عمرو بن هند ؛ لأن وفاة ابن هند كانت قـبل هذا التاريخ بوقت غيـر قصـير (١١) ، بينمـا مات النعمـان سنة ٦٠٢ م (١٢) ، أى بعد قتل شاعرنا بخمسة أعوام .

ويزيد يقينى - وقـد يزداد يقينك معى - حين أجد فيـما ذكره ابن قتـيبة وأبو الفرج - وفى الأغانى كما أشرت ما يدفعه أو فى الأقل يناقضه - اضطراباً - أو ما

---

(١٠) تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) جـ١ ص١٦٢ . معجم الشعراء (عفيف)ص٢٦٢ .

(١١) أشار بلاشير - تاريخ الأدب العربى ص٣٢٩ - إلـى أن وفاته كانت سنة ٥٦٨م . وذكر جرجى زيدان - العرب قـبل الإسلام ص٢٢٢ - أنه قـد تولى الحكم سنة ٥٦٣م ؛ واستمـر حكمه سـتة عشر عاماً . وعليه فإن وفاته تسبق وفاة شاعرنا بتسع وعشرين سنة ،أو - على أقل الاعتبارات - ثمانى عشرة سنة .

(١٢) تاريخ الأدب العربى (بلاشـير) ص ٣٣٠ . وفى «العرب قبل الإسلام» - ص ٢٢٢ - مـا يشير إلى أن وفاته كانت سنة ٦١٣ م .

يشبه الاضطراب - فتارة يذكرون أن المنخل كـان على علاقة - غير بريئة - بامرأة عمرو بن هند ، وكان كما يقول ابن قتيبة يُتَهَمُ بها ، وتارة أخرى يشيرون إلى هند ابنة عمرو لا امـرأته ، وهو ما صنعه أبو الفرج حين قـال : « وكان المنخل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند وفيها يقول :

ولقد دَخَلْتُ على الفَتا ... ةِ الخِدْرَ فى اليَوْمِ المَطِيرْ» .

إلى آخر الأبيات [١٣]. بل إن ابن قتـيبة - الذى أشار إلى امـرأة عمرو بن هند - ذكر فى الموضع نفسه - ولا أدرى كيف لم يلتفت إلى هذا الاضطراب - أن المنخل «كان يشبب بهند أخت عمرو بن هند ، ولها يقول :

يا هِنْـدُ هـلْ مـن نائــلٍ ... يا هِنْدُ للعانى الأسيرْ» [١٤].

وهذا البيت جزء من الرائية السابقة ، فهل هى امرأة عمرو أم أخته أم ابنته ؟ أم تراها - وهو ما أميل إليه - غير هؤلاء الثـلاثة ، ولا علاقة لشاعرنا - وهو ما يكاد ينتهى ظنى إليه - بعمرو بن هند ؟!

أزعم أن قـاتله - وهو الرأى الشـائع بين القـدامى ولم يتـعـد الرأى الآخـر الاستثناء - هو النعمان ، وأن المتجردة - امـرأته - كانت أحد الأسباب الرئيسة - على مـا انتـهـيت إليـه قـبل - فى قـتله ؛ وعلـيه يـحق لى الشك فى البـيـتين المذكورين [١٥] . ومع افتراض صحة نسبتهمـا جدلاً إليه يكون قد قالهما فى سجن النعمان ، بعد أن طفح به الكيل وبلغ التعذيب مبلغه ، ولم يصبح بينه وبين الموت

---

(١٣) الأغانى (ط. الشعب) جـ١١ص ٣٨٠٠.

(١٤) الشعر والشعراء م١ص٤٠٤.

(١٥) يدعم هذا الشك -من ناحية أخرى - الوزن العروضى الذى صيغ عليه البيتـان ؛ فهما من الخفيف،وهو من البحور القليلة - أزعم - فى الشعر الجاهلى ، ولم يستخدمه - فيما اطلعت عليه-أحد آخر من شعراء هذا العصر فى لحظات الموت .

غير قاب قوسين – أو أدنى – فها هو ذا يموت بلا ذنب – على ما يدعيه – جناه ، وقومه – وأغلبهم من الرعاة – « يُنَتِّجُون السِّخالا » ؛ مشغولون بأموالهم وكيفية استثمارها – وفق ظروف بيئتهم – فلا بارك الله لهم فى تلك الأموال ، لارعوا – بإبلهم التى ينتجونها وسائر ما لديهم من السوام – بطن واد – خصيباً كان ، وهو ما وصف به البطن ، أو غير خصيب – ولا أمكنهم – مع حاجتهم وفق قانون الغاب الذى يسود مجتمعهم ويفرض عليهم الغزو تارة والتأهب تارة أخرى لرد الغزاة – غزو عدو – أى عدو – مع ما يستتبعه من افتقاد المغنم – إن كان الغزو من أجله – أو رد الاعتبار – فى حال الحرب من أجل الثأر أو الانتقام – ولا حازوا قِبالاً – أو أكثر أو أقل من القِبال – والقِبالُ : زمام النعل ، وهو شىء هين ، بل هو من أدنى الأشياء ، وفى مأثورهم – وقد ضَمَّن بعضه – « ما قطعت له قِبالاً ولا رزئته زِبالاً » . يعنى الشىء الحقير الذى لاقيمة له .

ثلاث دعوات فى بيت واحد تفجر مكنون غضبه على قومه الذين تخاذلوا عنه، ولم يسع أحد منهم – قريباً كان أو غير قريب – لتخليصه من سجنه ، وشغلتهم – فيما شغلهم عنه – الأموال وكيفية تنميتها ، فلا كانوا – كأنى به وهو يتضور ألماً – ولا كانت تلك الأموال .

مهلهل بن ربيعة التغلبى (*)

[٣٨]

(كامل / متدارك)

(*) **أخباره وترجمته** : أخبار المراقسة ص٢٣١رقم٣ / أدباء العرب (بطرس البستانى) جـ١ص٨٩ / الاشتقاق ص٦١، ٧٧، ٢٥٩، ٣٣٨، ٣٥٤، ٣٥٦ / الأصمعيات ٥٣، ٥٤ / الأعلام م٤ص ٢٢٠ / الأغانى (ط. الشعب) جـ٥ص١٦٨١ : ١٦٨٥، ١٦٩١ : ١٧٠٤، جـ٦ص ٢٢٠٧ : ٢٢٠٩ ، جـ ١٦ ص ٥٨٦٤ / الأمالى لأبى على القالى جـ١ص٤٧ ، ١٢٧، جـ٢ص١٠١ ، ١٤٥ : ١٤٧، جـ٣ص٣٠ / أمالى المرتضى جـ١ص١٢٣/ الأنوار ومحاسن الأشعار جـ١ص٣٠٧ / البرصان والعرجان جـ١ ص٢١٨ ، ٢٦٩ / بهجة المجالس جـ١ص٤٧٧، ٦٣١، ٧٤٥/ تاريخ الآداب العربية (نالينو) ص٦٨/ تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان)جـ١ص١١٨/ تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ص٢٨٢/ تاريخ الأدب العربى(فروخ) جـ١ص١١٠/ تاريخ الطبرى جـ٢ص٢٨٦/ تاريخ اليعقوبى جـ١ص٢٦٣/ التعريف فى الأنساب ص١١٥، ١١٦/ التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ص١١٥/ جمهرة أشعار العرب ص٩٨، ٤٥٨ : ٤٦٥/ الحلبة فى أسماء الخيل ص٤٨، ٦٢، ٩٥ / الحماسة البصرية جـ١ص٢٢، ٢٣٤ / حماسة الخالديين جـ١ص٤، ١٣٢، جـ٢ص٢، ٣٠٢، ٣٤١ / خزانة الأدب جـ٢ص١٦٤/ ديوان الأدب جـ١ص٣٣٦ / ديوان الحماسة لأبى تمام رقم٣١٧ / ديوان الشعرالعربى جـ١ص٤٠/ ديوان المعانى جـ١ص١٧٣، جـ٢ص١٧٦/ سبائك الذهب ص ١٠٧ : ١٠٩ / سمط اللآلى ص٢٦ : ٢٨، ١١١، ١١٢/ شرح اختيارات المفضل ص١٠٥٢/ شرح الحماسة للمرزوقى ص١٨٥، ١٨٩، ٥٩١، ٩٢٨ / شعراء النصرانية فى الجاهلية ص١٦٠/ الشعر والشعراء م١ص٢٩٧/ كتاب الصناعتين ص٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٣١٢/ صورة المهلهل فى التاريخ والأسطورة - د. عفيف عبد الرحمن - مجلة أفكار - العدد ٣٦، ٣٧ - الأردن - سبتمبر ١٩٧٧م - ص٦٣/ طبقات فحول الشعراء م١ص٣٩ : ٤١، م٢ص٧٩٦/ العرب قبل الإسلام ص٢٦٥ : ٢٦٧/ العقد الفريد جـ٣ص٥٤، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٧٦، ٢٧٩، ٣٠٩، جـ٦ص٦١ : ٦٧العمدة جـ١ص٣٠٨/ الفاخر ص٩٥/ الكامل فى التاريخ م١ص٤١٢، ٤١٣، ٤١٥ : ٤٢٣/ فى الشعر الجاهلى (طه حسين) ص ١٥٨ / الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص٢٥، ٩٦، ١٨٥ ، ٢٢١ ، ٣١٨، ٣٦٠، ٣٧٦/ مختار الأغانى جـ٦ص٣٠٢/ معجم الشعراء للمرزبانى ص٧٢ / معجم الشعراء (عفيف) ص٢٦٣رقم ١٨٣١/ معجم الشعراء فى لسان العرب ص٣٤٨ رقم ١٢٦٣ / المؤتلف والمختلف ص١٢رقم ٧ / موسوعة الشعر العربى جـ١ص١٨٧/ الموشح ص ٨٩ / نشوة الطرب ص٢٥٢ ، ٢٧٦، ٣٨١، ٤٤٣، ٦٠٧ ، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٤٢، ٦٤٦، ٨٠٤ / نقد الشعر ص٢٠، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٢١٤ / نوادر المخطوطات جـ٢ص٢٢٦، ٣٤٣.

[٣٨] كتاب البسوس ص١١٦/ خزانة الأدب جـ٢ص١٧٣، ١٧٤/ سمط اللآلى م١ص٢٧/ طبقات الشافعية جـ١ص١٤٦ ونسبهما لتاجر مصرى /العمدة جـ١ص٣٠٨. ومن المصادر الحديثة: أخبار المراقسة ص٢٦٦/ شعراء النصرانية فى الجاهلية ص١٧١/ شعر تغلب فى الجاهلية ص٢٢٠.

١ - مَـنْ مُـبْلِـغُ الحَيَّيْنِ أنَّ مُـهَلْهِـلاً   أمْـسَى قَـتِـيـلاً فى الفَـلاة مُـجَـدَّلا
٢ - للـهِ دَرُّكُـمـا ودَرُّ أبِيكُمـا   لا يَبْـرَح العَـبْـدانِ حَـتَّـى يُقْـتَـلا .

يتـداخل - فـيمـا يتـعلق بمُهَلْهِل - التـاريخى بالأسطـوري ؛ حتى ليـصـبح استخلاص صـورة علمية دقيقة له - وكذلك الـتمييز بين الصحيح من شـعره وغير الصحيح - أمراً عزيز المنال ، وتضطرب الأخبـار فى موته - زمناً ومكاناً وكيفية - أشد الاضطـراب ؛ فقد ذهبـت رواية إلى أنه ترك قومـه - بعد أن وضـعت حرب البسوس أوزارها - ورحل إلى أخواله - بنى يشكر - فظل فيهم إلى أن مات [١] .

وذهبت رواية ثانيـة إلى أنه غادر أخواله ونـزل فى حى من اليمن ، «فخـطب إليه رجل منهم ابنتـه ، فقـال : إنى طريد غـريب فيكـم ، وإن أنكحتكم قـال الناس اعتسروه فأكـرهوه حتى زوجها . . . ثم انحدر فلقيه عوف بن مـالك بن ضبيعة بن قـيس بن ثعلبة ، وهو أبـو أسمـاء صاحـبة المرقـش الأكبـر ، فأسـره فمـات فى إساره»[٢] . وكان عـوف قد أكرم نزله فى بداية الأمـر ، حتى شرب مـهلهل يوماً الخمر وغـلبه السكر فتغنى بمجـد قبيلته وتهـدد وتوعد ، وبلغ عوفاً مـا قاله - مع ماقاله كذلك من شـعر فى امرأته وهى تغلبية الأصل - فاقسم ألا يسـقيه الماء حتى يرد ربيب الهـضـاب ، وربيب - أو زبيب أو دنيب أو الحـصين أو الخضـيـر على اختلاف فى التسمية - جمل له لايرد قـبل خمسة أيام فى حمارة القيظ - وتبلغ به روايات أخرى عشرة أيام - فطلبوه فلم يقـدروا عليه ، ومات المهلهل عطشاً [٣] .

وقيل بل تحلل عوف من قسمه وسقاه من ماء موبوء فقتله [٤] .

---

(١) ديوانه (ت . طلال حرب) ص١٨مقدمة .

(٢) الشعر والشعراء م١ص٢٩٨، ٢٩٩ .

(٣) الأغـانى (ط . الشـعب) جـ٥ص١٦٩٦، جـ٦ص٢٢٠٨ . سـمط اللآلى م١ص٢٧ . نوادر المخطوطات جـ٢ص٢٢٦ .

(٤) الأغانى (ط . الشعب) جـ٥ص١٦٩٦ .

وتذهب رواية ثالثة - وهى ما يصاحبهـا النص - إلى أنه كان قد اتخذ عبدين له يغيـر بهمـا - بعد أن سئـمت بكر وتغلب الحرب بينهـما - على قـبائل بكر ، فـ«شق عليهـما مـا يكلفهمـا من الغارات وطلب الثـارات ، فأرادا قتله ، فـقال : أوصيكما أن ترويا عنى بيت شعر . قالا : وما هو ؟ قال :

مَنْ مُبْلِغُ الحَيَّيْنِ أَنَّ مُهَلْهِلاً   للـهِ دَرُّكُمـا ودَرُّ أَبِيكُـما

فلما زعـما أنه مـات قيل لهـما : هل أوصى بشىء ؟ قالا : نـعم ، وأنشدا البيـت المتقدم ، فـقالت ابنتـه : عليكم بالعـبدين فإنمـا قال أبى : ...» [5] . ثم ذكرت البيتين .

وإذن فقد مـات مهلهل فى اليمن - حسب الرواية الأولـى - أو فى ناحية من نواحى هجر - حسب الرواية الثانية - أو فى مكان آخـر غير معلوم - لم تحدده لنا الرواية الثالثة - بعد أن تقدم به العمر ؛ مـوتاً طبيعياً - فى أخواله بنى يشكر - أو بسبب العطش أو المـاء الموبوء - فى أسره - أو قتل غـدراً - خارج أرض قبـيلته - على يد العبدين .

ويمتد الخلاف ليشمل السنة نفسها - وإن كان تحديد السنوات فيما يتعلق بتاريخ

---

(٥) العمدة جـ١ص٣٠٨ . خزانة الأدب جـ٢ص١٧٣، ١٧٤ . ديوان مهلهل بن ربيعة ص١٨مقدمة . وفى سـمط اللآلى - م١ص٢٦، ٢٧ - « ومن أغـرب مـا ورد فى هذا البـاب أن بكراً وتغلب لما سئموا الحرب وطال ذلك عليـهم اتخذ مهلهل بن ربيعة عبدين فكان يغيـر بهما على قبائل بكر ، فسئم العبدان أيضاً ذلك ، فأجمعا على قتل سيدهما ، فلما تيقن مهلهل أنهما قاتلاه قال إن كنتما لابد فاعلين فأبلغا الحى وصيتى ، ثم أنشأ يقول :

مَنْ مُبْلِغُ الأَحْياءِ أنَّ مُهَلْهِلاً   للــهِ دَرُّكُـمُ ودَرُّ أَبِيكُـمُ

فقـتلاه ،ثم رجعا إلى الحى فـقالا : إن مهلهـلاً مات ودفناه بموضع كذا . قـالوا : فهل وَصَّى بشىء ؟ قالا : نعم . قـال وأنشدوا البيت ، فلم يدر القـوم ما معنى ذلك ، حتى أتت ابنتـه وكانت غائبة عند زوجـها فى بعض الأحياء ، فأنشدوهـا ما قال أبوها ، فقالت إن أبى يخبـركم أن العبدين قتلاه ، ثم قالت إنما أراد : ...» . وذكر - مع اختلافات طفيفة فى بعض الألفاظ - البيتين .

ما قبل الإسلام يخضع فى أكثر الأحوال لما يمكن أن نسميه بغلبة الظن أو الاحتمال . فقد كانت وفاته سنة ٥ م - على ما ذهب إليه أبكاريوس [٦] ولويس شيخو [٧] - أو سنة ٥٢٥ م - على ما جاء فى الأعلام [٨] - أو سنة ٥٣٠ م - على ما ذكره الدكتور عمر فروخ [٩] وتابعه الدكتور عفيف عبد الرحمن فيه [١٠] - أو سنة ٥٣١ م - على ما انتهى إليه آخرون [١١] - وتشير هذه التواريخ - على ما بينها من اختلاف - إلى أن وفاته كانت فى الثلث الأول من القرن السادس الميلادى.

ويمكننى الزعم - فى محاولة لا أملك فيها غير الظن للتوفيق بين هذه الروايات - أن هناك شخصين - لا شخصاً واحداً - خلطت بينهما المصادر - وتداخلت فيما يتعلق بهما الأخبار - هما «عدى» و«امرؤ القيس» ابنا ربيعة - وكلاهما أخ لكليب - ولم يكن المهلهل - فى رأيى - إلا أحدهما ، وهذا يفسر الاختلاف أولاً فى اسمه ؛ فقد سماه بعضهم عَدِيّاً [١٢] ، وسماه آخرون امرأ القيس [١٣] . وفى

(٦) روضة الأدب ص٢١٨.

(٧) شعراء النصرانية فى الجاهلية ص١٧١

(٨)م٤ص ٢٢٠.

(٩)تاريخ الأدب العربى جـ١ص ١١٠

(١٠) معجم الشعراء من العصر الجاهلى حتى نهاية العصر الأموى ص٢٦٣

(١١) تاريخ آداب اللغة العربيةجـ١ص١١٨ . معجم الشعراء فى لسان العرب ص٣٤٨ . وفى أخبار المراقسة - ص٢٦٨ - يقول السندوبى : «وزعموا أن وفاته كانت فى الثلث الأول من القرن السادس الميلادى وحددها بعض المستشرقين بسنة ٥٣١م . وهذه تقديرات لا يمكن الاعتماد عليها كحقيقة واقعة ، ولكنها تؤخذ بطريق الاستئناس لا غير».

(١٢) خزانة الأدب جـ٢ص١٦٤ . الشعر والشعراء م١ص٢٩٧ . طبقات فحول الشعراء م١ص٣٩ . العمدة جـ١ص٨٦.

(١٣) سمط اللآلى م١ص١١١ . معجم الشعراء للمرزبانى ص٧٢ . المؤتلف والمختلف ص١٢ . وفى الأغانى (ط. الشعب)جـ٥ص١٧٠١ : «قال أبو عبيدة اسمه عدى . وقال يعقوب بن السكّيت : اسمه امرؤ القيس» .

أخبار المراقسة : « وزعموا أن أولاد ربيعة بن الحارث كانوا خمسة : كليب ، وعدى ، وامرؤ القيس ، وسلمة ، وعبد الله» [١٤] . وفى شعراء النصرانية : «وكان لكليب أربعة إخوة ؛ عدى وامرؤ القيس وسلمة وعبد الله »[١٥] . وقرأت للمرزبانى – وهو الخيط الذى دفعنى إلى التمييز بين الرجلين – فى معجم الشعراء: « وقيل إن عدياً هذا هو أخو مهلهل ، وأحسب أنه هو الصحيح إن شاء الله»[١٦] . وكان المرزبانى قد سمى مهلهلاً امرأ القيس ، وأشار إلى أن ابن سلام سماه عدياً ، وقد تابع ابن سلام آخرون فى هذه التسمية محتجين بقول الحرث بن عباد :

«لَهْفَ نَفْسِى على عَدِىٍّ ولم أعْـ ـرِفْ إذْ أمْكَنَتْنِى اليَدانِ» .

لكنه رأى التمييز بينه وبين مهلهل ، واعتبره – وإن لم يجزم به – أخاً له ، ثم ترجم بعدها لعدى ، وقال فى ترجمته له : « عدى بن ربيعة التغلبى أخو مهلهل ابن ربيعة ، هو القائل لما مات أخوه مهلهل قصيدة ذكر فيها من قُتل فى حروبهم مع بكر ، يقول فيها :

ما أُرَجِّى فى العَيْشِ بعدَ نَدامَى قد أراهُمْ سُقُوا بكَأسِ حَلاقِ
بعد عَمْرٍو وعامرٍ وحُيَىٍّ وقَتِيلَىْ صَدُوفَ وابنِ عَنَاقِ

كل هؤلاء من تغلب .

وامْرِئِ القَيْسِ مَيِّتٌ ما كَرَمٍ أَوْدَى وخَلَّى علىَّ ذاتَ العَرَاقِى

---

(١٤)أخبار المراقسة ص٢٣٤ .

(١٥)شعراء النصرانية فى الجاهلية ص١٥٤ .

(١٦)معجم الشعراء ص٢٠٧ وقرأت كذلك فى العمدة – ج٢ص٢٠٦ – « ... وهى سلمى بنت عدى بن ربيعة أخى مهلهل ، هكذا أثبتوا فى هذا الموضع أن عدياً أخو مهلهل » . وفى سمط اللآلى – م١ص١١١،١١٢ – «ومن قال إن اسمه امرؤ القيس يروى هذا البيت :

ضَرَبَتْ صَدْرَها إلىّ وقالتْ يا امْرَأَ القَيْسِ حانَ وَقْتُ الفِراقِ

ويقول إن هذا» – يعنى عدياً – «إنما هو أخوه» .

ما ههنا صلة ؛ أراد ميت كرم ، وامرؤ القيس هو مهلهل بن ربيعة»(١٧) .

وإذن فعديّ غير مهلهل - ومهلهل هو امرؤ القيس - والذى مات فى أسره - عطشاً أو قتلاً - هو عديّ ، وعليه فإن امرأ القيس هو المقتول - ولا يوجد ما يتعارض من ثم - على يد العبدين ، ولا التفات لما ذكره طلال حرب فى مقدمته للديوان أن مهلهلاً مات - موتاً طبيعياً - فى أخواله بنى يشكر - وهو ما أشرت إليه فى الرواية الأولى - لأن المصادر التى سجلت رحيله إلى أخواله باليمن - واعتمدها هو نفسه - أضافت - وهى الرواية الثانية - أنه غادرهم وانتقل عنهم إلى غيرهم ثم مات بعدها فى الأسر .

هذا التمييز - وهو قائم كما أشرت على الظن أو الاحتمال ويدعمه ما ذهب المرزبانى إليه - يفض - إلى حد ما - الإشكال ؛ لأن موت أحد الرجلين - وهو عدى - فى أسره لايمنع موت الآخر - وهو امرؤ القيس - على يد العبدين ، وأرجح - وهو ما ذهب المرزبانى كذلك إليه - أن هذا الأخير هو مهلهل ، ومهلهل - كما ذكر الآمدى وغيره - لقب غلب عليه .

لكن يبقى إشكال آخر - أثاره هذه المرة ابن رشيق - يتعلق بالقصة نفسها ؛ فهى تشبه - كما ترى - ما حدث لمرقش الأكبر - وقد مضى بنا قبل قليل - قال ابن رشيق - بعد أن أورد القصة والنص - : «ورويت هذه الحكاية لمرقش الأكبر»(١٨) . وقال البكرى : « . . وقيل إن البيت الذى أنشدناه لمهلهل هو لمرقش الأكبر» (١٩) . ثم أورد خبره ومقتله . وكان المرقش معاصراً لمهلهل ، ولا استبعد وجود تشابه فى نهاية الرجلين ، ولا استبعد أن يكون هذا التشابه قد دفع إلى نوع من التداخل والخلط ، لكنَّ القصتين وإن تشابهتا فى بعض الخطوط تختلفان فى خطوط أخرى ، ويختلف كذلك ما قيل فيهما - وهو الأهم - من الشعر .

(١٧) معجم الشعراء ص٧٢، ٧٣ .

(١٨) العمدة جـ١ص٣٠٨

(١٩) سمط اللآلى م١ص٢٨ .

الخيانة قاسم مشترك فى الموقفين ، والحث على الانتقام من العبدين قاسم آخر ، لكنه يقوم فى الأولى على الكتابة - كتابة عدد من الأبيات على رحل البعير وكان المرقش يجيدها - والوصية برواية بيت واحد لا أكثر - هذا البيت ملفق من صدرى بيتين - فى الثانية ؛ يقوم أساساً على الإلغاز ، وقد أتمه - كما يقول الخبر - أو فك شفرته - بلغة العصر - أقرب الناس - وهى ابنته - إليه .

لايعرف الغُفَلِىُّ فى الأولى - ولا زوجه التى كانت بصحبته - عن أمر الرسالة شيئاً ، ويحملها فى الثانية العبدان ويؤديانها دون أن يعلما بمضمونها الحقيقى ولا بما ترمى إليه إلى القبيلة ، ويتحقق القصاص - بالقتل - فى الحالين .

«من مبلغ الحيين» - أو «الأحياء» أو «الأقوام» على ما جاء فى روايات أخرى - وهى عبارة طالما ترددت على لسان غيره فى مثل هذه اللحظات ، تجعل من النص - وقد صدره بها - رسالة ذات مضمون ؛ ومضمونها - فى إيجاز - «أن مهلهلاً» - ولايمكن بطبيعة الحال أن يكون «لله دركما ودر أبيكما» كما لفق البيت ، وهو ما انتبهت إليه ابنته فأتمته على الفور - «أمسى» - مع ما تحمله الكلمة فى طياتها من معانى الانتهاء - «قتيلاً» - أو صريعاً - فى الفلاة مجدلاً ، فلا يبرح العبدان - وتلك هى الوصية التى أخفاها بذكاء شديد منه عن العبدين - حتى يُقتلا ، ويُقتص - بعد أن عجزت يداه عن القصاص - منهما .

وقد ذكرهما - فى إطار الحض على تنفيذ هذه الوصية الأخيرة والاستجابة لها - بالله ورباط الدم ، مستخدماً العبارة التقليدية التى وجدناها عند غيره «لله دركما ودر أبيكما» بخطاب الاثنين وهما الحيان المشار إليهما بداية ، أو «لله دركم . . .» بخطاب الجماعة كما جاء فى رواية أخرى للبيت .

لم يطل النص إذن ، لكنه - على قصره - أدى المضمون الذى صيغ أساساً من أجله ، وهو كغيره من النصوص التى قيلت فى شكل رسالة - عند مواجهتهم للموت وإحساسهم بالرحيل والانتقال - له «هدف» يطمح إلى تحقيقه فى الأساس - وقد حققه ههنا - دون أن يخلو - فى بعض الأحيان - من «الفن» ؛ فى حدود ما تسمح اللحظة نفسها به ، وما تسمح به كذلك - وهو الأهم - قدرة الشاعر - أو الشاعرية - وما قد يمتلكه من العبقرية والأصالة والصدق .

يزيد بن خذاق (*)

[٣٩]

(بسيط / متواتر)

١ - هَلْ للفَتَى من بَنَاتِ الدَّهْرِ من واقِ ... أمْ هل له من حِـمـامِ المَوْتِ من راقِ
٢ - قد رَجَّلُونِى وما بالشَّعْرِ من شَعَثٍ ... وألْبَـسُونِى ثِيـاباً غَـيْـرَ أخْـلاقِ
٣ - ورَفَّـعُونِى وقـالُوا أيُّمـا رَجُلٍ ... وأدْرَجُـونِى كَـأنّـى طَىُّ مِـخْـراقِ
٤ وأرْسَلُوا فِـتْيَـةً من خَيْـرِهم حَسَباً ... لِيُسْنِدُوا فى ضَـرِيحِ القَـبْـرِ أطْبـاقِى
٥ - وقَـسَّمُـوا المالَ وارْفَضَّتْ عَـوائدُهُمْ ... وقـالَ قـائلُهـم مـاتَ ابنُ خَـذَّاقِ
٦ - هَوِّنْ علـيكَ ولا تُولَعْ بإشْـفـاقِ ... فـإنَّمـا مـالُنا للوارِثِ البـاقِى
[٧ كأنّنِى قد رَمـانِى الدَّهْرُ عن عُرُضٍ ... بنـافِـذاتٍ بلا رِيشٍ وأفْـواقِ].

هذا النص نسبـه المفضل الضبى - فى كتابه «المفـضليات»(١) - إلى المُمَزَّقِ

(*) **ترجمتـه وأخباره** : أسماء الخيل ص٨٣/ الاشتقاق ص٣٣١/ الأعـلام م٨ص١٨٢/ الأمالى لأبى على القالى جـ٢ص٢٢٦، ٢٣١/ بهـجة المجالس جـ١ص٣٨٩، جـ٢ص٣٢٠/ التنبيه على أوهام أبى على فى أماليـه ص٢٣/ الحلبة فى أسـماء الخيل ص٩٥، ٩٨/ الحمـاسة البصرية جـ١ص٥١، جـ٢ص٢٨٤/ حماسة الخالديين جـ١ص٩، ١٣٦/ الحيـوان جـ١ص٣٢٧، جـ٦ ص١٤٩ / سمط اللآلى م٢ص٧١٣/ شرح المفضليات ص٢٢٢/ الشعر والشعراء م١ص٣٨٦ / طبقات فحول الشعراء م١ص٢٧٥ : ٢٧٧/ العقـد الفريد جـ٣ص١٧٦/ معجم الشعراء للمرزبانى ص٤٢٥ / معجم الشعراء (عفيف)ص٢٨٤رقم ١٩٥٩/ معجم الشعراء فى لسان العرب ص٣٧٦ رقم ١٣٧٧/ المفضليات ص٢٩٥، ٢٩٧/ موسوعة الشعر العربى جـ٣ص٤١٩/ الوحشيات ص٢٢٢.

[٣٩] الشعر والشعراء م١ص٣٨٦ وقد اعتمدت روايته / جمهرة الأمثال (ط. بمباى)ص٢٠٧/ سمط اللآلى م٢ص٧١٣، ٧١٤/ شرح المفضليات ص٦٠٠ : ٦٠٢/ طبقات فحول الشعراء م١ ص٢٧٥ : ٢٧٧ / العقد الفريد جـ٣ص١٧٦، ١٧٧/ المفضليات ص٢٩٩، ٣٠٠رقم ٨٠.

(١) ص٢٩٩

العَبْدى[٢] ، وأشار ابن سلام - فى «طبقات فحول الشعراء» [٣] - إلى اختلافهم فى نسبته ، ورجح محققا المفضليات - وهو ما ترجح لدىّ كذلك - نسبة الأبيات ليزيد بن خذاق ؛ فقد «نقل الأنبارى عن أبى عبيدة أنها ليزيد بن خذاق»[٤] . ونقل كذلك ابن قتيبة [٥] والبكرى [٦] عن أبى عمرو بن العلاء أن ليزيد هذا أول شعر قيل فى ذم الدنيا - يعنى هذه الأبيات - والبيت الخامس - وقد جاء فى بعض النسخ المخطوطة للمفضليات كما أشار المحققان ، وأثبتته المصادر الأخرى - صريح فى نسبتها إليه .

ويدخل هذا النص - وصاحبه جاهلى قديم - ضمن ما يطلق عليه «الأوليات» - مع تحفظنا على هذه التسمية - فهو «أول شعر قيل فى ذم الدنيا» -

---

(٢) شاعر جاهلى قديم مات قبيل القرن الخامس الميلادى . انظر ترجمته وأخباره فى : الاشتقاق ص٣٣٠ / الأعلام م٣ص١٥٢/ الأمالى لأبى على القالى جـ٢ص٣٥٢/ البيان والتبيين جـ١ص٣٧٥ / تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان)ص١٦٥/ تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) جـ١ص١١٩ / تاريخ الأدب العربى (بلاشير)ص٢٨٧/ جمهرة الأمثال ص٢٠٧ / جمهرة أنساب العرب ص٢٨٢/ حماسة البحترى ٩٧، ١٤٥، ٢٢١/ الحماسة البصرية جـ١ص١٢٦ ، جـ٢ص٤٨/ الديباج ص١٠/ ديوان الأدب جـ١ص٣١٩، جـ٢ص٢٣١، ٣١٩/ سمط اللآلى م٢ص٧١٣، ٧١٤/ شرح اختيارات المفضل ص١٢٦٩، ١٢٨٩، ١٢٩٢/ شرح شواهد المغنى جـ٤ص٥٩٠/ الشعر والشعراء م١ص٣٩٩/ طبقات فحول الشعراء م١ص٢٧٤/ العقد الفريد جـ٢ص٣١، ج٣ص٢٧٤/ المزهر جـ٢ص٣٣٢، ٤٢٦، ٤٩٠/ معجم الشعراء للمرزبانى ص٤٢٥ / معجم الشعراء (عفيف)ص٢٦١ رقم ١٨١٠/ معجم الشعراء فى لسان العرب ص٣٤٤رقم١٢٤١ / المفضليات ص٢٩٩، ٣٠١ / المؤتلف والمختلف ص٢٤٤ رقم ٦٣٩/ موسوعة الشعرالعربى جـ٣ص٤١/ نوادر المخطوطات جـ٢ص٣٤٢.

(٣) م١ ص٢٧٥.

(٤) المفضليات ص٢٩٩هـ.

(٥) الشعر والشعراء م١ص٣٨٦.

(٦) سمط اللآلى م٢ص٧١٣.

على ما ذكره أبو عمرو بن العلاء – وهو – كما جاء فى العقد الفريد(٧)– أول ما قيل فى رثاء النفس ؛ « قال ابن قتيبة : بلغنى أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره يزيد بن خذاق فقال : . . » . ثم أورد الأبيات – مع اختلاف طفيف فى الألفاظ لايتجاوز أربع كلمات – كما جاءت فى الشعر والشعراء .

«هل للفتى» – عند اكتمال قوى الإنسان ؛ جسدياً وعقلياً ونفسياً ، وهو ما قد تعنيه على ما أفهم (الفتوة) باعتبارها – ههنا – مرحلة زمنية يبلغ فيها الإنسان حد الاكتمال – «من بنات الدهر» – وهو التعبير الذى سيشيع فيما بعد عن المصائب والمحن – «من واق» – أى واق – وهل له من الردى – حِمام الموت – من راق ؟! استفهامان – فى مفتتح الأبيات – يعبران عن الدهشة ، ويحملان – فيما يحملان – معنى النفى ؛ فلا شىء يقى من الدهر – العدو الحقيقى للإنسان كما تمثله الشاعر الجاهلى – ومصائبه ، ولاتنفع الرقى إزاء الموت ؛ فهو حتم – كما انتهت إليه قناعتهم – ولا مفر لأحد منه .

الدهر والموت إذن – وهناك لاشك تلازم بينهما – هما الشاغلان الأساسيان منذ اللحظة الأولى ؛ الدهر الذى يرمى ويأخذ – كما يقول أحد الدارسين – «صفة حيوان شرس معتد يستهدف الإنسان ويفتك به» وتأخذ عنه بناته «هذه الصفات ، فهن ضوار يستهدفن الإنسان ويفتكن به» (٨) والموت الذى قد حُمَّ ؛ قُضِىَ وقُدِّرَ ، أو اقترب – على ما يفسره شارحا المفضليات ، وهو مما فات المعاجم ذكره – مع ما يتطلبه هذا الاقتراب من الاحتراز – إن كان ثمة جدوى منه – بالرقى ونحوها ، وما يتطلبه الرمى – رمى الدهر بمصائبه – من الوقاية ؛ فتكون تلك الكلمتان – «واق» و«راق» – قد وضعتا فى مكانهما بدقة ولا مجال

---

(٧) جـ٣ص١٧٦ .

(٨) رثاء النفس فى الشعرالعربى ص٢٥ .

لتبادل المواقع بينهما كما صنع ابن عبد ربه - مخالفاً سائر المصادر - فى روايته لهذا البيت .

ويمتلك الموت مشاعره ، ويزداد - وهو يواجهه - إحساساً بقربه منه ، ويستشرف - على نحو ما سوف يصنع آخرون كمالك بن الريب - ما سوف يؤول - بعد لحظات - إليه ؛ فيتراءى له القوم وقد رجلوه - نظفوا له شعره وسرحوه وصففوه - ولم يرجلوه من شعث - أى من تفرق وانتفاش - بالشعر وإنما هو (التغسيل) - على ما يبدو - استعداداً للدفن ، وألبسوه ثياباً جديدة - غير أخلاق - هى (الأكفان) .

تقسيم آخر يطرحه الشاعر فى هذا البيت ، فـ «ترجيل الشعر ولبس الثياب فى الحياة مظهر جمالى فيه دلالة القوة والشباب والحيوية ، بينما الترجيل هنا يختلف ؛ فهو ترجيل شعر ميت ، واللبس كذلك يختلف ؛ إنه لباس من نوع آخر لم يتعوده الشاعر فى حياته ؛ إن كلاً من لفظى (الترجيل) و(اللباس) يستبطنان معنيين يتصلان بالحياة والموت ، وقد مزج الشاعر بينهما مزجاً عجيباً ، فالشاعر مرجل ويلبس ثياباً غير بالية ولا ممزقة ، كل هذا مظهر دنيوى جمالى عادى ، غير أن الجانب الآخر للموضوع أنه بهذا الترجيل يهيأ للموت وليس للاستمتاع بالمظهر الجمالى الدنيوى»[٩] .

السخرية إذن - وليس الاكتفاء بتسجيل الواقع ونقله كما هو - هى ما يمكن استبطانه - كما استبطنه الباحث ولم يصرح به - من الترجيل وارتداء الجديد أو النفيس من الثياب ، وكأنه مقدم على لحظة من لحظات الاستمتاع بالدنيا - كالعرس ونحوه - بينما هو يُهيأ - دونما إرادة منه - لما يسمى بطقوس الدفن .
ومثل هذه السخرية نلمحها كذلك فى «بنات الدهر» ، مع ما قد توحى به كلمة بنات ظاهراً من الرقة والنعومة والبراءة والجمال ، وهى فى الحقيقة - أو فى واقعه

(٩) المرجع نفسه والصحيفة .

المر وواقع مجتمعه - رمز - كما أشرت - للمصائب والمحن التى يرمى بها الزمن - أو الدهر - الإنسان .

ونمضى إلى البيت الثالث لنراهم وهم يُطَيِّبُونه - فى رواية - يرشون على جسده ورأسه الطيب ويدهنون جلده وشعره به - وكأنه كما قلت مقدم على لحظة من اللحظات الرائعة التى نستعد لها عادة بوضع الطيب - فيمتد خيط السخرية - دون التخلى عن الواقع المشغول منذ البيت الثانى باستشرافه وتسجيل أحداثه - أو وهم يرفعونه - كما جاء فى رواية أخرى هى الرواية السائدة - وهو على ما أفهم الحمل فوق الأعناق ؛ حمل الجثة - أو الجنازة - فى نعش - كما نصنع - ونراهم كذلك وهم يرددون - فى تلك الأثناء - كلمات الإعجاب بالمحمول - وهل هذا موضع الإعجاب ؟ - «وقالوا : أَيُّما رجل» !! لقد عاش ما عاش ... وكان ... وهو من هو ... هو ابن فلان وفلان ... إلى آخر هذه الكلمات التى تلوكها الألسن وتتشدق بها الأفواه ، لكنَّ صاحبها - المحمول الآن كما يتخيل فوق الأكتاف ، والذى تقال فيه مثل تلك الكلمات - لاحول له ولا قوة ، لقد صار مجرد جثة ، سوف تُلقى - عما قليل - فى التراب ، وتدوسها بعدُ الأقدام !!

ها هم أولاء يضعونه كأنه «طَىُّ مِخْراق» ، والمخراق - كما يقول الشيخ محمود شاكر رحمة الله عليه فى تفسيره للبيت - «ثوب أو خرق تُلف وتلوى ، ثم يضرب الصبيان به بعضهم بعضاً . يذكر لين جسد الميت وتثنيه وسكونه ، فهو يطوى فى الكفن ، كأنه ثوب يطوى على ثوب ليس بصلب ولا متماسك»(١٠) . ألم أقل لك من قبل : لاحول له ولا قوة ؟! ففيم الإعجاب ؟! وفيم تلك الكلمات التى يرددها بعض المشيعين فى غباء وقد ينم بعضها فيما ينم

(١٠) طبقات فحول الشعراء م١ص٢٧٦هـ٢.

عن الحسد ؟! وهل يُحسد من صار - وكل سيصير - إلى تلك الحال ؟!

ونرى - فى معرض استشراف الشاعر لما هو آت - «فـتية من خيرهم حسباً» - ولا أعرف مـاذا يغنى الحسب الرفـيع ههنا إلا أن تكون السخـرية هى الباعث الحقـيقى لهذا الوصف - قـد أرسلوا بهم ليعدوا الضـريح - وقد أصبحنا وجـهاً لوجه أمام عملية (الدفن) - ويتلقون جثته ويضعونها فى رفق داخل اللحد .

ثم نترك الميت - فى مـثواه الأخيـر - لنرى - وقد انتقلت بنا العـدسات - الورثة وهم يقسمـون فيما بينهم الأموال ، ثم يَرْفَضُّـونَ عنه - وينفض الحشد ، ويتـسلل كل إلى دنياه - وهم يـرددون : « مات ابن خـذاق» . يرددها بعضـهم حزناً عليه ، ويرددها آخرون - ربما - شمـاتة ، ويرددها فريق ثالث كما يرددون - بلا معنى - غـيرها من الكلمات . مـات ابن خذاق ، فهل توقـفت الدنيا ؟! مات ابن خذاق ومـا أخذ معه شـيئاً مما جمع من المال ، لم يعـد له من الدنيا - وكانت منذ قليل ملك يديه - غير شق - أهون به من شق - فى التراب !!

لكنه - وبرغم هذا كله - يُـفاجِـئُنا - فى البيت الـسادس - بتلك الكلمـة البـسيطة - والحكـيمة فى آن - «هَوِّنْ عليك» ؛ فلسفة تُبـنى - حين لايبقى أمام المرء أى مجال للاختيار - على قبول الواقع ، والرضا - حين لانملك القدرة على الرفض - بما جرى ؛ فقد جرى ، وما قد حُمَّ - أو جفت به الأقلام - حُمَّ .

هون عليك ولا تولع بإشـفـاق - والإشفـاق هو الخوف ؛ أراد كـما يقـول الشراح من الموت أو الـفقر ، أو وهو مـا أضيف من أى شىء آخـر ؛ فلا شىء على الإطلاق يستـدعى الإشفاق ، ولذا أتى بالكلمـة نكرة - لماذا ؟ لأن مالنا - الذى اجتهدنا فى الحصول عليه ونـالنا فيه ما نالنا من النصب أو التعب وشُغلنا به عن كل شىء حتـى ربما عن أنفسنا وعن التـمتع به قبل مـجىء الموت - للوارث الباقى ، فـليهنأ الآخرون بـه هناءهم بالبقـاء بعدنا ، وكأنه - عـلى ما أحس - يغبطهم على الأمـرين معاً ؛ تحول المال إليهم دون تعب مـنهم - كما تعب - أو

شقاء ، والبقاء - وإن كان إلى أجل - فلا تكون كلمة «الباقى» بعد « الوارث» من باب الصلة أو مقتضيات القافية كما قد يُظَن .

ثم يجىء بيت الختام عوداً - كما يقال - على بدء ، وتلخيص رائع للتجربة؛ لقد رماه الدهر - الدهر إذن وللمرة الثانية هو المحرك الخفى للأحداث، وهو الخصم الألد فى حلبة الصراع الأزلى ، والعدو الحقيقى للإنسان - عن عرض - أى جانب - لا وجهاً لوجه - فعل الأنذال - بسهام نافذة - وحق لها حين ترميها يد كيده النفاذ - بلا ريش - كتلك السهام التى نعرفها - ولا أفواق .

عزاؤك إذن يا يزيد أنك - وقد صرت إلى ما صرت إليه من الهلاك - كنت تنازل عدواً ليس كسائر الأعداء ، لايعرف الرحمة ولا الشفقة ، ويرمى حين يرمى عن عرض ، وليس لبناته - كما قلتَ أولاً - أو سهامه - كما قلتَ أخيراً - غير التغلغل والنفاذ ، هو - وقد صرحتَ به حين عجز آخرون كثيرون غيرك عن التصريح وراحوا يبحثون عن الذيول أو الأذناب - «الدهر» أو الزمان .

مصادر البحث ومراجعه

أ

١ - **الإبداع الموازى (التحليل النصى للشعر)** - د . محمد حماسة عبد اللطيف - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ٢٠٠١ م .

٢ - **اتجاه معاصر فى دراسة الشعر العربى القديم ؛ الاتجاه الأسطورى : عرض وتقويم** - د . محمد أبو المجد على - حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (الحولية الثانية والعشرون الرسالة ١٨٨) - الكويت سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م .

٣ - **أخبار النساء** لابن قيم الجوزية - ت . هانى القاضى - المكتبة التوفيقية - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .

٤ - **أدباء العرب** - بطرس البستانى - ط ١ - دار المكشوف - بيروت سنة ١٩٣٤ م .

٥ - **الأدب الجاهلى فى آثار الدارسين قديماً وحديثاً** - د . عفيف عبد الرحمن - دار الفكر للنشر والتوزيع - عَمَّان سنة ١٩٨٧ م .

٦ - **أدب الدنيا والدين** لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى - دار الفرجانى - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

٧ - **الأدب العربى فى الجاهلية والإسلام** - عمر رضا كحالة - المطبعة التعاونية - دمشق سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ م .

٨ - **أدب المجالسة وحمد اللسان** لأبى عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر - ت . سمير حلبى - ط١ - دار الصحابة للتراث - طنطا سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

٩ - **الأزمنة والأمكنة** لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى - ط١ - حيدر أباد الدكن سنة ١٣٣٢ هـ .

١٠ - **كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية** لأبى على محمد بن المستنير قطرب - ت . د . حنا جميل حداد - مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

١١ - **أسد الغابة فى معرفة الصحابة** لأبى الحسن على بن محمد الجزرى المعروف بعز الدين بن الأثير - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

١٢ - **الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة** - د . مصطفى سويف - ط١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥١ م .

١٣ - **أسماء الخيل وفرسانها فى الجاهلية والإسلام** لابن الأعرابى - ت . جورجى دلافيدا - ليدن سنة ١٩٢٨ م .

١٤ - **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين** للخالديين أبى بكر محمد وأبى عثمان

سعيد ابنى هاشم - ت . السيد محمـد يوسف - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - جـ١ سنة ١٩٥٨ م ، جـ٢ سنة ١٩٦٥ م .

١٥ - **الاشتقاق** لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد - ت . عبد السلام محمد هارون - ط٣ - مكتبة الخانجى - القاهرة - بدون تاريخ .

١٦ - **الإصابة فى تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلانى - ت . عادل أحمد عبد المقصود وعلى معوض محمد - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

١٧ - **الأصمعيات** - د . أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - ط٤ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٦ م .

١٨ - **أصول الشعر العربى** - د . س . مرجليوث - ت . د . يحيى الجبورى - ط٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م .

١٩ - **الأصول الفنية للشعر الجاهلى** - د . سعد إسماعيل شلبى - مكتبة غريب - القاهرة سنة ١٩٧٧م .

٢٠ - **الأعلام** - خير الدين الزركلى - ط٩ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٩٠ م .

٢١ - **أعلام تميم** - حسين حسنين - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٨٠ م .

٢٢ - **أعلام الحضارة العربية الإسلامية فى العلوم الأساسية والتطبيقية** - زهير حميدان - وزارة الثقافة - دمشق سنة ١٩٩٥ م .

٢٣ - **أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام** - عمر رضا كحالة - ط٥ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

٢٤ - **الأغانى** لأبى الفرج على بن الحسين بن محمد الأصفهانى - ت . إبراهيم الإبيارى - دار الشعب - القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

٢٥ - **الاقتضاب** للبطليوسى - المطبعة الأدبية - بيروت سنة ١٩٠١ م .

٢٦ - **الأمالى** لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

٢٧ - **أمالى المرتضى** - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

٢٨ - **الأمثال** لأبى عبيد القاسم بن سلام - ت . د . عبد المجيد قطامش - دار المأمون للتراث - دمشق سنة ١٩٨٠ م .

٢٩ - **الأنساب** لسلمة بن مسلم العوتبى - وزارة التراث القومى والثقافة - مسقط سنة ١٩٩٥ م .

٣٠ - **أنساب الأشراف** للبلاذري - جـ١ - ت . محمد حميد الله - ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٧ م .
٣١ - **الأنوار ومحاسن الأشعار** للشمشاطي - ت . عبد الستار فراج - وزارة الإعلام - الكويت سنة ١٩٧٨ م .
٣٢ - **أيام العرب في الجاهلية** - محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م .
٣٣ - **أيام العرب قبل الإسلام** لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (جمع وتحقيق ودراسة) - د . عادل البياتي - ط١ - عالم الكتب - بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
٣٤ - **الإيناس في علم الأنساب** للوزير المغربي - ت . حمد الجاسر - النادي الأدبي - الرياض سنة ١٩٨٠ م .

ب

٣٥ - **البداية والنهاية** لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - ت . محمد عبد العزيز النجار - ط١ - دار الغد العربي - القاهرة سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
٣٦ - **البرصان والعرجان والعميان والحولان** لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ت . عبد السلام هارون - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .
٣٧ - **بلاغة الخطاب وعلم النص** - د . صلاح فضل - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .
٣٨ - **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** للسيد محمود شكري الألوسي - شرحه وضبطه : محمد بهجة الأثري - ط٣ - دار الكتب الحديثة - القاهرة - بدون تاريخ .
٣٩ - **بناء لغة الشعر** - جون كوين - ت . د . أحمد درويش - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٠ م .
٤٠ - **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري - ت . محمد مرسي الخولي - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
٤١ - **البيان والتبيين** لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ت . د . عبد السلام محمد هارون - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون تاريخ .

ت

٤٢ - **تاريخ آداب العرب** - مصطفى صادق الرافعي - راجعه وضبطه : عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري - مكتبة الإيمان - المنصورة سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧ م .

٤٣ - **تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية** - كارلو نالينو - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥٤ م
٤٤ - **تاريخ آداب اللغة العربية** - جرجى زيدان - راجعها وعلق عليها : د . شوقى ضيف - دار الهلال - القاهرة - بدون تاريخ .
٤٥ - **تاريخ الأدب العربى** - ريجيس بلاشير - ت . د . إبراهيم الكيلانى - دار الفكر - دمشق سنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
٤٦ - **تاريخ الأدب العربى** - عمر فروخ - ط٢ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٦٩ م .
٤٧ - **تاريخ الأدب العربى** - كارل بروكلمان - ت . عبد الحليم النجار - ط٥ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .
٤٨ - **تاريخ التراث العربى** - فؤاد سزكين - ت . د . محمود فهمى حجازى - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
٤٩ - **تاريخ الرسل والملوك** لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
٥٠ - **تاريخ سنى ملوك الأرض** لحمزة بن الحسن الأصفهانى - دار مكتبة الحياة - بيروت - بدون تاريخ .
٥١ - **تاريخ الموصل** ليزيد بن محمد الأزدى - ت . د . محمد على حبيبة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
٥٢ - **تاريخ اليعقوبى** لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .
٥٣ - **التأويل والتأويل المفرط** - امبرتو إكو - ت . ناصر الحلوانى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .
٥٤ - **تحليل الخطاب الشعرى (استراتيجية التناص)** - د . محمد مفتاح - ط٣ - المركز الثقافى العربى - الدار البيضاء سنة ١٩٩٢ م .
٥٥ - **التذكرة السعدية** لمحمد بن عبد الرحمن العبيدى - ت . د . يحيى الجبورى - مطابع النعمان - النجف الأشرف سنة ١٩٧٢ م .
٥٦ - **التذكرة الفخرية** للصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلى - ت . د . نورى حمودى القيسى ، د . حاتم صالح الضامن - ط١ - عالم الكتب - بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
٥٧ - **تراجم سيدات بيت النبوة** - د . عائشة عبد الرحمن - ط١ - دار الريان - القاهرة سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م .

٥٨ - **تشكيل الخطاب الشعرى (دراسات فى الشعر الجاهلى)** - د . موسى ربابعة - ط١ - مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - الاردن سنة ٢٠٠٠ م .

٥٩ - **التعازى والمراثى** لأبى القاسم محمد بن يزيد المبرد - ت . إبراهيم محمد حسن الجمل - نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٣ م .

٦٠ - **التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب** لأحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعرى القرطبى - ت . د . سعد عبد المقصود ظلام - دار المنار - القاهرة سنة ١٩٩٠ م .

٦١ - **التعليقات والنوادر** لأبى على هارون بن زكريا الهجرى - ت . د . حمودى عبد الأمير الحمادى - ط٢ - دار الشئون الثقافية العامة «آفاق عربية» - بغداد سنة ١٩٨٧ م .

٦٢ - **تعليق من أمالى ابن دريد** - ت . د . السيد مصطفى السنوسى - ط٢ - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .

٦٣ - **التفسير النفسى للأدب** - د . عز الدين إسماعيل - ط٤ - مكتبة غريب - القاهرة سنة ١٩٨٤م .

٦٤ - **التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه** لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

ج

٦٥ - **الجمهرة** لمحمد مهدى الجواهرى - ت . د . عدنان درويش - منشورات وزارة الثقافة - دمشق سنة ١٩٨٥ م .

٦٦ - **جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام** لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى - ت . على محمد البجاوى - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٨١ م .

٦٧ - **جمهرة الأمثال** لأبى هلال الحسن بن عبد الله العسكرى - ت . محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش - المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٦٨ - **جمهرة أنساب العرب** لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى - ت . عبد السلام هارون - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٢ م .

٦٩ - **جمهرة النسب** لهشام بن محمد الكلبى - ت . د . ناجى حسن - عالم الكتب - بيروت سنة ١٩٨٦ م .

٧٠ - **جمهرة اللغة** لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد - ت . د . رمزى منير بعلبكى - ط١ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٨٧ م . وطبعة حيدر أباد الدكن سنة ١٣٤٥ هـ .

٧١ - **جوهر الكنز** لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبى - ت . د . محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - الإسكندرية - بدون تاريخ .

ح

٧٢ - **حديث الأربعاء** - د . طه حسين - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٢ م .

٧٣ - **الحلبة فى أسماء الخيل المشهورة فى الجاهلية والإسلام** للصاحبى التاجى - ت . د . حاتم صالح الضامن - ط٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٧٤ - **الحماسة** لأبى عبادة الوليد بن عبيد البحترى - ضبطه وعلق حواشيه كمال مصطفى - ط١ - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٩٢٩ م وطبعة بيروت سنة ١٩١٠ م .

٧٥ - **الحماسة البصرية** لصدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى - ت . مختار الدين أحمد - ط٣ - عالم الكتب - بيروت سنة ١٩٨٣ م .

٧٦ - **الحماسة الشجرية** لابن الشجرى - ت . عبد المعين الملوحى وأسماء الحمصى - وزارة الثقافة - دمشق سنة ١٩٧٠ م .

٧٧ - **الحماسة المغربية** لأبى العباس أحمد بن عبد السلام التادلى - ت . محمد رضوان الداية - دار الفكر - دمشق سنة ١٩٩١ م .

٧٨ - **الحياة العربية من الشعر الجاهلى** - د . أحمد محمد الحوفى - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - بدون تاريخ .

٧٩ - **الحيوان** لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ت . د . عبد السلام محمد هارون - ط٣ - دار الكتاب العربى - بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م .

خ

٨٠ - **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادى - ت . عبد السلام محمد هارون - ط٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

د

٨١ - **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى** - ت . د . عبد الرحمن بدوى - ط١ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٧٩ م .

٨٢ - **دراسة الأدب العربى** - د . مصطفى ناصف - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة بدون تاريخ .

٨٣ - **الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور** لزينب بنت على العاملى - ط١ - المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة سنة ١٣١٢ هـ .

٨٤ - **دلالة الألفاظ** - د . إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٧٦ م .

٨٥ - **الديباج** لأبى عبيدة معمر بن المثنى - ت . د . عبد الله بن سليمان الجربوع ، د . عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - ط١ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .

٨٦ - **ديوان الأدب** لإبراهيم بن إسحق بن إبراهيم الفارابي - ت . د . أحمد مختار عمر - مطبوعات مجمع اللغة العربية - القاهرة سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٩ م .
٨٧ - **ديوان امرئ القيس** - ت . د . محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٥ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٠ م .
٨٨ - **ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي** - ت . د . عِزَّة حسن - دار الشرق العربي - بيروت سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .
٨٩ - **ديوان الحماسة** لأبي تمام - ت . د . عبد المنعم أحمد صالح - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .
٩٠ - **ديوان الشعر العربي** - على أحمد سعيد - المكتبة العصرية - صيدا - لبنان - بدون تاريخ .
٩١ - **ديوان الشنفرى (ومعه ديوان السليك بن السلكة وعمرو بن براق)** - إعداد : طلال حرب - ط١ - الدار العالمية - بيروت سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .
٩٢ - **ديوان طرفة بن العبد (شرح الأعلم الشنتمري)** - ت . درية الخطيب ولطفي الصقال - ط٢ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ٢٠٠٠ م . وطبعة الدكتور على الجندى - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
٩٣ - **ديوان عبيد بن الأبرص** - ت . د . حسين نصار - ط١ - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م .
٩٤ - **ديوان عنترة** - ت . محمد سعيد مولوى - المكتب الإسلامي - دمشق سنة ١٩٧٠ م . وطبعة صادر - بيروت سنة ١٩٦٠ م .
٩٥ - **ديوان المعاني** لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكرى - دار الجيل - بيروت - بدون تاريخ .
٩٦ - **ديوان مهلهل بن ربيعة** - شرحه وقدم له : طلال حرب - الدار العالمية - بيروت سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م .
٩٧ - **ديوان الهذليين** - القسم الأول ت . أحمد الزين ، والقسمان الثاني والثالث ت . محمود أبو الوفا - ط٢ - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٥ م .

ر

٩٨ - **الرثاء** - د . شوقي ضيف - ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
٩٩ - **رثاء النفس بين عبد يغوث بن وقاص الحارثي ومالك بن الريب التميمي** - د . إبراهيم الحاوى - مؤسسة الرسالة - بيروت - بدون تاريخ .
١٠٠ - **رثاء النفس في الشعر العربي** - د . عبد الله أحمد باقازى - المكتبة الفيصلية - القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

١٠١ - **رسالة الغفران** لأبى العلاء المعرى - ت . د . عائشة عبد الرحمن - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥٠ م .
١٠٢ - **الروض الأنف** لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى السهيلى - قدم له وعلق عليه وضبطه : طه عبد الرءوف سعد - دار الفكر - بيروت سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

ز

١٠٣ - **زمن النص** - د . جمال الدين الخضور - ط١ - دار الحصاد للنشر والتوزيع - دمشق سنة ١٩٩٥ م .
١٠٤ - **زهر الآداب وثمر الألباب** لأبى إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - ت . على محمد البجاوى - ط٢ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
١٠٥ - **الزهرة** لأبى بكر محمد بن داود بن على الأصبهانى - ت . د . إبراهيم السامرائى - ط٢ - مكتبة المنار - الأردن سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م .

س

١٠٦ - **سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب** لأبى الفوز محمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى - دار إحياء العلوم - بيروت - بدون تاريخ .
١٠٧ - **سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون** لابن نباتة المصرى - مكتبة الحلبى - القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
١٠٨ - **السليك بن السلكة أخباره وشعره** - ت . حميد آدم ثوينى وكامل سعيد عواد - بغداد سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
١٠٩ - **سمط اللآلى** لأبى عبيد البكرى - ت . عبد العزيز الميمنى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م .
١١٠ - **السيرة النبوية** لابن هشام - ت . مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى - ط٢ - مكتبة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

ش

١١١ - **شاعرات العرب فى الجاهلية والإسلام** لبشير يموت - ت . عبد القادر محمد مايو - ط١ - دار القلم العربى - حلب سنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
١١٢ - **شرح اختيارات المفضل** لأبى زكريا يحيى بن على التبريزى - ت . فخر الدين قباوة - مجمع اللغة العربية - دمشق سنة ١٩٧٢ م .

١١٣ - **شرح ديوان امرئ القيس (ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم فى الجاهلية وصدر الإسلام)** - حسن السندوبى - ط٧ - المكتبة الثقافية - بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

١١٤ - **شرح ديوان الحماسة** لأبى زكريا يحيى بن على التبريزى - ت . محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .

١١٥ - **شرح ديوان الحماسة** لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى - ت . أحمد أمين وعبد السلام هارون - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٥١ م .

١١٦ - **شرح شواهد المغنى** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - مكتبة دار الحياة - بيروت - بدون تاريخ . وطبعة دمشق سنة ١٩٦٦ م .

١١٧ - **شرح القصائد التسع** لأبى جعفر أحمد بن محمد النحاس - ت . أحمد خطاب العمر - وزارة الإعلام - بغداد سنة ١٩٧٣ م .

١١٨ - **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى - ت . عبد السلام محمد هارون - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

١١٩ - **شرح القصائد العشر** لأبى زكريا يحيى بن على التبريزى - المطبعة المنيرية - القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ . وطبعة كلكتا سنة ١٨٩٤ م .

١٢٠ - **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف** لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى - ت . عبد العزيز أحمد - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

١٢١ - **شرح المعلقات السبع** لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزنى - مكتبة المعارف - بيروت سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

١٢٢ - **شرح المفضليات** لأبى محمد القاسم بن بشار الأنبارى - ت . تشارلز ليال - مكتبة المثنى - بغداد - بدون تاريخ .

١٢٣ - **الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان** لحميد بن محمد بن رزيق - ت . عبد المنعم عامر - وزارة التراث القومى بسلطنة عمان - مسقط سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

١٢٤ - **الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى** - د . عبده بدوى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٣ م .

١٢٥ - **الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى** - د . يوسف خليف - ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .

١٢٦ - **شعراء عمان فى الجاهلية وصدر الإسلام** - أحمد محمد عبيد - إصدارات : المجمع الثقافى - أبو ظبى سنة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .

١٢٧ - **شعراءعقلون** - جمعه وحققه د . حاتم صالح الضامن - ط١ - مكتبة النهضة العربية - بيروت سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

١٢٨ - **شعراء النصرانية فى الجاهلية** - لويس شيخو - مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

١٢٩ - **شعر تغلب فى الجاهلية (جمع وتحقيق)** - أيمن محمد ميدان - معهد المخطوطات العربية - القاهرة سنة ١٩٩٥ م .

١٣٠ - **الشعر الجاهلى** - د . محمد عبد المنعم خفاجى- ط٢ - دار الكتاب اللبنانى - بيروت سنة ١٩٧٣ م .

١٣١ - **الشعر الجاهلى : تطوره وخصائصه الفنية** - د . بهى الدين زيان - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

١٣٢ - **الشعر الجاهلى : تفسير أسطورى** - د . مصطفى عبد الشافى الشورى - الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

١٣٣ - **الشعر الجاهلى : خصائصه وفنونه** - د . يحيى الجبورى - ط٤ - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

١٣٤ - **الشعر الجاهلى : قضاياه الفنية والموضوعية** - د . إبراهيم عبد الرحمن محمد - دار النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٨٠ م .

١٣٥ - **الشعر الجاهلى : مراحله واتجاهاته الفنية** - د . سيد حنفى حسنين - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة سنة ١٩٧١ م .

١٣٦ - **الشعر الجاهلى : منهج فى دراسته وتقويمه** - د . محمد النويهى - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

١٣٧ - **شعر الحرب (جـ١ - فى العصر الجاهلى)** - د . على الجندى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

١٣٨ - **شعر الصعاليك : منهجه وخصائصه** - د . عبد الحليم حفنى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٧ م .

١٣٩ - **شعر العبيد فى الجاهلية وصدر الإسلام** - د . محمد أبو المجد على - ط٢ - دار الشروق - الفيوم سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .

١٤٠ - **الشعر العربى فى العصر الجاهلى** - د . محمد مصطفى هدارة - الدار الأندلسية - الإسكندرية سنة ١٩٨٨ م .

١٤١ - **الشعر العربى من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجرى : النشأة والتطور** - د . محمد مصطفى هدارة - ط١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

١٤٢ - **الشعر فى ظلال المنافرة والفساسنة** - د . عمر شرف الدين - الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة سنة ١٩٨٧ م .

١٤٣ - **شعر قبيلة بكر بن وائل فى الجاهلية وصدر الإسلام** - د . عبد الله جبريل مقداد - ط١ - دار عمار للنشر والتوزيع - عَمَّان سنة ٢٠٠٠ م .

١٤٤ - **شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموى (جمع وتحقيق ودراسة)** - د . أحمد محمد على عبيد - إصدارات : المجمع الثقافى - أبو ظبى سنة ١٩٩٩ م .

١٤٥ - **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه** - اليزابث درو - ت . د . محمد إبراهيم الشوش - منشورات مكتبة منيمنة (بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين) - بيروت سنة ١٩٦١ م .

١٤٦ - **شعرنا القديم والنقد الجديد** - د . وهب أحمد رومية - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

١٤٧ - **الشعر والتجربة** - أرشيبالد مكليش - ت . سلمى الخضراء الجيوسى - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

١٤٨ - **الشعر والشعراء** لابن قتيبة - ت . أحمد محمد شاكر - دار الحديث - القاهرة سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

١٤٩ - **الشعر واللغة** - د . لطفى عبد البديع - مكتبة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

١٥٠ - **الشعر والنغم** - د . رجاء عيد - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

١٥١ - **شعر يهود فى الجاهلية وصدر الإسلام (تحقيق ودراسة)** - د . عبد الله جبريل مقداد - ط١ - دار عمار - عَمَّان سنة ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .

ص

١٥٢ - **الصراع بين الإنسان والطبيعة فى الشعر الجاهلى** - د . محمد محمد الكومى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الإسكندرية سنة ١٩٧٩ م .

١٥٣ - **كتاب الصناعتين** لأبى هلال العسكرى - ت . مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

١٥٤ - **الصورة الأدبية** - د . مصطفى ناصف - ط١ - مكتبة مصر - القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨م .

١٥٥ - **الصورة الشعرية فى الخطاب البلاغى والنقدى** - الولى محمد - ط١ - المركز الثقافى العربى - بيروت سنة ١٩٩٠ م .

١٥٦ - **الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى عند العرب** - د . جابر عصفور - ط٣ - المركز الثقافى العربى - بيروت سنة ١٩٩٢ م .

١٥٧ - **الصورة فى الشعر العربى حتى آخر القرن الثانى الهجرى (دراسة فى أصولها وتطورها)** - د . على البطل - ط٣ - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٩٨٣ م .
١٥٨ - **الصورة والبناء الشعرى** - د . محمد حسن عبد الله - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨١ م .

ط

١٥٩ - **طبقات فحول الشعراء** لمحمد بن سلام الجمحى - قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر - دار المدنى - جدة سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .
١٦٠ - **الطبقات الكبرى** لمحمد بن سعد - ت . حمزة النشرتى وعبد الحفيظ فرغلى وعبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .
١٦١ - **الطرائف الأدبية** - عبد العزيز الميمنى - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ .
١٦٢ - **طرفة بن العبد (دراسات وأبحاث ملتقى البحرين)** - ط١ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ٢٠٠٠ م .

ع

١٦٣ - **العرب قبل الإسلام** - جرجى زيدان - راجعها وعلق عليها : د . حسين مؤنس - دار الهلال - بدون تاريخ .
١٦٤ - **العصر الجاهلى** - د . شوقى ضيف - ط١٠ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .
١٦٥ - **عضوية الموسيقى فى النص الشعرى** - د . عبد الفتاح صالح نافع - ط٢ - مكتبة المنار - الأردن - سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
١٦٦ - **العقد الفريد** لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى - ت . محمد سعيد العريان - ط٢ - دار الفكر - بيروت سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .
١٦٧ - **علم النص** - جوليا كريسطيفا - ت . فريد الزاهى - ط٢ - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء سنة ١٩٩٧ م .
١٦٨ - **العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده** لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - ط٥ - دار الجيل - بيروت سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
١٦٩ - **العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى** - د . مى يوسف خليف - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .
١٧٠ - **عيار الشعر** - لابن طباطبا العلوى - ت . د . محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - الإسكندرية سنة ١٩٨٠ م .
١٧١ - **عيون الأخبار** لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى - ط٢ - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

ف

١٧٢ - **الفاخر** لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم - ت . عبد العليم الطحاوى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٤ م .

١٧٣ - **الفاضل** لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد - ت . عبد العزيز الميمنى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٥ م .

١٧٤ - **فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال** لأبى عبيد البكرى - ت . إحسان عباس وعبد المجيد عابدين - ط١ - مطبعة مصر - الخرطوم سنة ١٩٥٨ م .

١٧٥ - **الفن ومذاهبه فى الشعر العربى** - د . شوقى ضيف - ط١ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .

١٧٦ - **فى الأدب الجاهلى** - د . طه حسين - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

١٧٧ - **فى تاريخ الأدب الجاهلى** - د . على الجندى - دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٨٧ م .

١٧٨ - **فى الشعر الجاهلى** - د . طه حسين - ط١ - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م .

ق

١٧٩ - **قراءات أسلوبية فى الشعر الجاهلى** - د . موسى ربابعة - مكتبة الكتانى ودار الكندى للنشر والتوزيع - الأردن سنة ٢٠٠١ م .

١٨٠ - **قراءة ثانية لشعرنا القديم** - د . مصطفى ناصف - منشورات الجامعة الليبية - طرابلس - بدون تاريخ .

١٨١ - **قراءة النص الشعرى الجاهلى** - د . موسى ربابعة - مؤسسة حمادة ودار الكندى - الأردن سنة ١٩٩٨ م .

١٨٢ - **قضايا الشعر فى النقد القديم** - د . إبراهيم عبد الرحمن محمد - مكتبة الشباب - القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

١٨٣ - **قضايا الشعرية** - رومان ياكبسون - ت . محمد الولى ومبارك حنوز - ط١ - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء سنة ١٩٨٨ م .

ك

١٨٤ - **الكامل فى التاريخ** لأبى الحسن على بن محمد الجزرى المعروف بعز الدين بن الأثير - ت . عبد الله القاضى - ط٢ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

١٨٥ - **الكامل فى اللغة والأدب** لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد - مؤسسة المعارف - بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

ل

١٨٦ - **لسان العرب** لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - ت . عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

١٨٧ - **اللغة والخطاب الأدبى** - اختيار وترجمة : سعيد الغانمى - ط١ - المركز الثقافى العربى - بيروت سنة ١٩٩٣ م .

م

١٨٨ - **المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر** لضياء الدين أبى الفتح نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير - ت . محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .

١٨٩ - **مجاز القرآن** لأبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى - ت . د . محمد فؤاد سزكين - مكتبة الخانجى للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م .

١٩٠ - **مجمع الأمثال** لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى المعروف بالميدانى - ت . محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - بدون تاريخ . وطبعة بيروت سنة ١٩٦١ م .

١٩١ - **المحبر** لأبى جعفر محمد بن حبيب - ت . د. إيلزة ليختن شتيتر - المكتب التجارى - بيروت - بدون تاريخ . وطبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٩٤٢ م .

١٩٢ - **مختارات شعراء العرب** لابن الشجرى - ت . على محمد البجاوى - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

١٩٣ - **مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى** لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .

١٩٤ - **مداخل الشعر (باختين - لوتمان - كندراتوف)** - ت . أمينة رشيد وسيد البحراوى - الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

١٩٥ - **مدخل إلى دراسة الأدب الجاهلى** - د . عبد الحميد إبراهيم شيحة - مكتبة النصر - القاهرة - بدون تاريخ .

١٩٦ - **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** - د . عبد الله الطيب المجذوب - دار الفكر للطباعة - بيروت سنة ١٩٧٠ م .

١٩٧ - **المزهر فى علوم اللغة وأنواعها** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - ت . محمد

أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

١٩٨ - **المستقصى فى أمثال العرب** لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى - ط٢ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٧٧ م . وطبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٩٦٢ م .

١٩٩ - **مصادر الشعر الجاهلى** - د . ناصر الدين الأسد - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥٦ م .

٢٠٠ - **مصارع العشاق** لأبى محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .

٢٠١ - **المصون فى الأدب** لأبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى - ت . د . عبد السلام محمد هارون - ط٢ - مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

٢٠٢ - **المصون فى سر الهوى المكنون** لأبى إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - ت . د . محمد عارف محمود حسين - ط١ - مطبعة الأمانة - القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م .

٢٠٣ - **المعارف** لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - ت . د . ثروت عكاشة - ط٢ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

٢٠٤ - **معجم البلدان** لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .

٢٠٥ - **معجم الشعراء** لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى - صححه وعلق عليه الدكتور ف . كرنكو - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .

٢٠٦ - **معجم الشعراء فى لسان العرب** - د . ياسين الأيوبى - ط٢ - دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٨٧ م .

٢٠٧ - **معجم الشعراء من العصر الجاهلى حتى نهاية العصر الأموى** - د . عفيف عبد الرحمن - ط١ - دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

٢٠٨ - **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى - ت . مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت - بدون تاريخ .

٢٠٩ - **معجم النساء الشاعرات فى الجاهلية والإسلام** - عبد مهنا - ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .

٢١٠ - **المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم** لأبى منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى - ت . أحمد محمد شاكر - ط٣ - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٥م .

٢١١ - **المعمرون والوصايا** لأبى حاتم سهل بن محمد السجستانى - ت . عبد المنعم عامر - ط١ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٩٦١ م .

٢١٢ - **المفضليات** للمفضل بن محمد بن يعلى الضبى - ت . أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - ط٨ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٣ م .
٢١٣ - **المقتضب** لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد - ت . محمد عبد الخالق عضيمة - لجنة إحياء التراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة سنة ١٣٨٦هـ .
٢١٤ - **مقدمة فى نظرية الأدب** - تيرى إيجلتون - ت . أحمد حسان - ط٢ - نوارة للترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
٢١٥ - **مكتبة العصر الجاهلى وأدبه** - د . عفيف عبد الرحمن - ط١ - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
٢١٦ - **الملاحن** لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى - صححه أبو إسحق إبراهيم أطفيش الجزائرى - ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
٢١٧ - **الممتع فى علم الشعر وعمله** لعبد الكريم النهشلى القيروانى - ت . منجى الكعبى - تونس سنة ١٩٧٨ م .
٢١٨ - **المنازل والديار** لأسامة بن منقذ - ت . مصطفى حجازى - دار سعاد الصباح - القاهرة سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .
٢١٩ - **من اسمه عمرو من الشعراء** لأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح - ت . د . عبد العزيز ابن ناصر المانع - ط١ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .
٢٢٠ - **المناقب المزيدية فى أخبار الملوك الأسدية** لأبى البقاء هبة الله الحلى - ت . د . صالح درادكة، د . محمد خريسات - مكتبة الرسالة الحديثة - عُمان سنة ١٩٨٤ م .
٢٢١ - **منتهى الطلب من أشعار العرب** لمحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون - ت . منير المدنى وسيدة حامد وزينب القوصى - دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٩ م .
٢٢٢ - **من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده** - د . محمد خلف الله أحمد - القاهرة سنة ١٩٤٧ م .
٢٢٣ - **المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم** لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى - صححه وعلق عليه الدكتور ف . كرنكو - دار الجيل - بيروت سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
٢٢٤ - **موسوعة الشعر العربى** - إشراف : خليل حاوى - مكتبة خياط - بيروت سنة ١٩٧٤ م .
٢٢٥ - **موسيقى الشعر** - د . إبراهيم أنيس - ط٥ - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
٢٢٦ - **الموشح** لأبى عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى - ت . على محمد البجاوى - نهضة مصر - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٢٧ - **الموشى (وهو الظرف والظرفاء)** لأبى الطيب محمد بن إسحق بن يحيى الوشاء - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .

ن

٢٢٨ - **نحو منهج نفسى فى نقد الشعر** - سعد أبو الرضا محمد أبو الرضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٨٤ م .

٢٢٩ - **كتاب النخل** لأبى حاتم السجستانى - ت . د . إبراهيم السامرائى - دار اللواء للنشر والتوزيع (الرياض) ومؤسسة الرسالة (بيروت) سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٢٣٠ - **نسب عدنان وقحطان** لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - ت . عبد العزيز اليمنى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م .

٢٣١ - **كتاب نسب قريش** لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى - ت . ليفى بروفنسال - ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

٢٣٢ - **نسب معد واليمن** لهشام بن محمد الكلبى - ت . د . ناجى حسن - عالم الكتب - بيروت سنة ١٩٨٨ م .

٢٣٣ - **نشأة الشعر الجاهلى وتطوره (دراسة فى المنهج)** - د . ناصر الدين الأسد - ط١ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٩٩ م .

٢٣٤ - **نشوة الطرب** لأبى سعيد الحميرى - ت . نصرت عبد الرحمن - مكتبة الأقصى - عَمَّان سنة ١٩٨٢ م .

٢٣٥ - **نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر** - ديفيد بشبندر - ت . عبد المقصود عبد الكريم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٢٣٦ - **نظرية الانتحال فى الشعر الجاهلى** - د . عبد الحميد المسلوت - دار القلم - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٣٧ - **نظرية الشعر** - حرره وقدم له : محمد كامل الخطيب - منشورات وزارة الثقافة - دمشق سنة ١٩٩٦ م .

٢٣٨ - **نظرية المعنى فى النقد الأدبى** - د . مصطفى ناصف - ط٢ - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

٢٣٩ - **النظم الشفوى فى الشعر الجاهلى** - جيمز مونرو - ت . د . فضل بن عمار العمارى - ط١ - دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

٢٤٠ - **نقائض جرير والفرزدق** لأبى عبيدة معمر بن المثنى - مكتبة المثنى - بغداد - بدون تاريخ .

٢٤١ - **النقد التاريخى فى الأدب : رؤية جديدة** - د . حميد لحمدانى - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة سنة ١٩٩٩ م .

٢٤٢ - **النقد التحليلى** - د . محمد عنانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩١ م .

٢٤٣ - **نقد الشعر** لأبى الفرج قدامة بن جعفر - ت . كمال مصطفى - ط٣ - مكتبة الخانجى - القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

٢٤٤ - **نهاية الأرب فى فنون الأدب** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة - بدون تاريخ .

٢٤٥ - **نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز** لفخر الدين محمد بن عمر الرازى - ت . د . أحمد حجازى السقا - ط١ - المكتب الثقافى للنشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٨٩ م .

٢٤٦ - **نوادر المخطوطات** - ت . عبد السلام هارون - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة سنة ٢٠٠١ م .

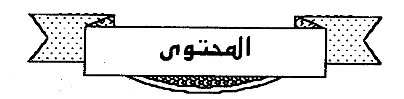
و

٢٤٧ - **الوافى بالوفيات** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - ط٣ - دار فرانز شتاينر - شتوتجارت سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

٢٤٨ - **الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى)** لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى - حققه عبد العزيز الميمنى وزاد فى حواشيه محمود محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

٢٤٩ - **الورقة** لأبى عبد الله محمد بن داود الجراح - ت . د . عبد العزيز عزام وعبد الستار أحمد فراج - ط٣ - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٦ م .

٢٥٠ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبى العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر بن خلكان - ت . د . إحسان عباس - دار صادر - بيروت سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .



المحتوى

للمؤلف

١ – **شعر العبيد فى الجاهلية وصدر الإسلام** – ط١ – مكتبة رياض الصالحين – القاهرة سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

٢ – **شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى صدر الإسلام** – ط١ – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

٣ – **شعر الرثاء والصراع السياسى والمذهبى فى العصر الأموى** – ط١ – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .

٤ – **أبواب التحرير** – مكتبة رياض الصالحين – القاهرة سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .

٥ – **فى الأدب القصصى : بحوث ودراسات** – ط١ – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .

٦ – **تفسير أمثال القرآن الكريم لابن كثير (جمع وتحقيق)** – دار الفتح للنشر والتوزيع – القاهرة سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥ م .

٧ – **تجربة الشعر الحر عند ملك عبد العزيز فى ديوانها «أغنيات الليل»** – مكتبة أم القرى – القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

٨ – **المتنبى : قسمات وملامح** – دار المروة للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

٩ – **مراثى النبى ﷺ (جمع – تحقيق – دراسة)** – ط١ – مكتبة الأداب – القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

١٠ – **الإسلام والشعر** – دار المروة للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

١١ – **الشعر والتحول العقدى فى صدر الإسلام** – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة سنة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

١٢ – **الشعر والشعراء فى بلاط عبد العزيز بن مروان** – مكتبة الآداب – القاهرة سنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .

١٣ – **ببليوجرافيا الرسائل العلمية فى الجامعات السعودية منذ إنشائها حتى أواخر القرن العشرين (الأدب العربى والبلاغة والنقد الأدبى)**– دار المروة للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة سنة ١٩٩٩ م .

١٤ – **روائع الشعر فى العصر الأموى : تحليل ودراسة** – ط١ – دار العلم للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة سنة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .

١٥ – **ببليوجرافيا الرسائل العلمية فى الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين (الأدب العربى والبلاغة والنقد الأدبى) : تصنيف ودراسة** – مكتبة الآداب – القاهرة سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م .

١٦ – **شعر صفية بنت عبد المطلب (جمع وتحقيق ودراسة)** – مكتبة الآداب – القاهرة سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م .

١٧ – **اتجاه معاصر فى دراسة الشعر العربى القديم ؛ الاتجاه الأسطورى : عرض وتقويم** – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الحولية الثانية والعشرون – رسالة رقم ١٨٨ – الكويت سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م .

١٨ – **الأسطوريون وقراءة الشعر العربى القديم ؛ الرؤية الأسطورية فى كتاب «الأسطورة فى الشعر العربى قبل الإسلام» للدكتور أحمد إسماعيل : عرض وتقويم** – دار المروة – القاهرة سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣ م .